
من تاريخ مصر
الحياة النيابية
والأحزاب في مصر
من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢
الناشر مكتبة مدبولي
تأليف : جاكوب لانداو
ترجمة وتعليق : سامي الليثي

الحياة النيابية
والأحزاب في مصر

من تاريخ مصر

الحياة النيابية والأحزاب في مصر
من ١٨٦٦ إلى ١٩٥٢

تأليف: جاكوب لاندو
ترجمة وتعليق: سامي الليثي

الناشر
مكتبة مدبولي

تعليق

اعترض هذا الكتاب قراءاتي في عام ١٩٦٤ ، فاكتفيت بترجمتــه لمراجعاتي الشخصية واطلاعي الخاص •• ولكن هذا العام ، وأنا اتابع بعض ما عن لي عن مسائل في الفترة التي يعايشها الكتاب غــيرت رأيي تحت الحاح عوامل ثلاث :

أولها : ان ندرة الاحصائيات المتاحة بين يــدي القراء والباحثين تدعــو الى وضع هذا الكتاب بــين ايديهم على ما فيه من مغالطــات لاستغلال هذه الاحصائيات ـ حتى يستطيعون من خلاله الاستفادة من البيانات والاحصائيات التي اوردها •• وهي بيانات وجدتها بالمراجعــة دقيقة لا لبس فيها •• حاول المؤلف ان يستقيها من مصادرها الاصلية ، التي تجعل منها وثائق غير قابلــة للشك • فهي كلها وثائــق ومصادر عربية جمعت بين الكتاب والمستند المستخرج من الهيئة المختصة . او من تلك البيانات الرسمية التي تعلن باسم هذه الهيئــات الرسمية في الجرائد •• او المقــالات والبيانات التي تعبر عــن صوت الاحزاب في اتجاهاتها وبرامجها •• او مــن المجلات والجرائد العربية ، والمصريــة بالذات ، والتي كانت ولا شك تمثل هذه المرحلة على قدر المستطاع •

اما المراجع الاجنبية التي قدمها المؤلف كمصدر لمعلوماته وبياناته، فهي ايضا كتب مشهورة ومعروفة ونوقش اغلبهــا بين مفكري وكتاب العربية •• او مذكرات متبادلة بين دار الحماية البريطانية التي اصبحت

فيما بعد السفارة البريطانية ، وبين وزارة الخارجية البريطانية في لندن .. وهي مذكرات نشرت بعد ذلك على الرأي العام العالمي ، ونشر بعضها في الجرائد المصرية ــ ومهما كان وضع هذه الكتب والبيانات الاجنبية، فهي ان لم تكن تعطي صورة حقيقية للاوضاع في مصر . فهي على اي حال اعطت صورة حقيقية لواقع قوى الحماية البريطانية في مصر ، وهي قوى كانت تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية في مصر وتؤثر فيها ، ومن الضروري وضعها موضع الاعتبار عند مناقشة هذه الفترة من حياتنا بالذات .

ثانيها : من الخطأ .. والخطأ الكبير .. تصور امكان بتر فترة من تاريخ ، الا اذا كان هناك اعتقاد بان مرحلة من حياة هذه الامة قد بدأت جديدة تماما كبداية التاريخ .. ومن فراغ وهي كبوة استراتيجية بالغة الخطورة ، ربما كانت السبب في الكثير مما تعانيه الامة العربية والشعب المصري اليوم في البحث عن الذات ، بعد ان محيت من مخيلته حلقة كان من الممكن ان تربطه بماضيه ــ مهما كان الرأي في هذا الماضي ، وفي هذه الحلقة ــ ولكنها على اي حال كانت توفر عليه حيرة اليوم .. والتي يجد صعوبة في التخلص من عقدتها .. او بمعنى أصح العودة الى اصوله الفكرية والسياسية والاجتماعية .. فلقد كان سعد زغلول يقول لمن يحاول ان يحيطه بهالة الانفراد والوحدوية في زمان الكفاح الوطني ان على الشعب المصري قبل ان يقدم الى سعد زغلول اي تقدير أو اعجاب . ان يذكر بالتمجيد اولئك الذين سبقوه في الكفاح وشقوا له بداية الطريق .. عرابي والافغاني ومحمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد .. وكان سعد يقول « ان حزب الوفد او كفاح سعد زغلول ما هو الا حلقة تسلمت الرسالة بعد ان قدم هؤلاء دماءهم وارواحهم وحياتهم من اجل ان تصل هذه الرسالة الى حزب الوفد او سعد زغلول » .

وهناك لمحة ذكية من مؤلف هذا الكتاب ((جاكوب لاندو)) يقول فيها ان برنامج حزب الوفد كان صورة شبه كاملة لبرنامج الحزب الوطني .. الا ان قدرة الوفد الجماهيرية ، وحيويته التي اجتذبت الفلاحين والطبقات الكادحة الى ساحة الكفاح الوطني ، هي التي جعلت الوفد اقوى الاحزاب السياسية المصرية في الفترة من ١٩٢٤ الى ١٩٥٢ .

ولقد اضفيت هذه الفترة من حياتنا دراساتنا مرحلة طويلة . ولو انها ليست طويلة في نظر التاريخ ولكن جيلا كاملا مـن الشباب شب الى وعيه وهو لا يعلم شيئا عن مرحلة هامة من تاريخ بلاده وكفاحها الوطني .. بل من مرحلة سابقة على عصره مباشرة .. والحلقة التي تربطه الى مـا قبلها ، وتهيؤه للمستقبل الذي يتصوره .

فهذا الكتاب يعايش الحياة النيابيــة ونشوء وانهيــار الاحــزاب السياسية الوطنية في الفترة ما بين ١٨٦٦ في عهــد الخديوي اسماعيل بداية مجلس الشورى وقيام حزب احمد عرابي الوطني .. وتنتهي في عام ١٩٥٢ بنهاية برلمان ١٩٥٠ ، وحل الاحزاب في نوفمبر ١٩٥٤ .

ثالثها : واحد من اهم اعراض الامم المتخلفة ، هو عقــدة الخوف من رأي الغرباء الاجانب .. سواء بالنقد او التجريح .. ويبدو ان هذا العرض ينبع من عقدة الافتقار الى نظريــة ثابتــة يستند اليها المجتمــع ويواصل من خلالها مسيرته .. فاي نقد يسبب له حرجـا مبالغا تحت وطأة هذا الشعور بالافتقار والنقص .

والحقيقة انه ما من نظريــة بدأت متكاملة .. او بمعنى اصح ، يمكن لاي نظرية ان تبدأ لو ارتبطت حلقات تاريخها على ان تستكمل كيانها بين الخطوة والاخرى .. والطريق الى استكمال هــذا الكيان لا يأتي الا بالمراجعة والنقد لاكتشاف نواقص النظرية الاجتماعية التي تتبعها هذه الامة .. ومن هذه الزاوية يمكن ان يتم الاستكمــال او التعديل او التغيير ..

فالكتب الاجنبية كانت مرجعه ، فهي احدى الوسائل التي يمكن

من خلالها المراجعة والفحص ما كـان منها صادقا في النقـد ومفيدا . امكن الاستفادة منه بالتصحيح •• وما كان منها مغرضا ، فلا اقـل من التغاضي عنه واهماله •• او على الاقل معرفة نوايا العدوان منه واتخاذ الحذر من نواياه •

وقضايانا مع لاندو في هذا الكتاب تنبع من تناقضين اثنين :

١ ـ أوربة مصر او دفعها للحاق بعالم الحضارة الجديدة المعاصرة

٢ ـ موقف انجلترا من تطور الحياة النيابية والحزبية في مصر

ونظرة لاندو الى المستـوى الحضاري في مصـر ـ كنظرة كـل الاوربيين ـ اتجهت الى بعدين : اولهما التخلف الذي تعانيـه المنطقة وتغرق فيه الى اذنيها •• وهو الامر الذي لا زلنا نعير به الى الان •• والثاني ان مهمة انجلترا الاولى هي تمدين مصر او دفعهـا الى دائرة الحضارة بالوسائل التي تراها كفيلة بذلك ••• كحجة تدعم بها وصايتها على المصريين •

والحقيقة •• ان نقل الحضارة الى مصـر ، او رفعها الى دائـرة الحضارة لم تكن من ابتكار الانجليز كما يدعي لاندو او يحاول ان يبرر آراءه واستنتاجاته •• وكما حاول ان يفعل كل الاوربيين الذين كتبوا حول هذا الموضوع قبله او بعده•• ففكرة نقل مصر الى دائـرة الحضارة او دفعها الى التمدين فكرة قديمة بدات مع عصر محمد علي ، وظهرت آثارها في اعماله الاولى تحت تاثير السان السيمونيين الذين ساعدوه في اغلـب مشروعاته الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية •• ولكنها نضجت تماما وتهيات لفرض ظلها على مجالات كثيرة في العمل الاجتماعي والسياسي في مصر مع عودة البعثات التي كان قد ارسلها الى اوربا ، والتي برزت ايام الخديوي اسماعيل في افكـار رفاعة رافع الطهطاوي وغيره من المبعوثين العائدين •• والتي توجت بكلمة الخديوي اسماعيل نفسه حين قال انه يريد ان يجعل مصر قطعة من اوربا •• واهم اعماله في تطبيق هذا الشعار كانـت بانشاء مجلس الشورى ، مهما قيل مـن اغراضه مـن وراء انشاء هذه الهيئـة التشريعية الحديثة على مصر •

ولقد يمكن ان يسوق الانسان كثيرا من الدلائل حـول تحرك المنطقة للاندفاع الى دائرة الحضارة او اللحاق بركبها كما يقولون .. ليس فقط من اجل الدوافع التي كانت تحركها من الداخـل .. ولكن لظروف المنطقـة ومصر وسطها بالـذات ـ والتي تعرضهـا بالضرورة لتيارات علميةجارفة لا يمكن تجاهلها.. وابرز آثارها انها كانتدائما محط انظار المفكرين امثال الافغاني واديب اسحاق وجورجـي زيدان ... تلك المجموعات التي لم تجد مكانا في المنطقة غير مصر يفرغون فيها شحنة ثورتهم ، ولم يجدوا ايضا غير مصر تستقبل شحناتهم هذه بالتعزيز ثم بالتجاوب والتفاعل ..

وعوامل استراتيجية اخرى كانت تدفع مصر ـ ولا زالت ـ لتكون قطب الرحى في المتغيرات والمتطـورات الدولية ، وامتـلأت بها كتب الباحثين والدارسين وستظل تمتلىء وسيكون من المعاد والتكرار الاشارة اليها هنـا ..

ويبقى موقف انجلترا ، من تلك الحجة التي يدفع بها لاندو وغيره من الكتاب .. فكما رأينا لم تكـن فكرة الحياة النيابيـة ولا الحياة الحزبية من ابتكار الانجليز فقط .. فقد سبقهم الخديوي اسماعيـل بعشرين سنة بانشاء مجلس الشورى ومر قبل احتلالهم مصر بعدة تجارب، بل واكتسب بعض الخبرات ... وكان احمد عرابي قبل مجيئهم بسنوات قد وضع بذورة الحزب الوطني ، ولكـن فشل ثورته اودى بفكـرة حزبه ايضا .. وان كانت ثورة عرابي ظلـت نورا يهدي الباحثين عـن الخلاص . كما ظل حزبه ـ الحزب الوطني ـ نبراسا لتطهير كل فكر سياسي في مصر بعد ذلك .

اما الانجليز .. فقد وجدوا أنفسهم واقعين تحت تناقضين في وقت واحد .. فاما ان يجعلوا الحياة النيابية قاعدة للعمل السياسي في مصر ،

وهو نموذج للفكر الغربي الذي جاءوا يدعون اقامته بمصر كصورة للحضارة الجديدة ــ واما ان يقابلوا نمو الحياة النيابية بالنهاية المتوقعة وهي المطالبة بجلائهم وترك شؤون مصر للمصريين •• ومن هنا جاء تخريبهم المتواصل للحياة النيابية •• ومحاولاتهم تقسيم المجتمع السياسي في مصر الى جماعات متنازعة بين القصر والاحزاب وبعضها •• والهاء القوى الاجتماعية اولا باول عن الاهتمام بالواقع الاجتماعي للمصريين•• بل عملهم الدائب في تنظيم الادارة الحكومية والتعليم والري والزراعة ، بطريقة تجعل هذا الاصلاح الاجتماعي عملا يستحيل القيام به في ظل الاحتلال البغيض ••

ويرتبط التناقض الثاني بالمشكلة الاولى •• فقد كان لا بد والامر كذلك ، ان يلقي لاندو تبعة فشل الحياة النيابية والحياة الحزبية في مصر على المصريين انفسهم •• على الاحزاب والسياسيين •• وقبل ان نخوض في اي تفاصيل حول هذا التناقض •• أسوق للقارىء رأي الانجليز انفسهم في معنى الحياة السياسية في مصر وخططهم لافشالها • من كتاب جورج لويد المعقد البريطاني عن كرومر في مصر •• يقول لويد:

« ان كل ما يطمع في ان يراه اولئك الانجليز ــ الذين نادوا بانسحاب السيطرة الانجليزية في الادارة الداخلية المصرية بعد تصريح ٢٨ فبراير • هو ان تقوم في مصر وزارة مصرية معتدلة صديقة ــ تستمد سلطتها من التأييد الشعبي ، وتتولى مهمة الوصول الى تسوية نهائية للمسألة المصرية • على ان الاحداث في الشهور والسنين التي اعقبت انسحاب هذه السيطرة ، قد اثبتت ان الموقف في مصر لا يحتمل الا حالة من حالتين : اما قيام حكومة وفدية متطرفة لا تستطيع ان تظهر شيئا من التعقل او بعد النظر ، واما قيام حكومة اوتوقراطية على انقاض الحياة الدستورية ، يتولى فيها الملك السلطة المطلقة ، ولا تنال اي تأييد شعبي • فبالنسبة للحالة الاولى قامت فعلا وزارة وفدية في الحكم ،

ولكن نتج عن قيامها تدمير شامل لكل الامال التي عقدت على الوصول الى تسوية مصرية انجليزية معقولة • وبذلك اصبح لزاما علينا ان تتدخل لمنع قيام وزارة زغلولية بحتة ، لمصلحة كل من انجلترا ومصر والسودان• واما بالنسبة للامر الثاني ــ وهو قيام حكومة اوتوقراطية . فهنا تكمــن الخطورة ، لان الصيحة التي ستطلق حينذاك من اجل انقاذ الدستور ــ سوف تجذب اليها جميع العناصر السياسية في مصر ، ولا يمكن التنبؤ بما يمكن ان تذهب اليه هذه العناصر في حربها ضد الاوتوقراطية • ومن ثم فلا بد من التدخل ايضا في هذه الحالة لمنع قيام الحكم المطلق •

ثم حدد لويد الحالة الوحيدة التــي لا تضطر فيها السلطــات البريطانية الى التدخل في الشؤون المصرية ، فذكر ان ذلك عندما تكون وزارة ائتلافية من عدة احزاب . او حتى حزبين • فهنــاك لا تكون ثمة ضرورة للتدخل لان ميزان القوى في هذه الحالة سوف يكون متكافئا •• فلا تكون السلطة في يد القصر ، ولا تكــون في يد الوفد •• ولكــن اللحظة التي سينفرد فيها اي فريق باليد العليا ، فاننا نكون حينئذ في مواجهة واحد من امرين : اما الزغلولية واما الاوتوقراطية • وكلاهمــا مما لا يمكن التفكير فيه ــ ومن ثم يصبح تدخلنا في هذه الحالة امرا محتومــا •

وهكذا ــ من وجهة نظر الانجليز ــ كان لا بد ان تتكون الحياة السياسية من مزيج من القوى السياسية في مصر •• بحيث تصبح كــل الاجراءات معطلة •• وبحيث تظل الحياة السياسية في مصــر عند نقطة واحدة لا تتقدم عنها • بل ربما تتأخر •• وبحيث يظل للانجليز وحدهم اليد العليا ••

واكثر من نموذج للفكر الانجليزي وطريقته في تطبيق هذه الخطة سيقابله القارىء في مسيرته مع تطور الحياة النيابية والحياة الحزبية في

مصر . بل ان نفس المؤلف سيضع يد القارىء ببساطة على خطة الأنجليز ويلقي الضوء على افكارهم في مصر واتجاهاتهم لربطها الى عجلة حكومة جلالة الملك بصرف النظر عن مصالح المصريين وآمالهم في التقدم والتحرر .

ولئن كان لاندو قد حاول ان يقلل من اهمية بعض الاعمـال العظيمة التي قدمها المصريون مثل ذلك النشاط الفكري والبرامج التي قدمت في تلك الفترة المتقدمة من تاريخ مصر ، مجالس الخديوي اسماعيل .. أو مثل الادوار التاريخية التي قام بها احمد عرابي أو الافغاني او محمد عبده او لطفي السيد او غيرهم من المفكرين المصريين . بدعوى ان دراسة هـذا الكتاب تقتصر على النشاط البرلماني والنيابـي او على نشاط الاحـزاب وحدها .. فانه لن يغيب عن العربي والمصري الذي يقرأ هذا الكتاب ، ان هناك الكثير من المراجع التي تحقق للذين يريدون البحث حول اعمال هذه الشخصيات ما يشفي الغليل .. وهي مراجع مثبتة في هوامش الكتـاب وفهرسه .

الا ان النظرة العامة لتطور الحياة النيابية والحزبية في مصر ، تؤكد بطريقة لا تدعو الى الشك ان المصريين قد بذلوا جهودا تفوق طاقة البشر في مقاومة عداوتين من اقوى العـداوات التي تواجـه شعبا يبحث عـن استقلاله وتقدمه .. وهما الاتراك الممثلـين في القصر والطبقة التركيـة السائدة في المجتمع بكل ما تحمله من تراث فكري وحضاري ضارب الجذور في ارض المجتمع .. والانجليز .. الاحتلال الوافد بكل قوته العسكريـة وتسلطه الدولي والحضارة التي يحملها في يده وما فيها مـن موضوعية تاخذ بلب شعب متخلف مثل الشعب المصري في تلك المرحلة ..

وفي مواجهة هذا التحدي المتشعب والمتسلط ، كان من البطولة ان يمر الشعب المصري بكل .. التطورات الخطيرة الهامة .. وان يقدم كل هذه الانجازات العظيمة .. وان يحافظ بالرغم من كل ذلك على وحدته وقوميته وطموحه .. وان يخرج من هذه المعركة ـ التي استهلكت ثلاثة اجيال من حياته بمثل هذا الفوز العظيم .. مهما بدا من تواضعه ..

عاش الشعب المصري المناضل .. كما رايته في سطور هذا الكتاب .

سامي الليثي

القسم الأول

الحياة النيابية

كانت مصر هي الدولة الاولى بين الدول الناطقة بالعربيـة ، التي خرجت على الحكم التركي في أيام محمد علي . على ان التأثير الادبي والاجتماعي التركي ظل واضح البصمات على سمات الطبقة العليا مـن الدولة . ومن ناحية اخرى كان النفوذ الاجنبي يحل محل النفوذ التركي وفي سرعة وعمق على مدى واسع عريض .

وقد بدأ التأثير الاوربي ــ أول ما بدا ــ في الميـدان السياسي والدستوري بالتبني التدريجي للافكار الغربية في محاولة وضع نظام للحكومة والحياة السياسية على النمط الاوربي الغربي ــ ففي عـام ١٨٦٦ أنشأ اسماعيل باشا مجلس شورى القوانين المشهور على النمط الغربي . وقد مرت ستين عاما على هذا المجلس ليمكن ان يتحول بعد ذلك الى شيء يشبه المجالس النيابيـة الغربية التي اقيـم على نمطها .

وكذلك قلدت الاحزاب الطريقة الغربية في تنظيماتها ودعايتها وكل أساليبها وأشكالها . ولهذه الاسباب نفسها تحطمت معظم هذه الاحزاب عند أول صخرة قابلتها . ولفهم تاريخ مصر الحديثة فمن المهـم تقصي تاريخ التطور البرلماني الدستوري والاحزاب السياسية وتأثـير النفوذ الاجنبي على مولدها وتطورها .. ثم انهيارها .

على ان هذه الدراسات لم تكن موجودة او متاحة عند محاولتي كتابة هذه الدراسات . فلم يكن هنالك كتاب شامل في الموضوع ، وحتى البحوث المدرسية لم تشر الى التاريخ السياسي والبرلماني لمصر الحديثة .. الا تلك التي حصرت نفسها في جميع الوقائع . ثم محاولات بسيطـة للخـروج بنتائج . ومن هذه المحاولات مثلا كتب : كرومو وكولفن ولويبـر ونيومان ودوين وساماركو وهاسن كليفر .

مجلس ١٨٦٦ — ١٨٦٨

لم تكن فكرة انشاء مجلس استشاري بالشيء الجديد على مصر فقد اسس نابليون من قبل عدة مجالس استشارية كانت تسمى بالدواوين • وأحد هؤلاء الدواوين كان على وجه الخصوص يمثل مصالح الائمة والجيش والتجار والاقباط والفرنسيين (١)

ولما تولى محمد علي السلطة اعاد فكرة المجلس بتعيين مستشارين او معاونين لمساعدته • ولم يكن مجلس الشورى — او المشورة — هذا سلطة تشريعية بالمعنى المفهوم • لم يكن اكثر من سلف لمجلس شورى النواب الذي انشىء في ايام اسماعيل باشا والذي ضم ١٥٦ عضوا منهم ٣٣ من أصحاب المناصب الرسمية الكبيرة و ٢٤ من موظفي المناطق (اي المحافظات) والباقي وعددهم ٩٩ من الاعيان وكبار الملاك في مصر •

مجلس محمد علي كان هيئة استشارية في الاعمال الادارية والتعليم والشؤون العامة •• وكانت هذه الهيئة يمكنها بحث الشكاوى ووضع الاقتراحات الخاصة بها •• وكان مجلس محمد علي يجتمع مرة واحدة في العام للتداول في فترة انعقاده • وقد اجتمع في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٣٢ وناقش التعليم والزراعة والضرائب (٢)

أما سعيد فقد كون مجلسا حكوميا من احد افراد العائلة الحاكمة ، واربعة من كبار الضباط واربعة من كبار موظفي الدولة • وكان سعيد

يستشير هذا المجلس في امور الدولة الهامة ومشروعات القوانين والادارة الحكومية . وظلت اعمال المجلس تنحصر في أنها استشارية فقط (٣)

وسيكون من الصعب ان نعين بالدقــة متى بدأت فكرة تكويــن مجلس كبير في رأس اسماعيــل . ففي اوائــل اغسطس ١٨٦٤ ارسل المندوب الفرنسي تقريرا الى حكومته في باريس قــال فيه ان اسماعيل باشا يفكر في رفع مستوى مصر اداريا بنوع من الحكم الذاتي في جمع الضرائب ، وكان محور الفكرة الاصلاحية يدور حول تكوين المجلس من شيوخ القرى (أعيانها) (٤)

وكانت فكرة اسماعيل على ما يبدو هي تحقيق المزيد من السيطرة على كبار الاعيان بتكوين هذا المجلس منهم.. ويتخلص في نفس الوقت من نقد جريدة « وادي النيل » التي كانت تنتقد الحكومة بضراوة في ذلك الوقت من عام ١٨٦٦ (٥) . وقبل نشر المرسوم الخاص بتكوين المجلس انطلقت الجرائد الفرنسية والانجليزية ـ طبقا لتقارير بلجيك المستقلة او لوموند الفرنسية ـ تعلن ان اسماعيل سينشىء هيئة تشريعية في مصــر على نمط الهيئــة التشريعيــة الفرنسية .. بدستور يمثــل الدستــور الفرنسي ، ويعطي الهيئة التشريعية المصرية نفس حقوق الهيئة التشريعية الفرنسية .. ولو ان هذه الانباء كانت من وجهة نظر اسماعيل عملا حاول به ان يحقق بعض المكاسب الخاصة ، فان اثــارة الانتباه الى المشروع التشريعي الجديد في اوربا لم يكن من صالحه في شيء كما تبين فيما بعد .

ففي نوفمبــر ١٨٦٦ صدر المرسوم الخديــوي بتكويــن مجلس شورى النواب . وكــان المرسوم يتضمــن قانونــين : قانون اللائحــة الاساسية . وقانون اللائحة النظامية .

وتضمنت اللائحــة الاساسية ثمانية عشر مادة تحدثت عــن نظام الانتخابــات ، والشروط القانونيــة الواجبة للياقــة العضو المرشح ،

وفترات انعقاد • وتحدثت المادة الاولى عــن سلطات المجلس بشكــل عـــام •

وكان هذا الاستهلال للقانون يضع حدودا لطبيعة سلطات المجلس في عهد اسماعيل • فقد كان القانون الاساسي يحدد سلطات المجلس في تداول الشؤون الداخلية فقط •• وان تكون المباداة مع الحكومة وحدها •• اي مع الخديو • اما المجلس فلا يرفع الا نصائح تقدم الى الخديــو للاخذ بها •• او رفضها •

وفي المادة الثانية حدد القانون شروط اللياقة الدستوريــة •• ان يكون عمر العضو ٢٥عاما فاكثر • ولد في مصر ويعيش فيها اكثر هذه الفترة • وليس له صلة بالقوات المسلحة ، او الاعمال المدنية ، وصاحب سمعة طيبة (لم يتهم في قضايا او لم يفصل من الحكومة) ••

واكثر هذه الشروط كان لا بد ان تنطبق على الناخب نفسه • فلقد كان الخديو يريد ان يضمن الا يوجد في المجلس غير مرغوب فيــه •• خصوصا المطلوبون للقرعة العسكرية ، او المطلوبون في وظائف الحكومة•

وكان الاقتراح يتم بشكل غــير مباشر •• بان يختار المنتخبــون منتخبين ينتخبون اعضاء المجلس •• وكان هذا هو الاسلوب الوحيد الذي زعمه اسماعيل لما يسمى به مواجها ضعف الوعي السياسي ، او التنظيــم الحزبي المفقود •• فالقاهرة والاسكندرية ودميــاط تنتخب كلها ستة اعضــاء •

كان الاعضاء وعددهم ٥٧ عضوا ينتخبون لثلاث سنوات • وكانت اعمالهم في المجلس لا تزيد عــن مجرد تلقــي العرائض او الالتماسات وبعض المناقشات • ليحتفظ بالبقية الباقية من ارتباطاتهــم الجماهيريــة اما غير ذلك من سلطات المجلس فقد كانت كلهــا في يد الخديو • فهــو وحده صاحب الحق في دعوة المجلس للانعقــاد ، وصرفه للاجازة • او

حل المجلس الذي لم يكن بذلك ذو وضع عملي او ايجابي في القيام بدور نيابي كمثل لاي نوع من انواع الرقابة .. فضلا عن المعارضة .

وتضمنت بقية المواد الواحد والستين الخاصة باللائحة التنظيمية بعض البنود التي تشرح ما جاء في اللائحة الاساسية وبعض السلطات والاجراءات اكثر غموضا . ثم يجيء بعد ذلك خطاب الخديو والرد عليه . وحلف اليمين للاعضاء . وأعمال وسلطات رئيس المجلس . ووسيلة فحص اقتراحات الاعضاء باللجان الفرعية ونظام مناقشتها . وقانون الاجراءات والتصويت وتصرفات الاعضاء داخل الجلسة ، ثم الحصانة البرلمانية للاعضاء من الاعتقال والمحاكمة .. ثم سرية المداولات داخل المجلس .

وكان قانون المجلس يشابه الى حد كبير ـ حتما في التفاصيل ـ اجراءات المجالس النيابية في اوربا .. وبخاصة مجلس الامة في فرنسا . فبعض اللوائح كانت توحي بان الاعضاء سيكونون على وئام دائما ، فليس لعضو ان يتحدث دون اذن رئيس المجلس . وحتى تلك القوانين المتفننة التي تحتم على العضو الا يتغيب الا باذن المجلس ، لم تكن تعني جهل الاعضاء بالاجراءات البرلمانية .. ولكنها في الواقع كانت صورة فطرية لاعضاء يدخلون الحياة النيابية لاول مرة في تاريخ البلاد .

فلقد اعطت اللائحة النظامية للخديو سيطرة كاملة على المجلس في مداولاته وقراراته . ليس فقط من خلال سيطرته الحقيقية على الانتخابات والدعوة للاجتماع كما في البلاد ذات الحكم الفردي .. ولكن بموجب المادتين الثانية والثالثة اللتان تقولان ان كل قرارات المجلس ترفع اليه شخصيا قبل صدورها .. وانه هو الذي يعين رئيس المجلس ونائب رئيس المجلس .

وافتتحت الدورة الاولى للمجلس في ١٠ نوفمبر ١٨٦٦ بخطاب

القاه الخديو باللغة العربية (٩) • واشاد الخديو في خطابه بالاعمال المجيدة التي أداها محمد علي وابراهيم لمصر • واشار الى تكوين المجلس كدليل على رغبته في اتمام أعمالها العظيمة هذه • ثم اقتطع من القرآن ما يقول ان القانون الاسلامي يحض على ان يحكم ولي الامر بنصيحة الشعب (١٠) •

وكان من المدهش ان الخديو لم يشر الى السلطان التركي بكلمة واحدة في خطاب الافتتاح •

وبعد هذه الكلمة والرد عليها انقسم الاعضاء الى خمسة لجان (اقلام) • في كل لجنة منها خمسة عشر عضوا • وكان لهذه اللجان عملين اساسيين : اولا بحث صحة عضوية الاعضاء • واختيار اللجان الفرعية (القومسيونات) التي تقوم بفحص مختلف المشاكل الاخرى • وما ان انتهت هذه اللجان الخمسة من اجراءات تشكيلها وبعض الاعمال الفرعية فيها ، حتى بدأت الجلسات العلنية في الانعقاد •

واستمرت الجلسات حتى يناير ١٨٦٧ عندما اعلن راغب باشا رئيس المجلس فضه في خطاب شكر فيه الاعضاء على اقتراحاتهم وتوصياتهم واهتمامهم الذي بدا في تصرفاتهم ثم مشاركتهم الايجابية في ادارة المناقشات •

وكانت الاجراءات تجري على الوجه التالي •• فقد كان للمجلس ان يناقش الاقتراحات المعروضة عليه بواسطة الخديو او بواسطة احد اعضائه •• وفي الحالة الثانية ـــ أي بواسطة احد الاعضاء ـــ فان الاقتراح يقدم بواسطة رئيس المجلس الى المجلس الذي يقرر مناقشته أو رفضه• فاذا اتخذ في الاقتراح قرارا ، ارسل الى مجلس الوزراء لبحثه هناك واعادته الى المجلس مرة ثانية • ثم يحول الاقتراح بعد عودته الى احدى اللجان الفرعية التي يتم اختيارها من احدى اللجان الرئيسية لبحثه ••

فاذا ما تم بحثه يقدم الى المجلس بواسطة مقرر • فاذا وافق المجلس على التقرير بوضعه هذا رفع الى الخديو ليتخذ فيه القرار النهائي •

أما اذا لم يوافق المجلس على تقرير المقرر ، اعيد مناقشة الاقتراح ، واستدعى بعض المختصين الرسميين الذين يتولون الشرح لانارة المجلس على ان تكون جميع هذه الاجراءات سرية ولا يدعى احد من الخارج لحضورها •

وقد ناقشت هذه الدورة من اول مجلس شورى اربعة مسائل رئيسية ، هي الضرائب • الملكية • الاشغال العامة • التعليم •

الضرائب : اشار المجلس الى النص على جمع الضرائب شهريا • واقترح جمعها في المواسم الزراعية •• ووصفها بانها تلك الضرائب التي تثقل كاهل الفلاح وتوسمه بالبؤس لتعرضه لعسف جامعي الضرائب الذين يتعسفون ويشهرون به •

وقد اقترح ايضا الغاء نظام « الأمد » • وهو الوسيلة التي تمكن مهندس الحكومة من شراء ضرائب المناطق وتوقيع الغرامات المالية على الفلاح • واشترك حافظ باشا المفتش — مفتش عام الاشغال — في المناقشة • وتناولت المداولة وضع رسوم على الانتاج ، ووضع رسوم محددة على التجارة واعمال التوثيق •

الملكية : اثيرت اعتبارات مقنعة عن موضوع ملكية الاراضي والرسوم التي تدفع عنها • وطالب المجلس بتثمين الاراضي الاميرية •

الاعمال العامة : كانت اول مشكلة في الاعمال العامة هي المطالبة بضرورة الغاء نظام السخرة في العمل • وقدمت لجنة فرعية تقريرا مطولا من جزئين : الاول عما قام به هؤلاء العمال من اعمال خارقة والمشاكل التي يمكن تصورها من دفع اجور مختلفة ومتباينة في اجزاء مختلفة

من مصر ، والقسم الثاني عن العمال انفسهم .. كوسيلة رئيسية في بناء الكباري واعمال الحفر وصيانة القنوات (١١)

التعليم : طالب المجلس باقامة مدارس جديدة ، وقد تركـز رأي المجلس في تقرير اللجنة الفرعية الطويل الذي شدد على القيام بالخطوات التاليـة :

١ ــ يجب ان تقام مدرسة في كل مديرية مثل البلاد الكبيرة

٢ ــ يجب ان تكون المدارس قريبة من السكة الحديدية .

٣ ــ يجب ان تفتح المدارس ابوابها للجميع مسلمين واقباط تحت الرابعة عشر ، بصرف النظر عن المصروفات .

٤ ــ على وزير التعليم وضع منهاج للدراسة في هذه المدارس وتحديد مواعيد لاعمالها .

٥ ــ يجب على الوزير ان يقرر ايضا نوع الاطعمة التي ستقدم للطلبة والملابس التي ستعطى للفقراء .

٦ ــ تدفع هيئـة المديرية او المختصون بهـا المصروفات المطلوبـة للمدرسة .

٧ ــ يخصص جزء من دخل الوقـف للمساهمة في سد العجـز في المصروفات .

٨ ــ يجب تشجيع المواطنين في مصـر على تعضيد المدارس بتقديم تبرعات تساعد المدارس على الاستمرار في تأدية مهمتها .

٩ ــ يجب ان يحتفظ في كل مدرسة بنظام لحساب الدخل والمنصرف.

١٠ ــ على احدى اللجـان في المديريـة مراجعة حسابات الدخـل والمنصرف في المدرسة التابعة لمديريتها .

وختم التقرير اقتراحاته بضرورة الاهتمام لما للتعليـم من اهميـة للمجتمع المصري والمصريين .

ودعى الخديوي شريف باشا لمناقشة تقرير اللجنة الفرعية للتعليـم في اجتماع عـام للمجلس . وأشار شريـف باشا الى ان الخديـوي

ومستشاروه (يقصد اعضاء المجلس) ما داموا قد وافقوا على المشروع فهو يرجو بدلا من تخصيص جزء من دخل الوقف لمصاريف المشروع ، ان يوقف دخل ٢٣ ألف فدان من الاملاك الحكومية لهـذا القرض .. وهي مساحة كافية .على ان تتولى التبرعات العامة تسديد الباقي مـن المصروفات . (١٢)

ولقد اثنى الاوربيون ثناء كبيرا في ذلك الوقت وبعـده على مجلس ١٨٦٦/٦٧ ، ووصفوه بانه في مستوى المجالس الاوربية ، وعلى انه يتمتع باستقلال فعلي ، وكانوا يظنون ان اسماعيل قد قرر ان يحكم دستوريـا ليكون قادرا على طلب المزيـد من القروض مـن اصحاب المال الانجليـز والفرنسيين (١٣)

ولقد كان الهدف الاساسي لتفكير اسماعيل في اقامة هذا المجلس هو القروض والمزيد من القروض فقط .. فقد كان معروفا عنه انه من الصعب عليه ان يبدو كبطل دستوري او ديمقراطي .. وكـان معروفا أنه يرى ان الشعب .. الشعب المصري لم يهيأ بعد ليحكم نفسه بنظام دستوري حتى ذلك الوقـت .. وعلى اي حال فقد كانت هذه هـي التجربة الاولى ليقول المصريون كلمتهم في شؤونهم الخاصة .

فلقد كانت اعمال هذا المجلس اقتراحات او نصائح فقط دون ان يكون لها اي قوة تشريعية .. ولئن بدأت الحياة البرلمانية المصرية هذه البداية المدهشة ، فلا شك ان اعضاء المجلس الذين كانوا يكونون طبقة كبار الاعيان في القرى قد تنبهوا ليس لقدرتهـم على مناقشة شؤونهم الخاصة فحسب .. ولكنهم بالفعل ناقشوا ضرورة اقامة نظام التعليـم كأمر حيوي دون شك لمستقبل اولئك الذين يعيشون على ارض مصر .

ومن الصعب تقدير التأثير الذي احدثه مجلس النواب هذا في مصر في ذلك الحين .. ولكن رفاعة رافع الطهطاوي في كتـاب له صدر في ١٨٦٩ اشار الى اهمية هـذا المجلس في سطور خصصها له . ورفـع

اسماعيل عاليا وقال ان الخديوي ارتفع بهذا العمل على رأس المتحررين في مصـــر الان •• مشيرا الى القوانـــين والاجراءات والاعمـــال التـــي أعطاها للمجلس • (١٤)

ومع ان هذا المجلس بتأثيره على رفاعة رافع ، فانه في المدى الطويل قدر له ن يقود مصر الى طريق معقد من حياة نيابية كسحت كـــل نضج برلماني بعد ذلك •



مجلس ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨

عرضت بعض جلسات لمجلس ١٨٦٧/٦٨ لكثير من الموضوعات التي كانت قد اثيرت في مجلس ٦٦/٦٧ •

ان المجلس كان قد انتخب لثلاث دورات سنوية •• وقد بدأت جلسات الدورة الثانية في ١٦ مارس وانتهت في ١٨ مايو ١٨٦٨ (١٥) • وتناول خطاب الخديوي في هذه الدورة اعمال الدورة السابقة ، فشرح اسباب عدم تنفيذ بعض القرارات التي اتخذت فيها ــ ثم طلب من الاعضاء ان يستمروا في نظر المشكلة الزراعية • (١٦)

وانتهت المداولات الاولى لهذه الدورة الى نتائج هامة منها •• اقامة مركز زراعي في كل مديرية يسمى مجلس تنظيم الزراعة • يحاول في هذا المركز الاعضاء الذين انتخبوا له تحت اشراف العمد ان يشرحوا للفلاحين المناهج الزراعية الحديثة وان يستفيدوا من تجاربهم الزراعية في استخدام النظريات الزراعية الحديثة ••

كذلك استعرضت هذه المداولات القيام باحصاء دقيق لنظام السخرة • وتنظيم الاعفاء من الخدمة العسكرية في مقابل ثمانون جنيها ، وزيادة عدد رجال الصحة والعناية بمستواهم في البلاد وبناء المستشفيات واعادة تنظيم الضرائب •• ودعى الوزراء والمهندسون والاطباء العاملون في الحكومة لحضور بعض هذه المناقشات •

وعلى عكس الدورة الاولى •• فان شيئا كانــت تلك الدورة قــد تجاهلته تماما ، نوقش في هذه الدورة الثانية وهو المسألة المالية لمصر •• ونوقش باشتراك اسماعيل صديق •

واعلن الباشا ــ الذي كان من اكبر اعــوان الخديوي في المسائل المالية ــ ان دخل مصــر قد تجاوز المصروفات الى حد كبــير •• وكان ذلك من اكبر الاكاذيب التي قيلت امام اعضاء المجلس (١٧) • ولقد طلب الباشا ــ بالرغم مــن كذبته هذه ــ زيــادة الضرائب بواقــع السدس للمواجهة كقرض غير ثابت داخلي (١٨) •

ووافق المجلس اللين العريكة على امرين كشيئين طبيعيين • وكانت المعلومات الزائفة قاعدة بعد ذلك في كل الدورات •

وانعقدت الدورة الثالثة للمجلس الاول من يناير الى ٢٢ مارس ١٨٦٩ • وكان خطاب الخديو اكثر افاضة هذه المرة •• تحدث عن بعض الاصلاحات الزراعية ، والغاء النظر في قرض الضرائب وبعض الوفر في المصروفات واصلاح الطرق •• الا انه اشار الى ان بعض الفلاحــين قد اضطروا للمتاعب فيمشروع قنــاة السويس ، وكان من المتوقــع ان تعوض مصر منها (بدخل معقول) •• وقال ان الحكومة قررت التوسع في الزراعة والتجارة في السودان • وان تقــوم ببعض الاصلاحات فــي الخطوط الحديدية ، وان التعليم في مصر سار في خطوات معقولة •• واشار الى ان المباحثات مع اوربا بشأن المحاكم المختلطــة تسير سيرا حثيثا (١٩) • وكان خطابا اكثر من متفائل ، واعطى معلومات خاطئة عن كمية القرض المنقول • ولم يشر الى الدين غير الثابت على الاطلاق (٢٠)

واستغرقت كل مداولات هذه الدورة تقريبا رغبات الاعضاء ، في اسئلة حول بعض المصالح والمطالب الشعبية الخاصة •• وقــد تقرر ان تصدر مراسيم تعيين اعيان الريف بمشاركة الريفيين انفسهم •• فلا يجب اقالة المدير الا بعد التأكد من سوء سلوكه وبحكم من احدى المحاكم ••

واعطيت اهمية لتخطيط المدن والقرى بواسطة مهندسين مع الاهتمام بشق الشوارع والاصلاح الزراعي وحفر وصيانة الترع ٠ وبالنسبة لمجلس التنظيم الزراعي ــ الذي تقرر في الدورة السابقة ــ فقد رؤي اقامة لجنة كبرى مهيمنة من الرسميين المختصين تسمى مجلس تفتيش الزراعة ٠٠ وطالب المجلس من الحكومة انشاء المزارع التجريبية (النموذجية) (٢١)

وفي نهاية ١٨٦٩ اجريت انتخابات جديدة ٠ وافتتحت الدورة الجديدة في اول فبراير ١٨٧٠ ، واستمرت حتى مارس ١٨٧٠ ٠ واعيد انتخاب عبدالله عزت رئيس دورات ٦٨ و ٦٩ رئيسا لهذه الدورة ايضا ٠

وكان خطاب الخديوي في هذه المرة مختصرا ، وتجنب فيه الحديث عن سياسة مصر ، ولم يشر تقريبا الى ما فعلته الحكومة في العام السابق ٠

وكانت رغبات هذه الدورة ــ كما عرضها الاعضاء ــ عن الزراعة واصلاحات الري ، وعمليات تشييد واصلاح الكباري والخزانات ، وتطهير القنوات ٠ واتجهت بعض الرغبات الاخرى الى اصلاح القضاء واقامة اعمال ولو في اقل الحدود في كل مديرية بدلا من المحكمة الوحيدة التي تخدم كل دائرتين او ثلاثة ٠٠ وانشاء محكمتي استئناف في جرجا والمنيا ٠ وقد قوبلت هذه الرغبة بتأييد من الحكومة ٠

وقدمت الحكومة ميزانية العام الماضي في هذه الدورة ٠ واعترض بعض النواب على بعض الفقرات غير الهامة فيها ٠ (٢٢)

وفي عام ١٨٧١ اجتمع المجلس تحت رئاسة ابوبكر راتب ٠ ولاسباب غير معروفة لم يجتمع في الشتاء كما كان مقررا ، بل في شهور الصيف الحارة من ٩يونيو الى ١٦ اغسطس (٢٣) ٠ ولم يشر او يلمح الخديوي في خطابه هذه المرة الى المسائل الاقتصادية او السياسية في مصر ٠ وتمنى للمجلس تمنيات طيبة مختصرة ٠

وعادت المناقشات في هذه الدورة تدور بصفة اساسية حول الاصلاحات الزراعية والقضائية . وطلب المجلس من الحكومة الغاء ضريبة المواشي التي كانت قد فرضت في ذلك العام .. واذعنت الحكومة للطلب .

وفي الدورة التالية اجيبت بعض الرغبات في هذه المجالات بعد ان حولت من مجلس الوزراء .. وحضر مناقشتها اربعة من الوزراء .. وغير ذلك فقد تقرر اقامة مجلسين في كل قرية .. مجلس مشيخة البلد الذي يختص بالشؤون الادارية . ومجلس دعاوى ويختص بالمسائل العامة للقرية . كما اقيم مجلس مركزي في كل مديرية ويسمى مجلس الدعاوى المركزية .. والذي عن طريقه يجب ان تأخذ الموضوعات طريقها الى المجلس المحلي في كل قرية .

وفي المناقشات في هذه الدورة . سجلت بعض الاقوال الفظة من بعض الاعضاء (٢٤)

ولم يجتمع المجلس في عام ١٨٧٢ . وانعقدت دورته التالية من ٢٦ يناير الى ٢٤ مارس ١٨٧٣ . وفي خطاب الافتتاح اشار الخديوي الى رغبة الحكومة في اصلاح الكباري والخزانات .. واعلن تشييد خط سكة حديد السودان في خلال ثلاثة او اربعة سنوات . ولم يشر الى مشروع قرض بمبلغ ٢٣ مليون جنيه عقد في يوليو ١٨٧٣ . (٢٥)

وقد تناول الاعضاء المسألة الزراعية في هذه الدورة باهتمام .. وابدوا بعض الملاحظات حول مشروع سكة حديد السودان .

وفي عام ١٨٧٤ و ٧٥ لم يدع المجلس للانعقاد . وبعد انتخابات جديدة دعي المجلس لدورة غير عادية في طنطا في ٧ اغسطس ١٨٧٦ ، وكان الخديوي يريد من المجلس ان يساعده في جمع ضرائب المقابلة (٢٦). ولقد حدث على اي حال ان اعترض عثمان الهرميل على طلب الخديوي وطلب من الحكومة في كلمات محددة واضحة ان تقدم بيانا شاملا مفصلا عن سياستها المالية في الماضي والمستقبل والحاضر .

وفي الجلسة التالية للدورة غير العادية اعلن ثلاثة من الاعضاء ـ ليس الهرميل من بينهم ـ انهم اطلعـوا على تقارير مؤكدة ووثائـق رسمية من الماليين الرسميين وانهم اقتنعوا بما اطلعوا عليه •

وفي جلسة ١٠ اغسطس ١٨٧٦ مـن الدورة غـير العادية اعلـن المجلس موافقته على سياسة الحكومة الحالية • وفضت الدورة •

ولقد كان هذا الطلب الواضح من احد الاعضاء ـ ولو انه لم يكن غير حقيقيا او جادا كل الجد •• (٢٨) الا انه كان دليلا صادقا على نقـد الحكومة في اضعف اوضاعها في ذلك الوقت •• وهو الوضع المالي • وان هذه الملاحظة بالذات والجريئة في وقتها ، ستكون نذيـر معارضة حقيقية للخديوي ، ولبعض اخطائه السياسية فيما بعد •

ولم تؤثر هذه الدورة غير العادية في الاجتماع السنوي العادي •• فلقد استمر المجلس المنتخب الجديد من ٢٣ نوفمبر ١٨٧٦ الى ١٥ فبراير ١٨٧٧ •• ومحاطا بوزرائه كالعادة افتتح الخديوي الـدورة بخطاب اشار فيه الى اجتماع طنطا غير العادي وما اتخذت فيه من قرارات عن دين المقابلة مع جوشني وجوبرت حول ديون مصر •• (٢٩)

ثم طلب من المجلس مناقشة دين المقابلة مرة اخرى واجراء المناقشة حول اسلم الطرق للوصول الى اسلوب صحيح لجمع هذا الدين •• ملوحا في مقابل ذلك بتنفيذ وزارة الاشغال للرغبات التي سبق ان قدمها المجلس اليها والتي تحتاج بالطبع الى ميزانيات اضافية •

وان الخديوي وهو يلجأ الى المجلس للعون في جمع دين المقابلة ، انما كان يضع يد المجلس ـ من حيث لا يدري ـ في ادارة دفة الشؤون المالية في مصـر •

وفي هذا العام ، لم يكن رد المجلس على خطاب الخديوي يتضمـن الاطراء المعتاد في السنين السابقة •• كان كل ما جاء فيه كلمات للمجاملة

تشير الى همة الخديوي في تنظيم ديون مصر من الناحية المالية والاقتصادية •• وتهدف الاشارة الى ترحيب المجلس برغبة الخديوي في ان يشارك المجلس الحكومة في بحث السياسة المالية للبلاد •• ولقد عاد خطاب المجلس يؤكد انه سيفيد من هذه البادرة •• والتي سماها « منحة » في بعض الفقرات •

كانت الروح في المجلس تختلف تماما عن اول مجلس منذ عشر سنوات مضت •• وكانت نوع القرارات ايضا تختلف وقد اكد فيها الاعضاء رغبتهم في الاشراف على مصروفات الحكومة •

ولمواجهة هذه الاتجاهات ظهر حافظ عفيفي ــ احد كبار موظفي ادارة المالية ليجيب بنفسه على بعض الاستفسارات المالية التي اثارها الاعضاء في مداولات هذه الدورة •

ولقد دعي هذا المجلس مرة ثانية للانعقاد عند قيام الحرب التركية الروسية ••• وبعد ان ندد الخديوي باعتداء روسيا على الدولة التركية ، واعلن انه من الضروري ان ترسل مصر جيوشا لمساندة الجيش التركي •• ثم طلب بهذه المناسبة ــ من الاعضاء تقدير المبلغ اللازم لتعين الجيوش المصرية المتوقع تشكيلها لهذا الغرض •

وظل هذان الموضوعان يناقشان طوال جلسات المجلس التي انعقدت حتى ١٦ مايو ١٨٧٧ دون ان يتخذ فيها قرار بات •• الا ان دعوة المجلس لمناقشة هذين الموضوعين كانت تمثل تحولا هاما في تاريخ الحياة النيابية في مصر ، وما اصبح للمجلس من اهمية في مناقشة الشؤون المالية فيها •• فما كان على الحاكم ــ اي حاكم في مصر ــ قبل ذلك التاريخ اذا اراد اموالا اضافية ــ الا ان يفرض ضريبة جديدة ، ثم يحجز لنفسه منها ما يشاء بعد ذلك •

وفي الدورة الثانية لمجلس ١٨٧٦ استمر المجلس من ٢٨ مارس

١٨٧٨ الى ٢٧ يونيو • وافتتح الخديوي المجلس مع وزارته • وعندما قريء خطاب الخديوي كان يحوي الاشارة الى الخسائر التي سببها فيضان النيل الهائل عام ١٨٧٧ •• والى نهاية الحرب التركية الروسية وقرب عودة القوات المصرية من ميدان القتال ••

وشكر الخطاب اعضاء المجلس على تأييدهم للتجهيز لهذه الحملة المصرية ، ووعد ان تقدم الحكومة تقريرا عن مصروفات التجهيز •• وفي اشارة مقتضبة اعلن عن ترشيخ لجان اوربية لبحث الديون المصرية وموقف مصر المالي (٣٠)

وقرر المجلس اول الامر ترشيح لجنة خاصة لكل مديرية للاشراف على توزيع الحبوب وتحديد الاعانة اللازمة للذين اصيبت اراضيهم في قحط ١٨٧٧ • وعرضت على المجلس مشروعات مراسيم بتحديد بعض الالتزامات على الاراضي كحلول لتحسين الري •• وقدمت الحكومة تقريرا عن مصروفات تجهيز حملة الحرب التركية الروسية ، ولكنها في نفس الوقت اغفلت تماما تقديم الميزانية للمجلس (٣١)

اي تقييم للاعمال التي قامت بها المجالس ايام اسماعيل حتى نهاية عام ١٨٧٨ لا بد ذا يتضح التزامها بدائرة محدودة من العمل النيابي والتشريعي •• ولا يمكن اغفال اهتمام اعضاء المجالس ببعض النشاط خارج المجالس مثل البحث عن الاصول التشريعية لاعمال مجالسهم •• الا ان اهتماماتهم داخل المجلس وهم جميعا من طبقة كبار الملاك — انحصرت دائما في الموضوعات والمشاكل التي تتصل باهتماماتهم الشخصية كمسائل الري والزراعة والملكية الزراعية والقضاء • وحتى مسألة التعليم التي بدأت مناقشتها بحماس في دورات ١٨٦٦/٦٧ عادت فانزوت في اركان الاهمال والفتور في الدورات التالية •

اما الامر الثاني لا بد ان يكون قد لاحظه الكثيرون من معاصريهم

او الذين تتبعوا خطوات نشاطهم النيابي والاجتماعي ، فهو الاهتمـــام التدريجي بظروفهم الخاصة وتنمية معنوياتهم الفردية لتحقيق شخصيتهم في مجلس النواب او خارجـه •• فان اسماعيــل باشا ليؤكــد اهداف الدستور تحقيقـا لاغراضه ، كان ينمــي شعورهم في رغبته القويــة لاستشارتهم في مسائل كثيرة •• ولقد عمق هذا المفهوم ثقتهم في انفسهم خصوصا اولئك الذين توالت انتخاباتهم في المجالس مرة بعد اخرى •

ومن الملاحظ والواضح ان هذه الروح ظهرت جلية في مجلس ١٨٧١ بعد وقت قصير من وصول جمال الدين الافغاني الى مصر ، بالرغم من انه ليس هناك دليل واضح على تاثير الافغانــي على المجلس في هذا الوقــت المبكر •• فمن المعروف مثلا ان عبد السلام المويلحي الذي كان واحدا من اشد المتمسكين بحقوق المجلس التشريعية ، يقود بعض المتعلمين المتحررين من اعضاء المجلس وينتشرون في اللجان الهامة والرئيسية ، مــن تلامذة الشيخ جمال الدين الافغاني •• ومع كل هذا ، ومع ان هذه المجموعة هي التي قادت حركة المجلس في اعوام ١٨٧٩/١٨٨٢ •• الاانه لايزال الاثبات يفتقر الى دليل علىتاثير الشيخ الافغاني تاثيرا مباشرا على المجلس او على اعمالــه •



مجلس ۱۸۷۹

مجلس عام ۱۸۷۹ كان آخر المجالس في عهد اسماعيل •• بدأ في ۲ يناير ۱۸۷۹ واستمر حتى ٦ يوليو من نفس العام • وافتتحت الدورة وسط اضطراب شعبي وجد طريقه بين صحف تلك الفترة • وافتتح الخديو الدورة مصحوبا بولي عهده توفيق والوزراء •• واعلن بدء الدورة •• وقرىء خطاب الخديو فكان مقتضبا •• لم يتضمن سوى توجيه المجلس الى مناقشة المسائل المالية بنفس الاهتمام الذي يناقش به المسائل العامة •• ثم تمنى للاعضاء النجاح في مهمتهم (۳۲) •

وانتخبت اللجنة الفرعية الخاصة بالرد على خطاب الخديوي — كما هي العادة — من مشاهير الاعضاء امثال عثمان الهرميل وعبد السلام المويلحي ومحمد العطار وبديني الشريعي • وكان الرد على خطاب الخديوي الذي القاه المويلحي بعد ايام في حضرة الخديوي في قصر عابدين شاملا مجملا في بيانه • شكر الخديوي على رعايته لتطور المجلس في ممارسة حقوقه الدستورية في مناقشة الوزراء في مسؤولياتهم (۳۳) واشار — ولكن في غير وضوح — الى حقوق الامة المصرية في الحرية ، وحق مجلس شورى النواب الدستوري في المشاركة في اتخاذ القرارات والقوانين التي تؤثر على مستقبل مصر (٣٤) • كان ردا شجاعا يعكس الحرارة الوطنية والتحرر وتأثر الفكر النيابي بالمذاهب الديمقراطية ،

ويعطي انطباعـا قليلا عـن اثر الشيخ جمال الدين الافغانـي وتعاليمه الثوريـة .

وفي خلال الشهرين الاولين لهذه الدورة وجه المجلس كل اهتماماته لمناقشة موضوعي المسائل المالية ، والمحافظة على حقوقه الدستورية ..

ففي ٥ يناير ١٨٧٩ اقترح محمد العطار ان تتسع المناقشات اكثـر ما هي عليه وان تقـدم الحكومة البيانـات التي يطلبهـا الاعضاء حتى يتمكنوا من استيفاء المعلومات التي يحتاجونها في مناقشاتهم .. وبينما كانت وزارة المالية تلف وتدور حول هذا الطلـب وتماطل في تقديـم البيانات ، سارعت وزارة الاشغال العامـة فأغرقت بمعلوماتها وبياناتهـا جلسات اللجان لتشغل الاعضاء عن مماطلة وزارة المالية ..

ولكن محمود العطار عاد يطالب بان تتم مناقشة الموضوعات الهامة في الجلسات العامة وليس في جلسات اللجان الفرعية الضيقـة فقط .. وقف المويلحي في احدى الجلسات يسأل الحكومة عما اذا كانت تنوي أصدار مشروع ميزانية الحكومة قبل عرضها على المجلس .. وكان في السؤال استنكـار اكثر مما هـو تساؤل دستوري .. ووقف بعـده محمود رياض ليعلن ان المجلس لن يوافق على السياسة الضريبية قبـل مناقشة السياسة المالية للحكومة .. ورفضت فعلا احدى اللجان الفرعية ضريبة للعقارات المنقولة .. وفي النهاية اذعنت الحكومة لطلب المجلس ووعدت بعرض ميزانيتها عليه قبل اعلانها .. (٣٥)

ولم يتوقف المد التحرري عند حـد .. ففي احـدى الجلسات التالية لعرض الميزانية وقف العطار والمويلحي ليعلنـا غاضبين رفضهما لاحد المراسيم المالية التي صدرت في ٦ ينايـر ١٨٧٩ بـدون مشورة المجلس .. وتحدثوا كثيرا في هذه الجلسة عن حقوق نواب الشعب في ان يمثلوه في كل ما يتخذ باسمه من قرارات .. وان كـل ما يخص

الشعب المصري لا يمكن ان يتخذ فيه قرارات نهائية قبـل عرضه على ممثليه .. اي المجلس ..

وسرت في المجلس روح التأييد لهذه البادرة القوية الصلبة في كلمات ثائرة يتوالى بها الاعضاء على المنبر .. حتى اضطـر نوبار باشا ان يتحدث نيابة عن الحكومة ويهدىء ثائرتهم .. ولكي يعلن حسن نية الحكومـة قدم بعض البيانات التي كانت الحكومة ترفض من قبل تقديمهـا للمجلس .. ولكنها كانت كلها بيانات زائفة مضللة (٣٦) .

وفي هذا الجو المشحون بالثوريـة والمطالبة بالحقـوق الدستوريـة والتشريعية .. وبعد الاهتمام الذي ابداه بعض الاعضاء لما سمي « بتمرد الضباط » .. اتخذ الخديو قرارا بتعطيل المجلس .

وفي جلسة تاريخيـة بحضور رياض باشا رئيس الـوزراء ، رفض المجلس ان ينفض .

وتحدث محمود راضي وعبد السلام المويلحـي وبديني الشريعـي وباخوله لطف‌الله مرارا وتكرارا يطالبون ـ بالرغـم من انتهاء الثـلاث سنوات المقررة للمجلس ـ ان يستمر في الانعقاد للظروف غـير الطبيعية التي تمـر بها البـلاد ، وليتسنى للمجلس مـن ناحيـة اخـرى مناقشة السياسة المالية التي طالما وعدت الحكومة بتقديمها للمجلس دون ان تبر بوعدها ، بينما الصحافة الاوربية والصالونات المصرية تلوك اخبارها ومـا يمكن ان‌تتعرض له البلاد منها .

وبعد يومين من هذا الحدث الخطير الذي وقع في ٢٧ مارس ١٨٧٩ ، اجتمع الاعضاء في القاهرة ووقعوا جميعا على التماس رفعوه للخديو ضد الحكومة لتجاهلها المجلس واعلانها افلاس مصر (٣٧) ، دون عرض القرار على المجلس الذي كان من الممكن ان يتخذ من الاجراءات ما يجنـب البلاد هذا القرار الشائن .

ولقد كان هذا الموقف المتشدد ، غير المتوقع ، من المجلس ، احد الاسباب التي اطاحت بمجلس وزراء رياض باشا .. وكانت اول خطـوة قام بها شريف باشا بعد توليه الوزارة ، هي ان يبلـغ المجلس استمـرار انعقاده في خطاب ارسله الى رئيس المجلس .. وقراه رئيس المجلس على الاعضاء في جلسة بتاريخ ١٠ ابريل ١٨٧٩ .

وفي ٢٧ مايو من نفس العام قدم شريف باشا الى المجلس اللائحة

الاساسية التي اعدها •• ووعد بان يقدم للمجلس دستورا جديدا ينص على الا يصدر قرارا الا بموافقة اعضاء المجلس •• وبعد قراءة هذه اللائحة الاساسية على الاعضاء انتخبت لجنة فرعية لمراجعة اللائحة وتقديم تقرير عنها الى المجلس •• وكما كان متوقعا فقد انتخب المويلحي وعثمان الهرميل وبديني الشريعي وباخولة لطفالله ضمن اعضاء اللجنة .

اما الدستور فلم يقدمه رياض باشا الى المجلس ابدا كما وعد •• لان الخديوي كان يعارض فكرة اصدار دستور معارضة تامة •• وبعد تولي توفيق الحكم عقد المجلس جلسته في ٦ يناير التالي •• وكان قد تبدل اسمه من مجلس شورى النواب ، الى مجلس النواب •• وفي هذه الجلسة ابلغ المجلس ان بحثه قد طال كثيرا في مناقشة اللائحة الانتخابية دون ان يصل الى نتيجة •• وطلب منه ان ينفض . (٣٨)

كان مشروع دستور شريف باشا هاما .. وكان يطابق في كثير من مواده لمرسوم اقامة مجلس ١٨٦٦ .. وكان يتضمن ٩٤ مادة مع تخفيف طفيف لبعض مواد مرسوم ١٨٦٦ (٣٩)

وكانت اهم مواد دستور شريف الجديدة هي :

ـ للاعضاء مطلق الحرية في التعبير عن ارائهم .. ولا يجوز ان يكون احد منهم مرتبطا في رايه بتعليمات تصدر له او وعد او وعيد يوجه اليه .

ـ مداولات النواب ومناقشاتهم في الجلسات العمومية تكون علنية .. ويجوز ان تكون سرية متى طلب ذلك احد النظار (الوزراء) او عشرة من النواب .. على ان يقر المجلس ذلك .

ـ اذا رفض مجلس النواب قانونا من القوانين او بندا من بنود احد هذه القوانين مما يعرض عليه من مجلس النظار (مجلس الوزراء) فلا يجوز تقديمه الى المجلس مرة ثانية في اثناء مدة انعقاده هذه السنة .

ـ النظار (الوزراء) مسؤولون امام مجلس النواب عن كافة الاحوال والاعمال المختصة بها ادارتهم . وبناء على ذلك يجب على مجلس النظار المبادرة لوضع قانون لمحاكمة الوزراء عند الاقتضاء ويعرض على مجلس النواب لاقراره .

ـ في اول اجتماع لمجلس النواب ، يجب على مجلس النظـار ان يقدم للمجلس جميع اللوائح والقوانين والمنشورات التي يجري العمل بها في دواوين الحكومة لينظر فيها ويراجعها وينقحها ويعدل ما يرى تعديله منها ، ثم يجري التصديق عليها بحضور الخديوي لتكون دستورا للعمل بعد ذلك.

ـ يجوز لكل مصـري له حق الانتخاب ان يقـدم للمجلس عريضة (مذكرة) بواسطة احد النواب .

ـ من حق النواب مناقشة النواحي المالية في الحكومة .. ومن حقهم تعيين الايرادات وكيفيتها ، والضرائب والجبايات وطريقة توزيعها واوقات تحصيلها .. فلا يجوز فرض ضريبة من اي نوع كانت ولا يجوز توزيعهـا ولا تحصيلها ولا تكليف الاهالي بها الا بعد موافقة مجلس النواب .. كما لا يجوز صرف شيء من متحصلات الضرائب زيـادة عما يقرره مجلس النـواب .

ـ للسودان ان ترسل أعضاء منتخبين عنها الى مجلس النواب .

وكان موقف مجلس النواب البطولي هو الذي فرض هذا التوسع في السلطات الذي تضمنه الدستور الجديـد .. خصوصا في طريقة عرض الدستور نفسه على مجلس النواب لمناقشته واقراره كـان اعلانا باذعـان الحكومة للمطالب الدستورية والتشريعية للنواب .. ساعد على هذا اتجاه الخديوي الاستسلامي للتخلي عن كثير من سلطاته تحت ضغط الثـورة العسكرية بقيادة عرابي في تلك المرحلة .. فقد كانـت مهادنـة الخديوي للمجلس هي احدى علامات هذا الاستسلام ، كمـا لاحظ شارل فيفيان قنصل انجلترا في مصر في ذلك الحين (٤٠) . اذ يقول فيفيان في تقريره ان رغبة الخديوي توفيق في ان يتظاهر بالروح الدستورية العالية هي السبب في نمو « تمرد عرابي » .. يقصد ثورة عرابي .

ولقد كان تظاهر الخديوي هذا ، هو الذي دفع شريـف باشا الى تقديم هذا الدستور الحر المتحرر .



مجلس ١٨٨١ ــ ١٨٨٢

كانت سنوات ١٨٧٩ ــ ١٨٨٢ من السنوات المليئة بالاحداث في تاريخ مصر . كان السخط على التدخل الاجنبي الاوربــي في السياسة المصرية هو احد العوامل المحركة لحركة عرابي وضباطه . وفي اوائــل عام ١٨٧٩ كانت هناك مطالب بدعــوة مجلس النواب . وقدمــت الى الخديوي توفيق عريضة جريئة وقعها ١٦٠٠ شخص في عام ١٨٨١ تطالب توفيق باعادة الحياة النيابية (٤١)

وكانت احد المطالب التي قدمها عرابي الى الخديوي توفيق في المقابلة المشهورة ، هي دعوة مجلس النواب على ان يكــون له نفس الحقوق الدستورية والتشريعية التي تتمتع بها المجالس الاوربية (٤٢) .. وكان هذا الطلب ضمن قائمة عرابي ، ظاهرة هامة وكبــيرة على تقدم الوعي النيابي في مصر .. ولو نوقش هذا الجزء من مطالب عرابي على حدة .. الجزء الخاص بعودة الحياة النيابية .. لتبين الى اي قدر كان قد بلغ التقدم المعنوي للمثقفين المصريين في هذه المرحلة بقيادة ضباط الثورة العرابية .

ونزولا على طلب عرابي .. وتحت ضغط ثورة الضباط ، قــرر الخديوي توفيق دعوة البرلمان الى الانعقاد .. ويبدو ان عرابي وضباط الثورة قد حاربوا لفرض قانــون ١٨٧٩ الانتخابي (٤٤) .. القانــون

الذي قدمه شريف .. ولكن رأي القناصل الاجانب تغلب في النهاية ليدعى المجلس للانعقاد على اساس قانون ١٨٦٦ الانتخابي .. وربما كان لشريف باشا تأثيره ايضا في هذا القرار ..

وعلى كل حال فقد كان مرسوم ٤ اكتوبر ١٨٨١ مختصرا.. ووجهت الدعوة للانتخابات الجديدة ، وتحدد يوم افتتاح البرلمان مع الاشارة الى سلطات وزير الداخلية لادارة هذه الانتخابات .

وبدأت الانتخابات يوم ١٠ نوفمبر ١٨٨١ .

وكانت الحكومة قادرة تماما على التدخل في الانتخابات ، التي تجري تحت اشراف العمد وبتوجيه من وزير الداخلية (٤٥) .. ولكن لتغطية هذا التدخل انذر شريف باشا المسؤولين في الحكومة من التدخل في الانتخابات كاجراء روتيني ولذر الرماد في العيون .. ولقد كان من السوء بمكان ان تكون هذه هي اول حكومة تصدر منشورا يخص حرية الانتخابات في مصر ..

وقد استطاع عرابي وضباطه ان يحيطوا الانتخابات بالحرية بنفوذهم القوي (٤٦) .. واعطى الناخبون اصواتهم بحرية تامة .. وان كان عدد الذين ذهبوا الى صناديق الانتخابات قليلا ، تبعا لتقرير « لوريا » احد المفتشين الاربعة الذين اشرفوا على الانتخابات (٤٧)

ومن المرجح ان قلة هي التي اهتمت بالانتخابات .. واكثرها كان لطبقة الكبيرة والحاكمة .... فاعضاء مجالس ١٨٨١ — ١٨٨٢ كانوا جميعا من الاعيان المحترمين والاغنياء .. وكثيرون منهم ينتمون الى العائلات التي ارسلت ابناءها الى المجالس الماضية .. ولا شك ان هؤلاء ظل اهتمامهم متصلا بهذا المجلس ايضا .. بل انهم وقد رأوا ان امتيازات هذا المجلس اكثر من سابقيه . فقد حدثهم طموحهم بان في قدرتهم هذه المرة ان يطالبوا بالمزيد من الامتيازات ، خصوصا وقد اصبحوا مزودين بخبرة وتجارب في المبادىء البرلمانية والتشريعية (٤٨)

وقليل من الموظفين الرسميين غير اللائقين تماما دفعت بهم الحكومة الى الانتخابات ليقوموا بدور مشين فيما بعد ٠

وفي ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ افتتح الخديو الدورة الجديدة للمجلس ٠ وكان الافتتاح كما هي العادة علنيا (٤٩) والقى الخديو توفيــق كلمة الافتتاح بنفسه ٠٠ وفيها اكد اهتمامه بمصالح الامة المصرية ورغبتـه ان ينال المجلس ثقة الشعب والحكومة ٠ ولـم ينس ان يذكر الاعضاء بضرورة وضع الاتفاقيات المصرية مع الدول الاوربية في حسبانهم اثنـاء مداولاتهم ٠

وبعد خطاب الخديــوي ٠٠ تكلم محمــد سلطــان باشا رئيس المجلس ، فشكر الخديوي ثم ذكر الاعضاء بواجباتهم نحــو السلطان العثماني والباب العالي وارتباطاته بالقوى العالمية (٥٠) ٠٠ وختم خطابه بتحفيز الاعضاء للعمل في خدمة بناء الوطن ٠

وكانت العادة ان يقوم الاعضاء ــ بعد خطاب الخديوي والرئيس ــ بانتخاب لجنة فرعية للرد على خطاب الخديوي ٠٠ ولكن شيئا غير عادي حدث في هذه المرة (٥١) ٠٠ اذ وقــف سليمان اباظه باشا فحيـا الخديــوي ورئيس المجلس واشار الى ما تنتظره الامة على يدي هــذا المجلس ٠٠ وكانــت هذه ظاهــرة لازدياد الاحساس بــين الاعضاء بالاستقلال والثقة بالنفس (٥٢)

فلما انتخبت لجنة الرد على خطاب الخديوي ، كان ايضا رئيسها في هذه المرة عبد السلام المويلحي وبعد ان وافق المجلس على مشروع الرد ، قريء امام الخديوي في قصر الاسماعيلية في ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ ٠ وكان الرد مملوءا بالتعبير عن الولاء للخديوي وللباب العالي ٠٠ دون ان يغفل تأكيد المجلس بان اول واجباته هي رعاية مصالح الامة (٥٣)

ومع بداية الاجراءات التقليدية في المجلس ، بدأ الخديوي يحاول

فرض سيطرته على المجلس بالتوجيه أحيانا وبالتآمر احيانا .. فقد كان محمد سلطان باشا من اخلص مؤيدي عرابي ، ولكنه في نفس الوقت كان على اتصال سري بالخديوي .. (٥٤) الامر الذي جعل وجهات نظره مقبولة عند عرابي والخديوي في وقت واحد .. فقد حصل على موافقة الخديوي ورضاؤه الكامل عن ترشيح كل من عبدالله فكري باشا واديب اسحاق باشا لسكرتارية المجلس ، مع انه كان معروفا عنهما أنهما من مؤيدي عرابي .. خصوصا اديب اسحاق الذي كان يقود حملة صحفية واسعة لتأييد عرابي .. وكان عرابي هو الذي طلب ترشيحهما لهذا المنصب .

ولما كان هذا هو آخر مجلس من نوعه في مصر كما قال الجميع .. فقد كانت كل اجراءاته تعطي صورة نظيفة وحرة .. فبعد انتخابات اللجان الخمس المعروفة ، روجعت صحة نيابة العضوية في ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ وفي نفس الجلسة تقرر بحث اللائحة الاساسية تبعا للنظام القديم ، حتى توضع لائحة جديدة (٥٥) .. وانتخبت لجنة دستورية لوضع مسودة مشروع للائحة المجلس المتوقعة .. وكان رئيس هذه اللجنة — مرة اخرى — عبد السلام المويلحي .. وكان اعضاء اللجنة خمسة عشر عضوا بينهم حسن الشريعي .

وبعد خطاب شريف باشا الذي وجهه الى المجلس في ٢ يناير ١٨٨٢ ، والذي شدد فيه على احترام حقوق المجلس ، خيل للاعضاء ان الرجل يقف الى جانب اللائحة المقترحة .. وأحيلت اللائحة على بعض الوزراء لابداء الرأي .. ثم توقف الامر عند هذا الحد حيث كانت الاحداث تشير الى قرب استقالة الوزارة كلها .

فمن ٣١ يناير الى ٢ فبراير ناقش المجلس اقتراح شريف باشا بتجنب مناقشة المسائل الخاصة بالميزانية تفاديا لاحراج الحكومة في موقفها المالي الدولي .. وكان المجلس قد اثار ما اعلنه الخبيران الانجليزي والفرنسي

بمنع تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية للمحافظة على حقوق المولين الاجانب .. ونتيجة لما اثارته مذكرة العضوان الى الخديوي بتاييد دولتيهما لسلطة الخديوي ضد اي صعاب من شانها عرقلة مجرى الاعمال العامة في مصر .. ثم عادت المذكرة فزادت من الوضوح حين قالت ان الاحداث الاخيرة في الديار المصرية واخصها صدور المرسوم الخديوي بعقد مجلس النواب قد هيات الفرصة للحكومتين لاتفاقهما على منع ما عساه تستهدف له حكومة الخديوي من الاخطار ..

فقد كان معنى المذكرة الواضح ان الدولتان تعتبران مجلس النواب من الاخطار التي تستهدف لها حكومة الخديوي .. وان نواة هذه الاخطار هي مناقشة وبحث الميزانية المصرية لمجرد المحافظة على اموال المولين الاجانب .. فاعتبر اعضاء المجلس هذه المذكرة تدخلا في شئون مصر الخاصة .... وبضغط وحماية عرابي طالب المجلس بضرورة مراجعة الميزانية املا في ان تسقط حكومة شريف التي تعرقل عمل الثورة وتتواطأ مع الخديوي والنفوذ الاجنبي ..

وقد سقطت وزارة شريف فعلا .. (٥٧)

وجاءت وزارة سامي البارودي الاولى .. وقد ضمت هذه الوزارة لاول مرة اعضاء متحررين من المجلس امثال حسن الشريعي الذي قدم ــ هو وعبدالله فكري ــ اللائحة المعدلة من واقع انتقادات الاعضاء للائحة القديمة (٥٨) .. ولم تستغرق مناقشة اللائحة في هذة المرة يوما واحدا .. فقد قدمها الشريعي وعبدالله فكري الى المجلس يوم ٧ فبراير ١٨٨٢ .. وفي نفس اليوم نوقشت ، ووفق عليها ، ووقعها الخديوي في الحال .. وقدمها البارودي في اليوم التالي الى المجلس بعد كلمة مقتضبة .. وذهب المجلس باكمله ليشكر الخديوي .. ونظمت الاحتفالات في القاهرة والاسكندرية . (٥٩)

ظلت اجراءات هذا المجلس مغلقة على الجمهور (٦٠) .. وعقدت

بعض الاجتماعات ، واديرت بعض المناقشات الصريحة في الفترة بين ٩ فبراير و ٢٦ مارس ١٨٨٢ حيث انفضت الدورة •

ولم تخرج الموضوعات التي نوقشت في هذه الدورة كثيرا عن الموضوعات التي نوقشت في الدورات السابقة مثل الاصلاحات الزراعية والري واللوائح التجارية واعادة تنظيم القضاء بانشاء محكمة مدنية جديدة ، وجعل التعليم الابتدائي جبريا ــ وهو الاقتراح الذي قدمه المويلحي ــ وقانون المعاشات ، والقانون الجديد للانتخابات • (٦١)

وكانت دورة من الناحية التشريعية هادئة •• فكل ما احرزته من رغبات حولتها الحكومة في الحال الى قوانين (٦٢) •• وانتهت الدورة بخطاب ودي تبادله البارودي مع سلطان باشا •• (٦٣) ثم ذهب الاعضاء الى الخديوي يستأذنوه قبل العودة الى دوائرهم •• وبعض هؤلاء الاعضاء لعبوا دورا هاما في الاحداث التالية التي سيطرت على مصير البلاد •• (٦٤)

ولقد حاول مجلس ١٨٨١ ــ ١٨٨٢ ان يزيد من اشرافه على شؤون البلاد بوسيلة او باخرى •••• ولهذا عمل على ان يجعل صلاته بممثلي القوة الاوربية في مصر على احسن وجه •• فحال بينها بهذا الاسلوب ــ وبين محاولاتها الدائمة للتدخل في شؤون مصر الاقتصادية • (٦٥)

ومن المناقشات الحامية التي انعقدت في الدورة ، اقتراح بضرورة تصديق مجلس النواب على جميع المعاملات والاتفاقات التي تبرمها الحكومة مع البلاد الاجنبية او الجهات الاجنبية الاخرى •• ومن القرارات الاخرى الهامة التي وافق عليها مجلس الوزراء ان تقدم القرارات والمراسيم التي تصدرها الحكومة بكلمة « باقرار مجلس النواب » •

ولقد كان من الضروري مـــن مجلس مكون من كبـــار اصحاب الاراضي او كبار الماليين (٦٦) ان يولي اهتمامه الكبير لظروفه كمجلس .. وهو يرى انه يمثل النخبة التي تجسد الصالح العام للبلاد .. ولقد أعطى المجلس لذلك كل اهتمامـــه للوسيلة التي يوضح بهـــا الدستور الخاص به .

كان شريف يرى ان دستوره الذي قدمه بسيطا ومتحـــررا ، ولا يحتاج الى كل تلك المذكرات التي كتبت حوله .. فلقد اثـــار مشروع الدستور الذي قدمه شريف باشا الى المجلس ١٨٧٩ كثيرا مـــن الاخذ والرد لدرجة ان القنصل البريطاني اعتبر شريف باشا غير محدد الاتجاه بتقديمه هذا الدستور الى المجلس (٦٨) .. ولكن شريف على كل حال قد اوضح موقفه تماما حين لخص مشروعـــه امام المجلس في ٢ ينايـــر ١٨٨٢ ، والذي كان واضحا فيه ضغط عرابي وجماعته ..

وكان مشروع الدستور الذي قدمه شريف يتكون من ٥٣ مادة واهم مواده .. ان :

ـ الاعضاء ينتخبون لفترة اربعة سنوات

ـ يختار الخديوي رئيس المجلس بمشورة الوزارة من بـــين اعضاء المجلس (٦٩)

ـ الوزراء مسؤولون امام المجلس فرديا ومتضامنين .

ـ لا تفرض ضرائب الا بعد عرضها على مجلس النواب .. (٧٠)

وكان شريف يعتقـــد ان الدستور في كثـــير من نواحيـــه متحررا وتقدميا .. وبصرف النظر عن مديونية مصر للقوى الاوربية فلم يستطع المجلس ان يصوت على الميزانية او يبحث قانونا او يناقش جزية الباب العالي فقد كان المجلس لا يزال في باكورة حياتـــه ، وفي الوقت ذاتـــه كانت قوة الخديوي والحكومة والسلطان مـــن وراءهما لا تـــزال في عنفوانها .. (٧١)

ان كل ما كان في استطاعة هـذه المجالس ان تفعله ، هـو ان تشارك بنصيب في سن القوانين ووضع الضرائب ، كصورة متطورة في الفترة الاخيرة ــ وبعد ثورة عرابي على وجـه التحديد ــ للتعبير عـن سيطرة المجلس على الهيئة التنفيذية • (٧٢)

وليس أدل على ذلك من مذكرة مندوب القنصلية الفرنسية العامة في القاهرة (٧٣) الذي يقدم لنا فيها بعض المعلومات عن موقف السلطان التركي من هذا الدستور واصداره •• سينكويز ارسل تقريرا بناء على مصادره ــ غير المحددة ــ الى حكومته في فرنسا يقول فيـه ان الباب العالي راقب تحضير هذا الدستور وانذر شريف عدة مرات من ان يمنح المجلس سلطات واسعة ••

وعلى اي حال •• فان التعديلات التي اضافها المجلس بعـد ذلك الى مشروع دستور شريف باشا كانت طفيفة كما قال سلطان باشا رئيس المجلس لشريف •• والنقط الرئيسية في مشروع الدستور الجديد هي :

ــ كل مجلس مدته خمس سنوات

ــ اذا لم تكن الثلاثة اشهر كافية لانهاء المجلس لمهمتـه المحددة في الدورة ، فان له الحق في ان يمددها لفترة من ١٥ الى ٣٠ يوما •

ــ اذا اتخذت اجراءات جنائيـة ضد عضو المجلس لاي سبب من الاسباب ، فللمجلس حق وقف هذه الاجراءات حتى نهاية الدورة •

ــ للخديوي ان يختار رئيس المجلس من بين ثلاثـة اعضاء يرشحهم المجلس • وان تكون مدة رئاسة المجلس ٥ سنوات •

ــ اذا وجه المجلس سؤالا الى اي وزير فعليه ان يجيب بنفسه او بمن ينوب عنه •

ــ المسؤولية الوزارية لا تتجزأ ، وكذلك بالنسبة لقرارات الحكومة

ــ للمجلس الحق في الاشتراك في وضع القوانين ، وكذلك في المناقشة حول القوانين وتطبيقها •

ــ للمجلس ان يناقش جميع المشروعات وله الحق في الموافقـة على بعض موادها او عليها كلها •

ـ للمجلس ان يناقش الميزانية ، ولا تصدر الا بعد موافقته .

ـ لا تكون اي اتفاقية او معاهدة او التزام بين الحكومة واي جهة اخرى نافذة المفعول الا بعد موافقة المجلس ، كذلك بالنسبة لاي مقاولة عن اشغال عامة خارجة عن الميزانية ، او بيع شيء من املاك الحكومة او اعطاء ارض بدون مقابل ، او منح امتياز لاحد .

وكانت النقطتان الاخيرتان هما اكثر النقاط حدة .. فالتصويت على الميزانية كان قد اصبح موضوعا حساسا منذ طالب المندوبان المفوضان للاشراف على اموال المموِلين الاجانب الا يتدخل مجلس النواب في شؤون الميزانية .. كما ان النص على ان اي اتفاقية خارجية او معاهدة مع دولة اخرى تعتبر لاغية الا اذا وافق عليها مجلس النواب ، كان تغيرا ثوريا لسيطرة المجلس الكاملة على السياسة الخارجية للحكومة .. وسلب ــ في نفس الوقت ــ لهذه السلطة من يد السلطان والحكومة والخديوي والقوى الاجنبية التي تحاول ان تسيطر من ورائهم (٧٤) ولا بد من الاشارة الى ان الحكومة في هذا الوقت او قبله بقليل كانت لا تزال تتمتع بسيطرة كاملة على اغلب الاعضاء وهم من كبار اصحاب الاراضي او العمد او كبار موظفي الدولة .. وهؤلاء كانوا يمثلون بطبيعة الحال قوة المقاومة في وجه التحرر المذهبي او الفكري في ارض الوطن المجرد .

وكان الدكريتو الذي وقعه الخديوي في ٧ فبراير ١٨٨٢ (٧٥) . قريبا الى حد كبير من مشروع شريف الذي قدم في عام ١٨٨١ بعد ان اضيفت اليه التعديلات التي اشار اليها سلطان باشا في ذلك الحين .. وكانت كل التعديلات التي اشار اليها سلطان باشا قد اضيفت الى المرسوم الخديوي الجديد بكاملها .. حتى فيما يختص بالاشراف على الميزانية .

ولو ان المجلس لم يستطع استعمال هذه المميزات الجديدة

والخاصة بمناقشة ميزانية البلاد ، او التصديق على المعاهدات والاتفاقيات الخارجية •• فان مجرد صدور مرسوم الدستور الجديد في حد ذاته ، كان خطوة الى الامام ولها اهمية في تاريخ الحياة البرلمانية في مصر •• فان القرارات اللاحقة لهذا المرسوم لتفسير اجراء الانتخابات واللائحة القانونية للمجلس قد حددت الكثير من العلاقات الدقيقة بين الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية فيما بعد •

ففي مارس ١٨٨٢ صدر قانون موسع للانتخاب ، يتضمن سبعين مادة ، ومتأثرا بكثير من قوانين الانتخاب التي صدرت في مصر قبل ذلك •• أما التجديد الرئيسي فيه فقد كان مجسما في المادة الاولى التي يقول فيها ان كل مائة ناخب ينتخبون عضوا يختار بدوره عضو المجلس •• واصبح بذلك اعضاء المجلس ١٢٥ (٧٦) حيث كان من المتوقع ان يعطي هذا التوسع في الاصوات ممثلين حقيقيين للمجلس ، اكثر مما استطاعت المجالس التشريعية السابقة •• علاوة على انه يرفع من عدد الاعضاء في المجالس ، وبالتالي تتسع دائرة الاراء الممثلة في المجلس •

كان البناء الاجتماعي للمجلس قد بدأ يتضح بين عامي ١٨٦٦ و١٨٨٢ ، ليعطي مع التقدم نجاحا للنظرية التشريعية مع ضيق الحدود التي تتحرك في اطارها •

ففي مجلس ١٨٦٦ كان هناك ٥٨ عمدة من ٧٥ عضوا في المجالس •• (٧٧) فاذا اضفنا اعضاء القاهرة الثلاثة الى عضوي الاسكندرية — حيث لا يوجد عمد — لكان في امكاننا القول بان صفة الثراء كانت الصفة الغالبة على مجالس اسماعيل باشا •• حيث كان العمد في ذلك العهد يمثلون قوى الثروة في البلاد •

والاحساس الذي يخامر الباحث عن هذه المرحلة ، هو ان مصر كلها حتى المدن الكبيرة — كانت تساند وتؤيد انتخاب العمد لعضوية

مجلس النواب •• ويتأكد هذا الظن حيث نلاحظ انه في عام ١٨٦٦ قدمت المنوفية ٧ اعضاء •• والبحيرة ٥ اعضاء والجيزة ٣ ، وبني سويف والفيوم ٥ ، والمنيا وبني مزار ٦ •• وكانوا جميعا من العمد ، حيث لا يبدو ان احدا قد تقدم لمنافستهم •

وفي خلال الثلاث سنوات التالية من عمر هذا المجلس ، لم تحدث الا تغييرات طفيفة في عضوية المجلس لموت او استقالة بعضهم •• وعلى هذا الاساس فقد عاد الى المجلس بعض اعضاء مجلس ١٨٧٠ •• وحتى في ذلك الحين كان عدد العمد قد بلغ ٦٤ عضوا •• بعضهم جاء في تغيرات ٧١ ، وبعضهم في ٧٣ •

ولكن قليل من هؤلاء الاعضاء العمد ظهر من جديد في مجلس ١٨٧٦ • وفي هذه المرة كان العمد عددهم ٥٣ فقط ، ولقد كان هبوط عدد العمد الذي تعول عليه الحكومة عادة في فرض سيطرتها ، في الوقت الذي يزداد فيه عدد ذوي الخبرة النيابية والمثقفين والضباط في المجلس ، كانت الحقيقة التي اعطت هذا المجلس شخصيته المستقلة الواضحة •• حتى انه على الرغم من ان العمد كانوا يشاركون الاخرين في معارضة سياسة الخديوي المالية ، ويطالبون بالاشراف على ميزانية الحكومة والسيطرة عليها •• فقد كان يظهر دائما من المضبطة ان اولئك الذين يثيرون المناقشات حول هذا الموضوع ، ليسوا من هؤلاء العمد•

وقد كان هناك عدد اقل من العمد الذين انتخبوا في نهاية عام ١٨٨١ •• وقد يتضح من هذا أن الحكومة كانت في هذه الانتخابات تستعمل ضغطا اقل لتأييد هؤلاء العمد •• وربما كان ذلك لان الوعي بين جماهير الشعب قد تفتح على التجربة البرلمانية واهميتها •• ولكن المهم هو ان هذه الظاهرة كانت الاساس الذي قامت عليه الثقة بالنفس التي تمتع بها مجلس ١٨٨١ — ٨٢ •

على انه يجدر القول بان بواعث هذه الثقة بالنفس كانت تنبع

من عدد قليل محدد من اعضاء المجلس لما يزيد على العشرين او الخمسة والعشرين • الذين لهم الجرأة وسعة الافق ، والذين كانوا يمـلأون أوراق المضابط بمناقشاتهم •• وهم الذين كانوا ينتخبون عادة ليرأسوا اللجان •• وفي اغلب الاحيان كانوا يتمثلون في اولئك الذين ينتخبون ليرأسوا اللجنة الفرعية للرد على خطاب الخديوي •



الحياة البرلمانية من ١٨٨٣ ــ ١٩١٢

بعد الاحتلال البريطاني لمصـــر عام ١٨٨٢ ، ارسلت الحكومـــة الانجليزية اللورد دوفرين السفير البريطانـــي في استنبول الى القاهرة ليعيد تنظيم عجلة الاداة الحكومية .

وفي تقرير نشر اكثر من مرة واثار عدة تعليقات في حينه سجـــل اللورد دوفرين عدة اقتراحات عن اقامة حياة شبه نيابية في مصر (٧٨)

ولا شك ان مكتب القنصلية البريطانية في القاهرة كان قد امـــد اللورد دوفرين بكثير من المعلومات التي فاض بها تقريره .. فاذا كان مكتب القنصلية هو المصدر الرئيسي لمعلومات اللورد دوفريـــن . فمن الضروري ان يكون صلب هذه المعلومات مركزا في مذكرة هامة بعنوان « مذكرة عن الوزارة المصرية » كان قد كتبها سيرأوكلاند كولفن الذي كان واحدا من المشرفين في مصر يوما .

في هذه المذكرة التي ولا شك كانت الاساس الذي قام عليه تقرير اللورد دوفرين .. تصور كولفن انه يمكن اقامة حياة دستورية في مصر على غرار لجنة الحكام التشريعية في الهند .. وهي اللجنـــة التي تضع وتصدر القوانين ، ولكن لا تنفذها .. ومن سلطات هذه اللجنة ايضا ان توافق على الضرائب الجديدة ، ولكنها في نفس الوقـــت لا تناقش الميزانية . الا اذا كانت هناك ضرائب جديـــدة ستفرض .. وجلسات

هذه اللجنة علنية وتنشر مناقشاتها في الجريدة الرسمية •• أعضاؤهـا خمسة عشر الى جانب اللجنة التنفيذية التي تتكون من عضو عـن كل دائرة ، ينتخب من الاعيان في هذه الدوائر •• وهؤلاء الاعيان يمثلون مشايخ القرى في مصر •• على الا يكونوا من الزراعيين الذين تفرض عليهم حد ادنى من الضريبة الرسمية •• ودورة هذا المكتب سنتان ، على الا يكون لاعضائها حق الترشيح في دورة السنتين التاليتين (٧٩)

وقد ظل دوفريـن على اتصال مستمـر ليستشير ادارة الشؤون الخارجية في لندن اثناء اعداده للتقرير •• والى جانب ذلك راح يجمع كل ما يستطيع من المعلومات الممكنة عن الحالة في مصر والنشاطات التي قام بها مجلس النواب السابق •• وفي تقرير شيق الى اللورد جرانفيل في الايام الاخيرة من عام ١٨٨٢ ، شرح دوفرين انطباعاته ورسم خطوطا عامة لما انتهى اليه رأيه • (٨٠)

وجد دوفرين طبقة منتشرة في مصر من كبار المـلاك من سلالة العثمانيين المرموقين الذين ينظر اليهم الفلاحون كجنس ممتاز •• ولان دوفرين كان قد قرر ان يحكم الانجليز مصـر فقد افترض ان هـذه الطبقة من الملاك المماليك هي وسيلة الانجليز في حكم مصر •• ولكن قرر ان دستورا بين يدي هؤلاء الباشوات لن يحقق لهم السيطرة على الفلاحين ، بقدر ماتحققه لهم سلطة مباشرة وقوية •• وقد بنى دوفريـن حكمه هذا على ضوء ما رآه في مجالس النواب السابقة وما وصفه من وجهة نظره ـ بانه مثير وطفولي •• هذا الى جانب ان تركيـا وفرنسا وايطاليا ، سوف يعتبرون اقامة برلمان فلاحي في مصر مكيدة مدبرة ضد سلطات الباب العالي والمصالح المالية للدولتين الاوربيتين •

وعاد دوفرين يطالب باقتراح كولفن باقامة تجربة مماثلة لتجربـة الهند وقدم نفس الاراء التي قدمها كولفن في تقريره وفي النهاية وصف

دوفرين هذه الاراء بانها نظام شبه برلماني دستوري يتكون من مجلس شورى القوانين ، وجمعية تأسيسية متفرعة منه •• ولقد اصبح تقرير كولفن هذا القانون الاساسي لوسيلة الحكم الانجليزي في مصر •

ومجلس شورى القوانين الذي اقترحه دوفرين يتكون من ثلاثين عضوا ، ١٤ عضوا يمثلهم الرئيس واحد نواب الرئيس ويختارهم الخديوي من وزرائه وحاشيته •• وهؤلاء دائمون •• اما الستة عشر الباقون ــ بما فيهم نائب الرئيس الثاني ــ فينتخبهم اعيان المجلس ، وبالتصويت العادي من كل انحاء البلاد ، لفترة ست سنوات •

ومهام المجلس الرئيسية هي التشريع والميزانية ، ولكن ليس له الحق في اصدار القوانين •• اذ ان رأيه استشاري •• ويمكن لمجلس الوزراء ان يرفض مشورته على شرط ان يبدي اسبابا لرفضه •• ولكن دون ان يمنعه من الاطلاع على الشؤون الهامة في الدولة (٨١)

اما الجمعية العمومية فتتكون من ٨٢ عضوا •• الوزراء وهم ما يسمون باعضاء مجلس الخديو •• ومجلس شورى القوانين باعضائه الثلاثين •• والستة والاربعون الباقون ينتخبون من كل انحاء مصر •• ويرأس الجمعية العمومية رئيس مجلس شورى القوانين •

ويشترط في الستة والاربعين المنتخبون في الجمعية ان يكونوا فوق الثلاثين •• متعلمون •• لا يدفعون اقل من خمسين جنيها ضرائب مباشرة •

وكما هو الحال في مجلس شورى القوانين ، فان سلطة الجمعية العمومية لا تتعدى المشورة •••• وان كانت دائرة مشورتها اكثر اتساعا من مجلس الشورى •• حيث اعطيت سلطة التصويت على الضرائب وابداء الرأي في القروض الشعبية ، وبناء القنوات ، وتصنيف الارض •

فاذ رفضت الحكومة مشورة مجلس الجمعيـة في اي من هـذه الموضوعات ، فينبغي ان تعطي اسبابا موضوعية لرفضهـا •• خصوصا وان الجمعية ان تقدم هذه النصائح علنية ، وتتلقى جواب الحكومة فيها علنيا ، أيضا •• (٨٢)

واختلفت مستويات المكافأة بين عضو مجلس الشورى ، وعضو الجمعية العمومية •• فالاعضاء الاربعـة عشرة المختـارون والرئيس ونائبه والعضو المنتخب عن القاهرة في مجلس شورى القوانين يتقاضون تسعون جنيها سنويا ، كبدل عربـة •• ويتقاضى الاعضاء الستة عشرة المنتخبون ٢٥٠ جنيها سنويا بدل سفر لحضورهم الى القاهرة •• وبلغت ميزانية هذه المكافآت في عام ١٨٨٣ مبلغ ٣٧٦ر٥ جنيها •

أما اعضاء الجمعية العمومية ، فيتقاضون مصروفـات حضورهم وعودتهم وجنيها عن كل ليلة يقضونها في القاهرة ، على الا يزيد عـدد الليالي عن ثمانية (٨٣) •• وبشكل عام فقد كانت هذه المكافآت كبيرة بالنسبة لمستوى الحياة في مصر في ذلك الوقت •

لم تكن السلطـات المعطـاة لمجلس شورى القوانـين والجمعيـة العمومية كبيرة •• اللهم الا ان في قـدرة الجمعية العموميـة ان ترفض التصويت على الضرائب •• ولقد كانت على كل حال قادرة على ان تجمع الاموال بطريقة او اخرى بعيدا عن اعين وسلطة المجلسين ••

ولقد كان مما ييسر الامور ان العدد الكبير مـن اعضاء المجلس والجمعية من الاغنياء الموسرين من الاعيان فلم يكن للفقراء من يدافع عنهم في هذين المجلسين •• ولقد كان هؤلاء الاعيان مؤيدين في اغلب الاحيان للحكومة مما يسر لها فرصة السيطـرة على الاصوات في اغلب الاوقات •• وحتى اذا كان قـد اعطي للمجلس او للجمعية الحـق في التصويت ضد اي موضوع تراه الحكومة •• فقد اعطى لها الحق ايضا

ان ترفض اعتراض المجلس او الجمعية وان تجد الوسيلة دائما لأبداء الاسباب (٨٤) .

وهكذا كان العمل النيابي عاجزا وكسيحا في هذه الفترة ــ ولقد كان مما يبرر عجزه انه يعمل في ظل الاحتلال الانجليزي .. واستمر على تلك الصورة من عام١٨٨٣حتىعام ١٩١٢ .. وفي خلال هذه الثلاثين سنة ترأس مجلس الشورى سبعة رؤساء (٨٥) .. كانوا جميعا من باشوات البلاط .. واحدهم كان الامير حسن كامل الذي رأس المجلس من ١٩٠٩ الى ١٩١٠ .. ولذلك فقد ظل المجلس دائما تحت سيطرة الخديوي .

ففي يونيو ١٨٨٣ كانت قوائم الانتخابات قد اكتملت .. وكان عدد الناخبون المقيدون في القوائم الرسمية٣٩٥ر٩٠٣ من مجموع السكان الذي بلغ٠٠٠ر٨٠٠ر٦ اي بنسبة ٢٨ر١٣٪ ، او اقل من سبع السكان(٨٦) وفي التسع سنوات الاولى ، قام المجلسان الدستوريان الجديدان ــ وخصوصا مجلس شورى القوانين ببعض الاعمال الناقصة ، وقبلت الحكومة مشورتهما اكثر من مرة .. اجمالا او على اجزاء .. واحيانا كانت الحكومة هي التي ترسل في طلب استشارة اعضاء مجلس الشورى بشكل غير رسمي .. (٨٧) ومع ان سلطان باشا تربع على رئاسة مجلس الشورى والجمعية العمومية في ذلك العام ، (٨٨) فقد ران الجمود على اعضاء المجلس والجمعية ، واصبح عملهم في هذين المجلسين مجرد وظيفة ، دون ان يحاولا بابسط الطرق ان يثبتوا انهم جديرون بعمل نيابي وان يقدموا اي رأي ... او حتى نصيحة (٨٩)

كانت المناقشات والنصائح ترفع الى الحكومة وكأنها استجداء مغلف في ترانيم الولاء كانها الطقوس الدينية الشعبية ، الامر الذي بدا مستغربا في اعين الانجليز الذين كانوا يحكمون مصر في تلك الفترة .. لدرجة ان اللورد ميلز (اصبح سير الفريد فيما بعد) ابدى استغرابا

شديدا للاقتراح الذي رفعه المجلس في عام ١٨٩٥ يطلب قطع اطراف المتهمين في بعض الجرائم او صلبهم (٩٠)

وفي عام ١٨٩٢ بدا وكأن مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية قد استطاعا ان يستجمعا ثقتهما بنفسهما عما اظهراه من بعض التجارب في اعمال التشريع وعما بدا في قابليتهما للمناقشة .. (٩١) والظاهر ان معارضة الخديوي للانجليز في هذه المرحلة قد الهمتهم السير في نفس الطريق ولكن بحذر ونعومة .

ففي ديسمبر ١٨٩٢ رفض مجلس شورى القوانين النظر في ميزانية ١٨٩٣ ، بحجة انها لم تقدم اليه في صورتها النهائية .. ولو ان هذا الرفض لم يمنع الحكومة من اعلان الميزانية المعترض عليها .. الا انها كانت على اي حال اول بادرة معارضة تظهر في هذا المجلس (٩٢)

ويعتبر عام ١٨٩٣ انجح الفترات في عمر مجلس شورى القوانين ، (٩٣) لانه تحفظ على المصروفات الضخمة التي قررت لقوات الاحتلال .. وفي عام ١٨٩٦ احتج لانه لم يستشر في ميزانية الحملة السودانية (٩٤) .. وفي مرة اخرى دافع عن المخصصات اللازمة لترقية التعليم .. ولقد حاول ان يؤكد حقوقه وسلطانه في بعض الاحيان — باظهار روح العداء للاحتلال الانجليزي . (٩٥)

وبين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٢ كان رئيس مجلس شورى القوانين اسماعيل محمد باشا . وهو صديق شخصي لمصطفى كامل .. (٩٦) ولا شك ان اسماعيل محمد باشا قد اشاع روح السخط في المجلس ، والتي بدأت تتبلور ، ولكن بشكل صغير ، في الجمعية العمومية .

وكان الشيخ محمد عبده واحدا من الشخصيات الهامة في مجلس شورى القوانين الى جانب اهميته في مصر كلها كواحد من علماء المسلمين الكبار .. وقد عين الشيخ محمد عبده في مجلس شورى

القوانين في ٢٥ يناير ١٨٩٩ .. وسرعان ما اشاع في المجلس تأثر ملحوظ حتى اصبح قاسما مشتركا في جميع لجانه ، وكان قادرا دائما على ان يجد اوساط الحلول كلما اصطدمت الحكومة بالمجلس .. ولكن دون ان يثبط من همة اعضاء المجلس او يصرفهم عن بذل جهودهم واهتمامهم لخدمة المصلحة العامة .. (٩٧)

واقد كان الشيخ محمد عبده ذو اثر كبير وواضح في ان يشعر مجلس شورى القوانين باهميته .

حتى نهاية هذا القرن كان مجلس شورى القوانين يتكون من عضوين رئيسيين .. أولهما يمثل الطبقة التركية ، التي كانت قد بدأت تختفي رويدا ، وان كانت لا تزال تمسك بزمام القوة والمال .. وهذه الطبقة وان كانت ظلت تلعب دورا رئيسيا في المجتمع حتى ذلك الحين كواحدة من اهم الطوائف في المجتمع ، الا انها لحسن الحظ لم تكن تشعر بما يصيب سطوتها ونفوذها من تقلص يوما بعد يوم .... ولقد كانت هذه الطبقة تقف معادية للاحتلال على طول الخط بحكم موقعها في سلطة الحكم .

اما العنصر غير التركي فقد كان له موقف مخالف .. فهي وان كانت تشعر بان الاحتلال في نزاعه على السلطة مع العنصر التركي قد فتح امامها الطريق الى تسلق سلالم العمل السياسي وآفاقه .. فهي لا تستطيع في نفس الوقت الا ان تضمر لهذا الاحتلال العداء الوطني الطبيعي .. الى جانب حاجتها الى خبرة وتجربة الطبقة التركية القديمة .

واقد وجد العنصران في التجربة البرلمانية ستارا يعملان وراءه ضد الاحتلال .. الا ان الصراع في النهاية وضع في يد غير الاتراك من المصريين كل تقاليد التجربة .. بينما كان التعليم وانتشاره احد الاسباب الرئيسية في القضاء تماما على الطبقة التركية المتآكلة .. (٩٨)

ولقد كان للدين دور فعال في اعمال مجلس الشورى ، وفي كثير من التطورات التي مرت بها مناقشاته في الدورتين الاولتين •• فمثلا في عام ١٨٩٠ كان من الضروري ان تتبنى كـل ما يدور من مناقشات حـول القانون على اسس الدين حتى يتسنى للاعضاء ان يقتنعوا وان يعطوا اصواتهم •• (٩٩) ومع كل هذا الحذر والانتباه الذي اتبعه المشرع في عرضه لاصول القوانين هوجم بعنـف •• وكـان على رأس المهاجمـين مفتي الديار المصرية نفسه بالرغم من ان الحكومـة بذلت كل جهودهـا لاقناع اعضاء المجلس ، وحضر المناقشة رئيس الـوزراء ووزير العـدل والمستشار القانوني للحكومة •• وصمم الاعضاء على ان التنظيم الجديد ضد الشريعة الاسلامية وصوتوا جميعا ضد المشروع •• (١٠٠)

ولا بد ان الاتفاق الانجليزي الفرنسي عام ١٩٠٤ ، والـذي اطلق للانجليز حرية التصرف في مصر ، كان ضربة مؤلمة للمصريين وكان لها وقع كبير على اعضاء هذا المجلس شبه البرلماني •• اذ ليس هنـاك تفسير اخر لان يوافـق المجلس في نهاية هذا العـام (١٩٠٤) على مشروع الميزانية دون اي اعتراض •• وفي العام التالي (١٩٠٥) كان الاستسلام تاما حتى ان المجلس لم يعترض على احكام محاكمات دنشواي (١٠١) التي كانت عقوباتها قاسية على الفلاحين المصريين •

ولكن بعـد تصديق المجلس على المحاكمـات • اشعلت خطـب مصطفى كامل السخط على الانجليز وقامت الصحافة بدعاية فعالة بين الجماهير •• (١٠٢) وسرت عدوى السخط الى المجلس ، بينمـا كان البعض يثير التمرد بينهم • وفي اجتماع ساخن استغرق اربعة ايام ، ناقش المجلس ٨٥ رغبة والتماس رفض منهم على الاقل ٣١ •• ولكن روح المناقشة كانت تتسم كلها بالعداء للانجليز •• كما تقول القرارات التـي طالبـت :

١ ــ الافراج عن معتقلي دنشواي

٢ ـ اقامة حكومة وبرلمان دستوريين
٣ ـ وضع قانون لتحديد تسعيرة لجميع الاسواق بواسطة الحكومة
٤ ـ تعيين جميع المصريين في جميع المناصب الرسمية العليا
٥ ـ انشاء مجلس بلدي للقاهرة
٦ ـ معارضة التكاليف العالية للتعليم
٧ ـ ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في مصر
٨ ـ الحرية التامة للمصريين في زيارة الحرم المقدس
٩ ـ تنظيم المحاكم الشرعية
١٠ ـ معارضة استعمال العملة الانجليزية في التبادل في مصر
١١ ـ وقف امتيازات الشركات الاجنبية (١٠٣)

ولم تكن اذن حقوق اعضاء المجلس التشريعي الضيقة في نشاطهم الدستوري ، ولا حاجتهم الى القائد الموجه بعد موت الشيخ محمد عبده (١٩٠٥) هي السبب الوحيد في ذلك الجمود الذي اتسمت به اعمال اللجنة في تلك السنوات المجدبة .. ففي تقرير للورد كرومر في عام ١٩٠٨ . كان هناك ١٣٤٫٠٠٠ شخص قادر على الانتخاب لم يذهب للتسجيل منهم سوى ٣٤٫٠٠٠ ناخب ، ولم يذهب للتصويت الا ١٥٠٠ اي ١١ ٪ من الاصوات المسجلة (١٠٤) . وفي الاسكندرية من ١٧٠ الف شخص حائز على الشروط الانتخابية لم يذهب للتسجيل سوى ١٤ الفا . ولم يذهب الى صناديق الانتخاب الا ٧٥٠ صوت .. اي زيادة بقليل عن ١ ٪ .. ولم يكن الفرق كبيرا في الريف عن هذه النسب .. مما اعطى انطباعا لدى اعضاء المجلسين باهمال الجماهير لمجلسيهم .. ومما ادى بالضرورة الى تاثر اعمال المجلسين .

وكانت مناقشات المجلسين عويصة حول قانون الابعاد ، وقانون الشركات المساهمة ، والمطالبة باطالة مدى دورات المجلس ورفع مستوى التعليم .. مرات قليلة شد الانتباه لاعادة النظر الى تكوين المجلس وقدمت اقتراحات كثيرة للتعديل حين تكونت لجنة وضعت مضبطة

للدفاع عن مجلس الشورى ضد الانتقادات المحرجة التي وجهها اليه جورست في تقريره السنوي •• (١٠٥)

وفي عام ١٩١٠ دارت مناقشات حامية حول الامتيازات الواسعة لشركة قناة السويس •• كانت شركة قناة السويس تسيطر على مصدر هام للدخل •• وكان الخديوي ومستشاروه يرون ان هذا من حقها •••• وكان من رأي المهاجمين لامتيازات قناة السويس انها حجر عثرة في سبيل تقدم مصر •• اما الذين وقفوا يدافعون عن القناة فقد كان دفاعهم الوحيد ان مهاجمة المشروع يمكن ان تؤجل يوم الاستقلال لمصر !

ووسط مشاعر شعبية فياضة ، دعي مجلس الشورى للاجتماع في اكتوبر ١٩٠٩ • وفي الاجتماع غير الرسمي الكبير الذي ضم غير اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية ، اعضاء المجلس الفردي واعضاء المجالس البلدية اعيد المشروع للمناقشة مرة اخرى ، وباسلوب موسع ومتحمس •

وانتهى الاجتماع الثائر بارسال برقيات من كل هذه اللجان والهيئات الرسمية والشعبية الاخرى الى الخديوي ووزرائه وجورست يطالبونهم بالا يتخذوا قرارا في هذا الموضوع ، الا بعد ان ينتهي هذا الاجتماع تماما من مناقشته ••

وتحت هذا الضغط، اضطر بطرس غالي باشا رئيس الوزراء الى دعوة الجمعية العمومية للاجتماع (١٠٦) •• وكان هدف بطرس غالي باشا الاول هو حماية مجلس الوزراء من الغضب الشعبي بمحاولة الحصول على تصديق الجمعية العمومية على المشروع •• ولكن الجمعية العمومية اثارت مناقشة حامية ضد المشروع ، واثيرت كل الاعتراضات التي اشيعت حوله ، والقيت كلمات نارية استغرقت حوالي خمسة ساعات من نهار — ١٤ ابريل ١٩١٠ •• وفي آخر الامر كانت كل الاصوات ضد المشروع •

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تصفع الجمعية العمومية الحكومة بنصيحة وتضطرها الى الانصياع لرأيها فقد استسلمت الحكومة لمعارضة الجمعية العمومية .. وفي ادق مـا يتصل بالمصلحة الحيويـة للاقتصاد المصري (١٠٧)

وفي عام ١٩١١ شغل المجلس بموضوع حي ، هو هل يعين شيخ الازهر بواسطة الخديوي ، او ينتخبه طلبة الازهر .. ولم تكن المشكلة دينية او تعليمية فحسب .. بل سياسية ايضا .. (١٠٨)

وبالرغم من المناقشات الحاميـة الحساسة التي اثيرت .. فقـد تمسك الخديوي برأيه في النهاية .

وفي الاجتماع العام للمجلس والجمعية الذي بدأ في ٢٥ مارس حتى ١ ابريل ١٩١٢ . افتتح الخديـوي الجلسات بخطاب طويل عدد فيـه الاصلاحات التي تمت في التعليم وتنظيـم المجالس القروية والزراعـة والمواصلات والضرائب والامن العام والعدل والادارة .. وختم خطابه بحديث مختصر عن اهتمام الحكومة باقامة النظـام النيابي الجديد في مصـر (١٠٩)

واستمع الاجتماع بعد ذلك على رد الحكومة على المائـة وستون اقتراحا التي صوت عليها المجلس خلال العامين السابقين .. اجتاحـت المجلس روح جديدة من العزيمة عندما طلـب شرح واف لرفض بعض الاقتراحات التي قدمها .. وفي ثـورة حماسه هذه قدم مائة وستـين اقتراحا جديدا هذا العام وحده للحكومة ..

وما بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١٢ سجلت في مضابط المجلس اكثر من رغبة لزيادة السلطة التشريعية للاعضاء ..

بل وقف الشيخ علي يوسف في ١٤ يونيو ١٩٠٥ ليقترح ان تعطى مصر تمثيلا نيابيا حقيقيا وعلى مدى اوسع حتى يمكن الانتفاع بذوي

الخبرات في الفروع العامة الذين لم تنتفع الحكومة بهم ولم تستغلهم الاستغلال الكافي (١١٠) •• وفي ٢ مارس ١٩٠٧ عاد ليثير الموضوع مرة اخرى ويوجه الكلام مباشرة هذه المرة للخديوي عباس حلمي الثاني يطالبه باقامة مجلس نيابي ذا نفع في مصر ، لان المجلس الحالي لم يحظ بالتقدم الدستوري المرجو منه •

وكان رد الحكومة على الشيخ علي يوسف هذه المرة عنيفا •• فقد قيل له وفي احدى الجلسات العلنية ان مشكلة المجلس النيابي لا تناقش في الجمعية ، ولا في الاجتماعات العلنية (١١١)

وذهب وفد من اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية الى لندن في يوليو ١٩٠٨ ليقدم الى الحكومة الانجليزية برنامجا لاقامة تنظيمات نيابية حقيقية في مصر •• وفي ديسمبر صدق مجلس الشورى بالاجماع على مشروع لاقامة مجلس منتخب لادارة الحياة العامة في مصر ••

وبعد ذلك بقليل ، في فبراير ١٩٠٩ ، صدقت الجمعية العمومية على قائمة بالرغبات اولها قرار مجلس الشورى السابق في ديسمبر •• وطلبات اخرى دستورية وتشريعية ، من بينها انه يجب دعوة الجمعية العمومية سنويا وليس بين الحين والاخر دون موعد ثابت •• وحق الاعضاء في استعجال اجابات الوزراء على الاسئلة الهامة • (١١٢)

ومن ذلك الحين حتى عام ١٩١٢ كان المجلس النيابي — شبه الدستوري — يكافح للحصول على حقوقه النيابية والدستورية الكاملة •• والمجلسان معا — مجلس الشورى والجمعية العمومية — ولو انهما كانا يمثلان طبقة صغيرة من جماهير الشعب المصري •• وهم

بهذا كانوا يمثلون امتيازا طبقيا لا شك ـ الا انهم على كل حال اعطوا بعض الادلة على الثقة بالنفس والذكاء والاصرار بكل قوة على تخطي حدود الاستشارة بل انهـم اثاروا الانتباه الى اقتراحاتهـم ومشوراتهم التي صدرت عن كل من مجلس الشورى والجمعية العمومية لبناء مجلس جديد يتمتع بحقوق اكثر وسلطات اوسع .. وهو المجلس التشريعي .



الجمعية التشريعية

وجه جورست ـ القنصل البريطاني في مصر من عام ١٩٠٧ الى ١٩١١ ـ مذكرة هادئة الى الخديوي توفيق على تأييده واتساع صدره للعناصر المضادة للانجليـز في مجلس الشورى .. ووصـف جورست هؤلاء .. الذين يهاجمون الانجليز بانهم يتهمون الادارة الانجليزية في مصر بالعسف والقسوة ضد الوطنيين ـ وسماهم جورست المخربـون والعناصر الفاسدة ـ في المجلس النيابي . (١١٣)

ولكن يبدو ان تلك العناصـر التي هاجمهـا جورست القنصل البريطاني قد احرزت في تلك الفترة نجاحا اكيدا في مسعاهـا لتدعيم الحياة النيابية في مصر بما يحقق تمثيلا نيابيا حقيقيا ، ربما يطور العمل الدستوري بمزيد من الشعبية في المجالس المتخصصة .

ففي اول يوليو ١٩١٣ صدر القانون الاساسي وقانـون الانتخاب الذي يحدد القوى التي تتكون منها الجمعية التشريعية الجديدة .. فالى جانب الوزراء حدد القانون عدد الاعضاء المنتخبون في الجمعية التشريعية بستة وستين عضوا منتخبا ، بالاضافة الى ١٧ تعينهم الحكومة .. وقد بررت الحكومة تحديد هذا العدد من المعينين ليمكن تمثيـل الطوائـف والعقائد التي تتكون منها الاقليات .. كالاقباط الذين خصصت لهـم اربعة مقاعد .. والبدو ثلاثة مقاعد .. والتجار اثنان ، والاطباء اثنان ..

والمثقفون اثنان •• والمهندسون واحدا •• والمهتمون بالشؤون الفردية واحـدا ••

ونص القانون الاساسي على ان تختار الحكومة رئيس الجمعيـة ونائبه •• وان تكون مدة العضوية للجمعية ست سنـوات ، يستبدل ثلث الاعضاء كل سنتين •• المنتخبون والمعينون •• وقد نقلـت هذه المادة الاخيرة في القانون من لائحة مجلس الشيوخ (السيناتور) فـي الولايات المتحدة الامريكية •

أما القانون الاساسي للجمعية التشريعية فقد حقق فعلا مزيدا من السلطات الدستورية والتشريعية للجمعية فلا يمكن ان تفرض ضرائب إلا بموافقة الجمعية •• وللجمعية نفسها ان تصدر القوانين وتعدل من الاجراءات الحكومية •• وعلى الجمعية ان تقبل اي مذكرة او مشروع او اقتراح برغبة من الحكومة فاذا رفضتها ، تؤجـل الى خمسة عشرة يوما •• فإذا مرت الايام الخمسة عشرة دون ان يعيد المجلس النظـر فيها ، او حان وقت اجازته ، فان الحكومة اما ان تفض المجلس ، واما ان تصدر مشروعها كقانون ، على شرط ان تقدم اسباب اتخاذهـا هذا الاجراء الى المجلس التالي ••

أما الحقوق المدنية ، وجزية الباب العالي ، والدين العام ، وجميع الارتباطات مع القوى الاجنبية فلا تناقش في الجمعية •• ويكون اجتماع الجمعية علنيا وعاما ••

وكان قانون الإنتخاب قد حدد الاقتراع غير المباشر كوسيلة لاجراء الانتخابات •• وسجل حوالي مليونين في قائمة الانتخابات •• كل خمسين صوتا انتخابيا في سن العشرين لهم الحق في انتخـاب عضو يبلغ مـن العمر ثلاثين عاما او اكثر •• ويقوم هذا العضو بالاشتـراك في انتخـاب اعضاء الجمعية التشريعية •• (١١٤)

أما عضو الجمعية نفسه ، فينبغي ان يكون فوق الخامسة والثلاثين .. متعلما .. ويدفع ضريبة (١١٥) ومرت الانتخابات في هدوء .. وكان الاهتمام في هذه المرة اكثر بالجمعية العمومية . والجمود اقل . وفي يوم ٢٦ اكتوبر ١٩١٣ ، يوم اعلان اول اقتراع سري ، (١١٦) كانت نسبة الذين ذهبوا الى صناديق الانتخابات ٣٩ر١٥ ٪ .. الا في القاهرة فكانت ٦٩ر٦ ٪ .. وفي الاسكندرية ٩٨ر٤ ٪ .. ولقد دل هذا على ارتياح الفلاحين لقانون الانتخاب الجديد واقبالهم عليه .. ولقد اكد ذلك ان عدد الاعضاء في هذه الجمعية بلغ ٤٩ عضوا من الفلاحين .. بينما مجموع اعضاء المجلس هو ٦٦ عضوا .

وظاهرة اخرى تجلت في انتخابات هذه المرة .. فقد خلت نشاطات المرشحين من البرامج السياسية التي ينوون الدفاع عنها او المطالبة بها داخل المجلس ، وقصروا جهودهم جميعا على المناورات الانتخابية والفوز بالعصبيات العائلية (١١٧) .. الا شخص واحد هو سعد زغلول الذي اعلن برنامج طويل من الاصلاحات اعلن انه سيطالب بتنفيذها داخل المجلس .. ومن هذه الاصلاحات :

- تصحيح الاختلالات داخل المحاكم

- فرض التعليم لجميع الطبقات

- تشريع قانون لحرية الصحافة

- تشريع قانون يحتم النظافة العامة والاضاءة ورصف الشوارع في القاهرة

- اصلاح حالة طبقة الفلاحين باعطائهم اسعار اعلى للقطن وغيره من المنتجات (١١٨)

ولقد ادخل سعد زغلول هذا التقليد على الانتخابات في مصر واصبحت قاعدة من بعده .. يتبع في كل الانتخابات التالية كما هو الحال في الاسلوب الاوربي .. واحد فقط من الاعضاء استطاع في اللحظات الاخيرة من هذه الانتخابات ان يقدم هو الاخر برنامجا وان

يفوز به •• وهو مرقص سميكة بك احد الاقباط المشهورين الذي اصبح فيما بعد عضو الجمعية التشريعية •• ولكن لم يبد نفس النشاط حول برامجه في المجلس كما فعل سعد زغلول ••

ووقع اختيار محمد سعيد باشا رئيس الوزراء على مظلوم باشا ليكون رئيسا للمجلس •• ورشح مظلوم باشا سعد زغلول نائبا له ففاز بالاجماع في الانتخابات التي اجريت حول منصب نائب الرئيس •• وبدأت دورة هذا المجلس الاولى في اول يناير وانتهت في ١٧ يونيو ١٩١٤ (١١٩)

وقد تناولت الجمعية في هذه الدورة عدة موضوعات ذات المستوى المعقول بالمناقشات •• مثل انشاء الشركات التعاونية الزراعية لمساعدة الفلاحين حسب قانون كتشنر المشهور (قانون الخمسة افدنة) لاصلاح الاراضي البور •• وتنظيم الامتحانات •• وانشاء المدرسة التجارية العليا •• وتشجيع المسرح المصري •• وتحديد سن الزواج •• وبعض الموضوعات الاخرى والنصائح والمشورات التي تقبلتها الحكومة بكثير من الترحيب •

وفي مناقشات هذه الدورة ، كان واضحا ان سعد زغلول ومشايعيه اكثر بروزا وتفوقا من معارضيهم الذين كانوا ــ سواء المنتخبون او المعينون ــ من اصحاب النفوذ والثروة •• وكانت جبهة سعد زغلول من الصلابة بحيث استطاعت الدفاع عن قضية تأمين وتطوير حقوق الجمعية التشريعية •• وكانت قادرة على اظهار سخطها وغضبها اذا خالفت الحكومة رأي المجلس او تجاهلت مشورته •• ولقد كان زغلول وتابعيه يملكون ناصية المبادرة والاقناع والسيطرة على الوزراء ، بما لسعد زغلول نفسه من خبرة في الحكومة كوزير سابق ، يعرف نقاط الضعف ومواطن الخلل في الحكومة •• وله قدرة فذة على استفزاز الوزراء باسئلته المحرجة واسلوبه الجارح في المناقشة (١٢٠)

ولو ان الجمعية التشريعية كان لها نفس السلطات ونفس الحدود التي كانت لمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية السابقة . الا انها كانت اكثر فعالية من زميلتها في التجربة السابقة.. لان عدد المنتخبين الذين يقومون بالتمثيل النيابي فيها اكبر واوضح .. وحيث كان المعينون يمثلون مجموعات صغيرة لم تستطع ان تفعل شيئا حيال المنتخبين .. بل انها لم تستطع في النهاية الا ان تستسلم لهذا التيار الجارف فالتحمت مع اعمال الجماهير وانطوت تحت ادارة المنتخبين الصارمة .. (١٢١)

ففي الوقت الذي كانت فيه مهمة الجمعية التشريعية الرئيسية لا زالت استشارية .. بطريقة او باخرى . فان الجمعية كانت اكثر تفاهما وتجاوبا مع الحكومة ، او كانت الحكومة كذلك مع الجمعية .. ولم ترتطم ارادة الجمعية مع الحكومة ، وان كانت القوانين والنصائح تصدر بموافقة الجانبين ورضاهما معا ..

وكما قال جورست الذي وضع دستور الجمعية بناء على طلب كيتشنر ، فان هذا المجلس كان متوقعا منه ان يكون اكثر صلاحية من المجالس السابقة ، وان يكون اكثر تقدما في الطريق الى المزيد من نظام الحكومة الجمهورية . (١٢٢)

وبغض النظر عن المنازعات في المجلس التشريعي .. فان التقدم الذي اشار اليه ماك هايورث .... في حديثه كان قائما على ما ابداه المجلس من اهتمام بمصالح البلاد (١٢٣)



برلمان ١٩٢٤

لم يدع المجلس ابدا للاجتماع طوال الحرب العالميـة الاولى ..
ومنذ نشبت المعارك العسكرية اعلن في مصر الحكم الاداري في ظـل
الاحكام العسكرية .. ولم يجد المسؤولون رغبة ولا حاجة للدعوة الى
الدورة .

لم يعطل الدستور رسميا .. ولكن في اكتوبر اجلت الدورة الى
اول يناير ١٩١٥ . (١٢٤) ولم يدع المجلس في التاريخ المحدد .. ولكن
في ابريل ١٩١٥ وجهت الدعوة للاجتمـاع في أول نوفمبر مـن نفس
العـام . (١٢٥)

ولم يجتمع المجلس في هذا التاريخ ، بل ولم يجتمع في المواعيـد
التي حددت بعد ذلك اطلاقا .... (١٢٦) فقد كان الانجليز ينظـرون
بعين الريبة لاعضاء الجمعية التشريعية مثل ما حدث اثناء دعوتهم لمعاينـة
وسائل الدفاع عن قناة السويس في اول مارس ١٩١٦ ، وما قالوا هناك
من تعليقات .

ففي هذا الوقت ــ وفي ظل صدور تصريح ٢٨ فبرايـر ١٩٢٢ :
كان بعض السياسيين المصريين المعروفين قد اعلنوا عن رغبتهـم في اقامة
برلمان ديمقراطي حقيقي على النمط الذي تمارس به الدول الديمقراطية
حقوقها الدستورية (١٢٨) .. وان الظروف ناضجة لقيـام انتخابات
نيابية لمثل هذا البرلمان .

وفي مرسوم ملكي صدر في مارس ١٩٢٢ طلب الملك فؤاد من حكومته ان تصدر مشروعا لنظام دستوري ••• وفي اول ابريل من نفس العام عين ثروت باشا رئيس لجنة الوزراء حسين رشدي باشا (١٢٩) ليرأس لجنة لاعداد مشروع الدستور • (١٣٠)

وعملت اللجنة بجد فراجعت دساتير البلدان المختلفة على اساس ان يتم تعديل احد هذه الدساتير بما يتفق بظروف مصر (١٣١) •• ووقع الاختيار على دستور بلجيكا الذي صدر في ١٨٣٠ كنموذج يحتذى (١٣٢) •• ولا شك ان السبب الرئيسي في اختيارهم للدستور البلجيكي ان بلجيكا ملكية دستورية مع تأثير فرنسي حديث •• خصوصا وان الدستور البلجيكي كان قد حقق نجاحا ملموسا في ارساء حياة برلمانية صحيحة • (١٣٣)

وفي النهاية اعدت اللجنة مشروع الدستور ، (١٣٤) واعلن يحيى ابراهيم باشا انتهائها من عملها •• (١٣٥) ثم اعلن الدستور الجديد في مرسوم ملكي بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٢٣ ، (١٣٦) وظل قائما حتى الغي بدستور اقل تحررا منه في ٢٢ اكتوبر (١٣٧) ١٩٣٠ •• واعيد تبويبه مرة ثانية بمرسوم ملكي في ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ •• وظل هذا الدستور قائما في مصر بعد الحرب العالمية الاولى (١٣٨) حتى ثورة يوليو ١٩٥٢

**

كان دستور ١٩٢٣ تحقيقا نموذجيا للخريطة الاجتماعية التي وضع في ظلها •• وضعه اصحاب السلطة من الاثرياء وتحت سيطرة الحكومة وفي ظل نفوذها •• ولذلك خرج يؤكد التفكير المثالي التقليدي الذي تسيطر فيه الملكية على الحياة النيابية ••

لقد كان الدستور الذي اخرج لمصر في هذه المرحلة صورة لظروف

المواطنين فيها ٠٠ اما في شكله العام من تجديد فلم يكن تقليديا بقدر ما كان مجرد موائمة لاختلاف المقاييس في مصر عنها في البلاد التي نقل منها هذا الدستور ٠٠ ومن هذه الزاوية بالذات فقد فتح هذا الدستور الباب للتغيير في المستقبل ٠٠ وكان كل مـا اعطاه في هذه المرحلة هـو اتاحـة الفرصـة للناس للاشتراك في الادارة وفي وضع القوانـين ، ومتابعتهـا ٠ (١٣٩)

كان دستور ١٩٢٣ يضمن ان يكون الجميع سواء امام القانون ٠٠ وحقق قدرا من الحماية الفردية والحصانة في الاقامة والعقار ، وحرية في الرأي والاجتماع والنشر (١٤٠) في الصحافة ٠٠

ولما جعل هذا الدستور الجديد الاسلام دينا للامة واللغة العربية لغة رسمية ٠٠ فقد نص على ان التعليم اجباري للجنسين (١٤١) ٠

وكانت اخطاء الدستور الرئيسية في اتساع وقوة السلطة التنفيذية، والتي لا بد ان يقابلها في الجانب الاخر ضياع حقوق لافراد (١٤٢)

ولا يمكن انكار ان توزيع السلطات كان متوازيا بـين القوى التي تقف في ميدان العمل التشريعي والنيابي ٠٠ فكل القوى التشريعية كانت موزعة بين الملك ومعـه مجلس وزراءه ٠ ومجلس الشيوخ والنواب حيث تناقش الموضوعات التشريعية بالصراحة والبساطة المتوقعة في مثل هذه الاحوال ٠٠ وتخرج من هذه المتوازيات التشريعية قوة تنفيذيـة تشريعية قوية ٠٠ فكل قانون يجب التصويت عليه في كلا مـن مجلس النواب والشيوخ قبل ان يرفع الى الملك ٠٠ والملك هـو ممثل الهيئة التنفيذية العليا ويستطيع ان يرفض اي مشروع قانون في خلال شهر من تصويت البرلمان عليه ٠٠ فاذا اعـاد المجلسين التصويت عليه ــ بعـد مرور هذا الشهر ــ باصوات ثلثي اعضاء المجلس ، فانه يصبح قانونا ساري المفعول ٠

والملك يستطيع ان يحل المجلس او يؤجل دورته شهرا •• وفي خلال هذا الشهر تتحول مشروعات القوانين التي كان البرلمان قد صدق عليها الى قوانين ••

ويفتتح الملك تلك الدورات بخطاب العرش •• وفي استطاعة كل عضو في المجلس ان يرد عليه •• ويوضع هذا الخطاب بمساعدة وزراء الملك على اساس ان مسؤوليتهم جماعية امام المجلس (١٤٣)

وتبعا للدستور •• فان البرلمان المصري ينقسم الى مجلس شيوخ ومجلس نــواب و ٢/٥ مجلس الشيوخ يعينــون بواسطــة الملك •• ويساعده الوزراء في اختيار هؤلاء المعينين •• اما الباقون من اعضاء مجلس الشيوخ فيتم انتخابهم بالاقتراع العادي •

وفي انتخاب اعضاء مجلس الشيوخ ، فاللياقة الاجتماعيــة ذات اهمية كبرى تبعا للدخل •• ومدة العضويــة في مجلس الشيوخ عشرة اعوام ، يتم تغيير نصفهم كل خمس سنوات •• ويعــين الملك رئيس مجلس الشيوخ •• اما نائبي رئيس المجلس فينتخبان •

اما مجلس النواب فينتخب جميع اعضاؤه بالاقتراع السري غير المباشر ، على اساس الاصوات العامة •• فكل ٦٠ الف شخص ينتخبون عضوا •• والحد الادنى للياقة ثلاثون سنة •• ويستمر عضوا لمدة ثلاث سنوات •• وينتخب المجلس رئيسه ونائبي الرئيس •• ولا يمكن ان يؤجل المجلس مرتين في دورة واحدة (١٤٤)

كان جوهر هذا الدستور يكشف بوضوح عما بذلته اللجنة التي عينها الملك من جهد لتبقى سيطرته ونفوذه مفروضان على الحياة النيابية في مصر •• وليظل البرلمان هيئة استشارية ، كما كانت دائما • في المجالس شبه البرلمانية التي رأتها مصر قبل ذلك •• وكان الدليل على ذلك تلك السلطات الواسعة التي اعطيت له في كلا الجانبين ، التنفيذي والتشريعي

•• مع الظروف الكاملة لكي يفرض سياسته وسلطانــه على الدولــة كلهــا (١٤٥)

ان القوى التي ارادت ان تعطي الملك كل النفوذ لكي يصبح قوة مضادة للبرلمان . كان من الممكن ان تحقق هدفها هــذا لو كان هذا المجلس على ايام محمد علي •• ولقد كان الملك فؤاد فعلا يحب النفاق والتزلف، والرياء كما كان يفعل في المواسم والاعياد ليظهر نفوذه (١٤٦) •• ولكن التاريخ اثبت ــ في ظروف مثل الظــروف التي صدر فيهــا دستور ١٩٢٣ ــ ان برلمانا بلا خبرة يمكــن ان يكون العوبة في يــد ملك ماكر •

ولقد اسرعت كل القوى المتضاربة الى جــداول القيد للانتخابات بمجرد اعلان القانون والدعوة للانتخاب (١٤٨) ولو ان الوفد كان قــد هاجم الدستور الجديد لضعفه (١٤٨) الا انه رمى بكل ثقله الدعائي في الحملة الانتخابية •

وكان سعد زغلول قد عاد لتوه من منفاه في سيشيل ، فدعى الى اجتماع لجميع الطوائف بلا تمييز بين الوفديين وغير الوفديــين •• وفي الخطاب الكبير الذي القاه في ذلك اليوم ، طالب بالاستقلال التام ، وتكلم بصفة الجمع على اساس انه يمثل الامة كلها وهو يهاجم بريطانيا العظمى •• اما المعارضين لسعد فقد هاجمهم بقسوة واتهمهم بالتعاون مع الانجليز وخيانة ابناء جلدتهم ، وعقد مقارنة مفزعة بين ضعف وطنيــة الاحزاب المعارضة ، وبين روح التضحية والشجاعة في حزب الوفد •

وفي هذا الخطاب مر سعد زغلول على المشكلات الاجتماعية ملقيا كل تبعتها على حكم الانجليز •• ولقد جعل سعد كل مناورتــه تدور حول مهاجمة الاحتلال الانجليزي ، واقناع المستمعين ملتهبــي الشعور بان الوفد هو وحده الذي يقف ضد الانجليز ، بينما الاحزاب الاخرى

تتواطأ معهم .. ومثل هذا الخطاب اشعل الحماس الوطني للجماهير التي تكره الانجليز .. وفي بساطة كلمات سعد زغلول وقوة بيانه جعل موقف الوفد في الانتخابات المقبلة امر مفروغ منه . (١٤٩)

وفي جو هادئ بدأت الانتخابات .. (١٥٠) وانتهت مهمة الاقتراع الاول في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٣ . وفاز مرشحو مجلس النواب بمقاعدهم في ٢٣ يناير ١٩٢٤ .. (١٥١) بالرغم من الجهود الفائقة التي قام بها مرشحو الاحزاب الاخرى في الاجتماعات وفي الصحف ، فان فوز الوفد كان ساحقا .. فقد استطاع الوفد وحده ان يحظى باغلبية ١٨٨ من ٢١٥ مقعدا في مجلس النواب .. (١٥٢) وكما هو العرف النيابي ، طلب الملك فؤاد من سعد زغلول تشكيل مجلس الوزراء (١٥٣)

وافتتح البرلمان الجديد في ١٥ مارس ١٩٢٤ (١٥٤) واستقبلت الجماهير عربة الملك حول اسوار البرلمان تطالب — الى جانب الاستقلال — باعطاء المرأة حقها المدني .. كانت روحا جديدة قد انتفضت في الشعب ..

ومع الاهتمام الشديد الذي انتظر به الناس خطاب العرش ، فلم يجيء باكثر من التأكيد على ضرورة التفاف الشعب حول عرشه دون الاشارة لمطالب الاستقلال .. (١٥٥) وفي هدوء غير متوقع ادى الملك ووزراؤه القسم ، ثم تبعهم اعضاء كلا المجلسين ، بالولاء للدستور (١٥٦)

وفي النصف الثاني من مارس ١٩٢٤ ، كان المجلس بصفة عامة مشغولا في تحقيق صحة العضوية ، والانتخابات الداخلية في المجلس ، واعداد الرد على خطاب العرش .. وعندما اذيع خطاب العرش كان مقبولا من الناحية العامة (١٥٧)

وانهمك اعضاء مجلس النواب في شهر ابريل بانتخابات اللجان الفرعية ، ثم خاضوا مباشرة مناقشة موضوعات التصدير والاستيراد ،

واسعار البترول ، والتعليم الديني ، وشؤون الافراد ، وتصدير القطن وبنك مصر ، وتعميم زراعة الدخان والهجرة والميزانية •• وفي مايو تناول المجلس مسائل سفر المصريين الى الحجاز بالمناقشة ، الى جانب عدد الضباط المصريين في الجيش المصري وفي السودان ، وعدد المصريين الذين يتعلمون في الخارج وفي الجامعة المصرية •• واستغرقت مناقشة المفاوضات المقبلة بين مصر وانجلترا معظم شهر يونيو ، مع الميزانية ومسألة السودان ، واعفاء كبار الموظفين الانجليز من الحكومة ثم نوقشت في النهاية مشروعات قوانين الميزانية والدين التركي • (١٥٧)

ولم تختلف كثيرا مناقشات مجلس الشيوخ عن تلك التي كانت تجري في مجلس النواب •• ففي ابريل من نفس العام (١٩٢٤) نوقش موضوعي السودان والامية •• وفي الشهر التالي عرض موضوع الحالة المالية السودانية والتعليم الديني ومرتبات اعضاء مجلس الشيوخ التي تحددت في النهاية بمبلغ ٦٠٠ جنيه كما كانت قد تحددت في مجلس النواب •• وفي مايو عقدت عدة جلسات سرية في كلا المجلسين حيث نوقشت المفاوضات المصرية الانجليزية ، واعطي الرأي للتصرف في مكتبة زكي باشا الثمينة والدين التركي ••

وانتهت الدورة الاولى لكلا المجلسين في ١٠ يوليو بخطاب من سعد زغلول ورئيس كلا المجلسين قوبلا بالكثير من الانتباه والاطراء من الاعضاء •• ثم انفض المجلسان الى الاجازة الصيفية •• (١٦٠) وافتتح البرلمان مرة ثانية في ١٢ نوفمبر ١٩٢٤ بحضور الملك فؤاد •• ولم يكن خطاب العرش الذي قرأه زغلول يحوي شيئا هاما (١٦١)

وعندما ارسل اللورد اللنبي الى سعد زغلول مذكرة الحكومة البريطانية للاحتجاج على مقتل السير لي ستاك ، (١٦٢) عقد مجلس النواب جلسة سرية في نفس اليوم (٢٣ نوفمبر ١٩٢٤) ووضع صيغة

مذكرة سلمت في اليوم التالي الى دار الحماية البريطانية •• وفي يوم احتلال القوات الانجليزية لمحطة الجمرك في الاسكندرية استقال سعد زغلول باشا من رئاسة الوزارة ، وحل محله احمد زيور باشا •

وقبل ذلك كان المجلس قـد تعطل لمدة شهر على زعـم ان تبدأ المفاوضات مع انجلترا •• وارسل اعضاء مجلس النواب احتجاجا طويلا الى عصبة الامم وجميع برلمانات العالم . هاجم فيه تصرفات الانجليز في مصر في ٢٧ نوفمبر بعد مقتل السير لي ستاك • وتبعه مجلس الشيوخ بمذكرة مماثلة الى عصبة الامم ••

وكان هذا هو كل ما استطاعت دورة ١٩٢٤ ان تفعله في تلـك الفترة المزدحمة بالاحداث • (١٦٣)

تعود اكثر الموضوعات التي عرضت على برلمان ١٩٢٤ الى مجموعة المثقفين الاعضاء في المجلس ، بالرغم من انهم كانوا اقلية بالنسبة لممثلي المزارعين والفلاحين وغالبيتهم اوربيـين •• ولا ادل على ذلك من ان تمتلىء مناقشات الجلسات في هذه الدورة بموضوع على مستوى عال من الاهمية السياسية وهو العلاقات المصرية الانجليزية في هذا الوقـت الحساس في ظروف الوجود الانجليزي في مصر •• والذي لا بد ان تكون معه المناقشة غاية في الحرارة والحدة والجدية •• خصوصا وان الاحزاب كلها كانت تعارض وجود القوات الانجليزية في مصر ، وتطعن حقها في احتلال السودان غير المشروع والذي جعلوا من مقتل السير لي ستاك ذريعة له ••• وما كان في قدرة سعد زغلول مهما بلغ من حنكة ان يوقف حملة المعارضة العنيفة ضد انجلترا والتي اتخذت مـن موضوع الاحتلال الانجليزي فرصة لاظهار عضلاتها السياسية ، واحراجه فـي الوقت نفسه (١٦٤)

على ان اهم الاعمال التي قام بها المجلس في هذا العام (١٩٢٤)

في دورته الاولى ، الى جانب مشكلة الاحتلال الانجليزي العريضة ، هو تحرير مشروع الميزانية . ووضع الاموال التي تدين بها تركيا مصر في البنك الاهلي المصري لحين انتهاء المفاوضات التي تجري بهذا الشأن .. وبعض التشريعات الخاصة بالتعليم ، وتكوين جمعيات تعاونية زراعية ، وبعض التغيرات البسيطة في قانون المجلس وقانون الانتخابات الذي صدر في ٢٩ يوليو من ذلك العام ، وينص على الانتخاب المباشر لكلا المجلسين ، ويسمح لكل مصري ذكر ان يباشر حقه الانتخابي ما دام يزيد على الواحد وعشرين عاما لمجلس النواب ، وخمسة وعشرين عاما لمجلس الشيوخ .. (١٦٥)

وقد ظلت شخصية سعد زغلول تسيطر على الحياة السياسية والحياة البرلمانية ، منذ كانت هناك حياة برلمانية في مصر من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٢٧ عندما مات (١٦٦) .. واستمرت معركة السيطرة بين القصر والبرلمان بعد موت سعد زغلول .. وبالمقارنة بين ما فعله برلمان ١٩٢٤ وبين البرلمانات الاخرى المتتابعة القصيرة العمر حتى عام ١٩٣٠ . وحتى بعدها ، لا يجد الباحث تفصيلا يذكر .. (١٦٧)

ان تطوير الحياة البرلمانية الدستورية في مصر منذ ١٨٦٦ الى ١٨٨٢ كان ينحصر في ازدياد سلطة هذه البرلمانات ، الامر كان يحدث بالفعل من مجلس الى آخر .. والتقط الاحتلال البريطاني هذه الفرصة السانحة ليقيم حياة نيابية على النمط الهندي يساعده في تجربة السيطرة على الحياة السياسية في مصر .. وبدلا من الانتخابات التي كانت اساسا ضروريا لاقامة الحياة النيابية ، كان هناك نظام شبه تعيين وضع جزئيا ليضمن لهم تحقيق خطتهم .

فكانت تجربة مجلس شورى النواب ، اقل عمرا من ان تحرز اي تقدم لاقامة تمثيل نيابي حقيقي .. كما كانت التي قابلت هذه التجارب،

مثل الحرب العالمية . او حركة عرابي الشعبية ، حوادث رأى فيها البريطانيون وسيلة يبرروا بها وقف تطوير هذه المجالس الى الشكل الدستوري المفروض لاقامة نظائره من المجالس الاوربية .

ولقد كان النضال ضد الاحتلال فرصة لبروز عناصر جديدة في الحياة السياسية في مصر .. حقيقة ان النفوذ الانجليزي في مصر قبل عام ١٨٨٢ ، كان اقل من ان يطاول النفوذ الفرنسي والمعارض له ولهذا ظلت العناصر المؤثرة في العمل السياسي في هذه الفترة موزعة بين القصر والبلاط والشعب .. الا ان بعد الاحتلال البريطاني اصبح النفوذ الانجليزي كبيرا وممتدا في مختلف نواحي الحياة اليومية ، وليس الحياة النيابية فقط .. ولا ادل على اتساع هذا النفوذ من ضخامة المقاومة التي هبت ضد الانجليز بعد الحرب العالمية الاولى .

ولقد حاول الاحتلال الانجليزي أوربة (من اوربية) الفكر السياسي في مصر . .ولا ريب ان محاولة الاوربة هذه ، كانت سببا هاما من اسباب اضمحلال التقاليد التركية ، بينما كان النفوذ الانجليزي والفرنسي يزداد ازدهارا ..

فقد كان مجلس شورى النواب قد تكون على النمط الاوربي ، كما اراده اسماعيل ليحقق به حكم اوتوقراطي ولكن هذه الفكرة سرعان ما تعثرت باقامة مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية في عام ١٨٨٣. حيث تعذر البرهنة على تأثير الفكر الاوربي الغربي في المجلس او بين الناس .. وعلى اساس هذه المحاولات وآثارها الواضحة فلا شك ان الدين قد فقد الكثير من اعتباره في هذه المرحلة في اعين الاعضاء في هذه المجالس .. حيث تخضع اسس العمل الى قواعد الموضوعية التي سرت عدواها بين الاعضاء تدريجيا ، والواقعية المبينة على الادراك العام للوطنية السياسية ، في الادارة المصرية ، وفي مناقشة موضوع العلاقات المصرية بالعالم الخارجي .

وعلى كل حال فقد سارت تجربة تغريب (من الغرب) ببطء من حال الى حال حتى حين وجه اليها الاتهام في دس دستور ١٩٢٣ وبرلمان ١٩٢٤ على الفكر السياسي في مصر .. ومع ذلك فان تقدما ملموسا قد تسرب الى حياة الناس ، وليس بين الاغنياء والمقربين الى السلطة ، بالرغم من انهم استفادوا من هذا التقدم الى اقصى حد في ادارتهم لاعمالهم الخاصة .

وهكذا .. فقد انصب اهتمام الحياة البرلمانية على الزراعة والدين والمشاكل السياسية كسبيل للمصلحة العامة .. اما الشيء الذي نمي ببطء وبغير اهتمام بالرغم من اتساع قاعدة التمثيل ، فهو اهمال مستوى الحياة النيابية ذاتها .



الجمعيات السرية

يصعب على الباحث تسجيل التقييم الحقيقي لتطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر .. وليس من السهل ايضا تتبع الاصول الاولى للاحزاب السياسية فيها .

على ان القاعدة الاساسية في تكوين المجموعات السياسية في اي بلد وفي اي مجتمع تقوم على اسس ثلاثة : العلاقات الداخلية المتقاربة.. وانتشار التعليم .. والعلم بان من الممكـن تحسين الاوضاع . والشك حيال الأجانـب .

ولا شك ان البعثات التعليمية التي بدأت في عهد محمد علي الى اوربا ، ونشاط جمعيات التبشير ، ونفوذ العلماء الفرنسيـين في الطب والهندسة والفنون العسكرية ، قد تركت آثارها على الناس .. وقـد ولد هذا التأثير احساسا عند المثقفين بانه يمكن تطوير الامور وتحسين الاحوال .. الاعتقاد الذي عمقه تكوين مجلس شورى النـواب عام ١٨٦٦ ..

وقد اتخذ المتأدبين (الذين تعلموا في اوروبا) من شخصية الخديوي اسماعيل مثلا اعلى للحكم ... وطبيعي فان اول نبض مبهـم للشعور السياسي نبه في نفوسهم الشك ــ وربما العداء ــ تجاه الاجانب الذين كانوا يعتبرون متدخلين في شؤونهم الداخلية في مصر .

وقد فسرت القنصلية البريطانية هذا الشعور تجـاه الاجانب من طبقات غير المتعلمين في تقرير سجلته عام ١٨٧٣ قالت فيه ان هذا الشعور يعود الى سببين رئيسيين هما الديـن والاقتصاد •• والاول يتركز في اتهام الشعب القبطي للطبقات الغنية المسلمة بتهاونها حيال النفوذ الاجنبي الاوربي •• (١٦٨) والثاني ينبع من آثار مستوى الحيـاة المرتفع على الطبقات الفقيرة وفقدانها الكثير من مطالبها الحياتية نتيجـة للضرائب التي يفرضها الخديوي ليسد مطالب الماليين الاوربيين • (١٦٩)

عامل آخر ساعد في تحقيق عدم الاستقرار في عهـد اسماعيل ، هو تطور الصحافة •• فبالرغم من الصعوبات الفنية التي كانت تواجهها الصحافة ـ مثل الكتابة والطباعة التي كانت باليد والبرقيات النادرة فان الصحافة لاقت رواجا ملموسا •• وكانت الطبعـات المصادرة تلقى اقبالا وتنتقل الطبعات المصادرة من يد الى يد في سرعة وفهم وادراك عميق لما بين السطور •• (١٧٠) وقام السوريون بدور كبـير فعال في تقديم الثقافة الغربية الى الجماهير في عهد اسماعيل ، فساهموا مساهمة كبرى في التقدم الثقافي والصحفي في هذه المرحلة • (١٧١)

وعندما قدمت بعض العناصر الساخطة عددا من الجرائد النشطـة نالت اعجاب القراء وتأييدهم ••• ارادت الحكومة ان تقدم عملا مضادا فبدأت في اصدار جريدة اسمها Le nouvel Argus •• ولكنها لم تستطع اجبار المحررين والصحفيين للعمل فيها فأوقفت المشروع • وبعد عـام فوجئت حكومة الخديوي بجريدة سرية فكاهية تطبـع باللغة الفرنسية تحت اسم al ciocodil وتوزع بطريقة غـير معلومة ، وشخصيات كتابها ومحرريها مجهولة ايضا •• ثم تبعتها جرائد ومجلات اخرى على نفس الطريق ابرزها « ابو نضارة » والقاهري في السابعة عشرة ••

عندما زار فالنتين كيرول القاهرة في عام ١٨٧٦/٧٧ وقدمه مدرس

اللغة الغربية الى بعض صغار المثقفين المصريـين ، لاحظ الرسام الكاتب نغمة السخط في مناقشات المصريين ضد النفوذ الاجنبي في مصر •• (١٧٤) وقد تبـين ان نفس عـدم الرضا كـان منتشرا ضد الاوربيين في عام ١٨٧٧/٧٨ في المدن والقرى في الصعيد وفي الجيش •• وسجلت هذه الملاحظات القنصلية البريطانية في ذلك الوقت • (١٧٥)

وظاهرة السخط هذه ، كانت ولا شك النواة التي تجمعت حولها الجمعيات السرية ، التي كانت بدورها مقدمات للاحزاب السياسية في مصر •• ولغاية عهد اسماعيل لم تكن هناك احـزاب بالمعنى المفهوم •• وكان الذين يعملون في الفلك السياسي حول القصر مجـرد مجموعات تتصل بشخص او باخر في القصر ، وتخدم اغراضها الخاصة فقط ••

ولكن الجمعيات السرية استطاعت ان تهيء الاساس الذي تقوم عليه الاحزاب السياسية ، بتقديم شكل من التنظيـم والمبادىء الهادفـة لاسس الحياة العامة •• ولم تكن لهم اتصالات ما بشخصيات القصر ••

والجمعيات السرية كانت مفهوم جديـد على العالم الاسلامـي •• (١٧٦) ومثل هذه الاحـوال في الشرق الاوسط فان هذه المسائـل الدقيقة والهامة لا تسجل •• واذا سجلت فانها تدمر فور وقوع الخطر•• ولهذا فان ادلة تكوين هذه المؤسسات السرية ضاعت •• كما ان مصادر تكوينها غير معروفة ومفقودة ايضا • (١٧٧)

ولكن يمكن العثور على بعض آثار للجمعيات السرية •• والذيـن تقصوا هذا الجانب من العمل السياسي وقرأوا عنه في الادب الاوربي ، لا شك انهم وجدوا اثاره في اوامـر الدراويش او جمعيات الاخـوان المسلمين •• (١٧٨) وهناك بعض الدلالات على ان نوع من الجمعيات السرية قد انشىء في عهد سعيد •• ولا شك ان هذه الجمعيات السرية قد تكونت تحت سيطرةالمسلمين الهنود الذين كانوا يتعلمونفي الازهر في

ذلك الحين ، وبواسطة محمد السنوسي الذي تلقى تعليمه هناك ايام شبابه .. (١٧٩) وعلى اي حال فان كل الجمعيات والحركات كانت جميعها ملهمة من الازهر ، ولهذا كانت شخصيتها وسمتها جميعا دينية (١٨٠)

أما الجمعية السرية لضباط الجيش ، وهي التي كانت نواة التكوين في المستقبل للحزب الوطني .. فقد كانت تعكس السخط من التهاون الديني ، والهبوط الاقتصادي ، والفوارق الاجتماعية .. ولكن بداية تكوينها غير معلومة .. اما العلاقات التي تشير الى انها بدأت في عهد سعيد ، (١٨١) فلم تثبت بعد .. وقد تكون بدأت في اوائل وسط السبعينات في القرن الثامن عشر .. والمعلومات المؤكدة الوحيدة ، هي انها تطورت في عام ١٨٧٦ .

انشئت الجمعية بعلي الروبي واحمد عرابي . واشترك فيها مباشرة مع علي فهمي وعبد الله .. ولم يعرف بعد من الذي أفشى سر تشكيلها واسماء اعضائها لعلي مبارك باشا وزير المعارف وصاحب كتاب الخطط التوفيقية .. وعلى كل حال فقد كشف سرها للخديوي اسماعيل الذي قدر اهميتها وظل يحاول استمالتها اليه الى آخر عهده .. ومن المظنون انه اراد ان يستغل الجمعية ضد النفوذ الاوربي في عام ١٨٧٩ .. (١٨٣) ومن الاشياء المهمة ان الجمعية قررت بعد تغيرها الى حزب سياسي لها برنامجها الخاص ان تحتفظ بطابع السرية فيها ، بان تظل اجتماعاتها سرية ، وليلا (١٨٤)

ومن المعقول ان الحركة التي تطورت من جمعية سرية لضباط الجيش ، الى حزب وطني ، لا بد قد روقبت ــ او على الاقل عني بها ــ شخص عالي المركز ، متعلم .. وهذا أقل ما يقال عن تفسير تطورها وقد اهتم قليلا ارشيف وزارة الخارجية البريطانية باسباب هذا التطوير .. او بهذه الشخصية بالذات ..

ان اسم هذه الشخصية حليم باشا .. وكان آخر ابناء محمد علي الذين عاشوا .. ذكي ومثقف فرنسي .. وكان المفروض ان يتولى الحكم بعد اسماعيل باشا ، لولا تغيير جوهري اجراه السلطان التركي في قانون الوراثة بان يتولى اكبر ابناء الخديوي الحكم بدلا من اكبر ابناء محمد علي بعد موت الخديوي .

وطبعا كان حليم حريصا على الا تظهر اطماعه في عرش الخديوي بسرعة .. وكان يتظاهر برضاه بمركزه كنبيل مثقف وبمواطنيته المصرية بشكل عام .. وكان شريف باشا سكرتيره منذ عام ١٨٥٢ .. (١٨٥) وكانت ثقافته العسكرية في سانت سير قد اكسبتــه احترامه للعسكريين والعسكرية .. (١٨٦)

ولم يكن هناك شك بعد تغيير الفرمان لخط سير الوراثة في اسرة محمد علي ، ان يتوقع الناس ما حدث مــن كولنيل ستانتــون القنصل الانجليزي العام الذي كتب تقريرا اكــد فيه ان حليم قد وجدت معــه منشورات ذات صيغة ثورية .. (١٨٧) وبالطبع انكر حليم الامر كله ، وظل يشكو دائما بعد ذلك من اضطهاد اسماعيل له .. (١٨٨) وفي نهاية عام ١٨٦٨ اتهــم حليم بالتمــرد بالرغم من انكاره السابق ونفي مــن مصــر (١٨٩)

وكان المنشور غريبا جدا .. فهو خطاب وجد بين اوراق كولنيل اوربيــل وبه معلومات عن الاسلحة والذخائر اللازمة لمشروع عسكري لثورة ضد اسماعيل .. (١٩٠) ولا شك ان مثــل هذا الخطاب وثيقة ليست مؤكدة ، وربما كانت مدسوسة من احدى الجمعيات السرية كما يبدو من لهجتها السطحية .. ولو كانوا عثروا عليها بطريق الصدفة كما قالوا ، لكن من الممكن ان تعطي دليلا اكثر تأكيدا على اشتراك حليــم في المؤامرة ، ولاصبحت محاكمتــه مضمونة .. ولقــد كانت اخلاقيات

حليم المعروفة عنه في المجالات الكثيرة التي ينشط فيها تنفي تماما اي تهمة حولــه .

ولقد ساد الشعور يومئذ بان اتهام حليم كان احــد المكائد التي يتقن اسماعيل تدبيرها ..

اذ ان اسماعيل كان مملوءا بالشعور بان وجود حليم في القاهرة مصدرا للخطر ويرغب في نفيه الى ابعد مكان وباي وسيلة ممكنة وان كان شعور اسماعيل هذا يؤكد براءة حليم من تهمة الخطاب المعروفة .. الا انها في نفس الوقت تثبت ان حليم كان على اتصال بعرابي وزملائه . ـــ ولو انه لم يوجد بعد دليل على ذلك .

ولا شك ان هناك اكثر من سبب لان تخرج جمعية الضباط الى العلن في عام ١٨٧٦ .. ففي نفس العام كتب ستانتون تقريرا عن الشعبية الكبيرة لحليم بين قبائل البدو .. واستمرت مكيدة حليم في عام ١٨٧٧ .. وفي السنوات التالية كتب حليم وطبع خطابا ارسله الى الخديوي يعرض عليه مشروعا للاصلاح الاقتصادي على اسس حديثة اوربية .. وعندما اصبحت جمعية الضباط علنية في عــام ١٨٧٩ ، اصبحت صلتها بحليــم واضحة . (١٩٨)

وايضا ، كان حليم على صلــة وثيقة بالماسونيــة في القاهرة وفي اسطنبول .. وكان سببا كبيرا في التنظيم الماسوني منذ عام ١٨٦٧ حتى نفيه في عام ١٨٦٨ ، (١٩٩) ولعب دورا هاما في الماسونية المصرية اكثــر من جمال الدين الافغاني .

كافح الافغاني من اجل القيم الاسلامية في مصر خلال السبعينات في القرن الثامن عشر .. وقد الهم بشخصيته المبهرة تلاميذه الرغبة في الحد من النفوذ الاجنبي على العالــم الاسلامي ، باعــادة الاعتبار الى الاسلام بتكوين اتحاد اسلامي شعبي تحت قيادة حكومة دستورية (٢٠٠)

وتجمع في مجلسه الكثيرون ممن اعجبهم منهجه في التفكير من الضباط والكتاب(٢٠١)، والكثيرون من طلبةالازهر والشباب الذين تتلمذوا عليه .. وقد حاول دائما ان يدفعهم للمطالبة بحكومة اكثر حرية (٢٠٢)

واعجب بالافغاني كثير من الصحفيين الشبان .. بالرغم من انه ليس صحفيا ، الا انه كان قادرا على ان يستثير اهتمامهم للكتابة عن احوال الشرق الادنى .. كما حفز الكثيرين من الكتاب لينشطوا فوق صفحات المجلات والجرائد العربية .. منهم جورج صنوع واديب اسحاق اللذين كانا من تلاميذه وغيرهما كثيرون تأثروا بمبادئه دون ان يروه .. (٢٠٣) وبما نشره الافغاني بنفسه او بواسطة الاخرين هيأ الارض لخروج الحزب الوطني وعبأ الشعور لقيام ثورة عرابي (٢٠٤)

كما استطاع الافغاني ان يكرس الجمعية الماسونية المصرية لخدمة الحزب الوطني في خطواته الاولى .. واذ كانت سرية طقوس الجمعية الماسونية تقف حائلا دون معرفة الجهد الحقيقي الذي قام به الافغاني في هذا المضمار والشيء الذي يمكن اثباته هو ان الافغاني حينما ترأس الجمعية العمومية الماسونية في الاعوام من ١٨٧٦ الى ١٨٧٩ كان يحظى بعون كبير من الماسونيين الايطاليين في مصر .. (٢٠٥) كما تم التوجيه لمناقشة موضوع كوكب الشرق الذي كان محل مناقشة المجمع العام (٢٠٦) في انجلترا بناء على نصيحة غير رسمية للقنصل البريطاني (٢٠٧) رالف بروج الذي كان يشغل منصبا كبيرا في المحفل الماسوني .. (٢٠٨)

وكان المجمع يضم حوالي ثلثمائة عضو مع كثير من الشخصيات القيادية في مصر مثل محمد عبده (٢٠٩) وجميل صنوع (٢١٠) وعبد السلام المويلحي (والذي اصبح بعد قليل واحدا من اكبر المكافحين عن الحقوق العامة في مجلس شورى النواب) (٢١١) وسعد زغلول ،

وصحفيين امثال اديب اسحاق ، وابراهيم اللقاني ، وسليـم النقاش ، اعضاء مجلس شورى النواب •• (٢١٢) وبعض الضباط امثال لطيف سالم ، وسعيد نصر وآخرين •

وتأثير الافغاني على المجمع الماسوني في مصر لا يمكن حصره •• ولكنــه على اي حــال ترك آثارا هامـة في اعضائه لشخصيتــه وآرائه • كتلك التي تركها على المصريين في كل مكان •• (٢١٣) ولا شك ان هذا كان السبب في الحقد الذي دفع بعض ذوي النفوذ السري داخل المحفل نفسه لمحاربته •• (٢١٤)

ولقد ظلت الماسونية تعيش في مصر لسنوات عـدة •• (٢١٥) ولكنها لم تلعب اي دور هام في الحياة السياسية في مصر •• ولا يمكن ان يكون لاستقبالهم الحياة الثورية في مصر اي تأثير في ايام عرابي •• ولكن لا شك ان سريتهم كانت مسرحا خصبا لخدمة اهداف الحزب الوطني• (٢١٦)



القِسْم الثاني

الأحزاب السِّيَاسِيَّة

الحزب الوطني

من الصعب تحديد التيارات الاساسية التي اوحت الى الضباط بتكوين الحزب الوطني ، الذي عاش بعد ذلك نصف سري ونصف علني .. هناك حقائق كثيرة يمكن بسطها لاثبات هذا التطور .. ولكنها لا يمكن ان تكون قرائن اثبات .

ففي اوائل عام ١٨٧٦ اشار كوكسون Cooekson القنصل البريطاني في احد تقاريره الى وجود عداء ضد الاجانب والحكومة ينتشر في مصر .. (٢١٧) وبمرور الوقت نما هذا العداء وازداد بتعيين المشرفان الماليان (١٨٧٦) ، وارسال لجنة التحقيق (١٨٧٨) وبدرجة اقل لقيام البرلمان (١٨٧٨) كنتيجة للحرب التركية الروسية .

كان الغضب من الاساليب الاقتصادية والسياسية التي يعمل بواسطتها الاجانب في مصر قد وصل الى عامة الشعب ، بوصول الرسميان الاوربيان اللذان ملأا اكبر منصبين في البلد واكبرهما مرتبا .. ولا شك ان كون هذين الرسميين كانا مسيحيين قد جعلهما اكثر كرها .

وزاد بؤس الناس بفيضان النيل عام ١٨٧٧ ، الذي اثر في ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية في الاعوام التالية فضلا عن ازدياد الضرائب .. وكان اسماعيل هو الملوم والمتهم في اغلب الاحيان .. وبالرغم من سلبية

الفلاحين ، فان عدوى كراهيـة الحكومـة انتقلت اليهم وانفجـرت الاتهامات ضده •

اما المثقفون المتهمون بالوعي الدستوري الاوربي فقد كرهوا حكم اسماعيل الفردي •• وتجلت هذه الكراهية في معارضة سلطاته في عام ١٨٧٦ •• ثم في ثورة الجمعية العمومية اثناء بحث سوء تصرفه المالي •• كل هذه الحقائق المتلاحقة قضت على سلطان الحكم في هذه المرحلة ، وشدت انتباه الشعب الى السياسة (٢١٨)

وجسد هذا السخط عدم دفع مرتبات الجيش المصري بعد فشل حملة الحبشة •• وكان الضباط المصريين الذين كونوا الجمعية السريـة ساخطين على الحالة في مصر •• ولكن واقعة حملة الحبشة ، بالاضافـة الى الامتيازات المعطاة للضباط من سلالة الاتراك والجراكسة ، الذيـن لم تخفض مرتباتهم مثل باقي الضباط حينما اصدر توفيق فرمانا بتخفيض مرتبات الجيش من ٤٥ الف الى ١٨ الفا فقط •• فجـر سخطهم الكامن وان يخوضوا معركة مع المراكز التركية العليا في الجيش •• وان تنتقل عدوى هذا الصراع من داخل الجيش الى خارجه ، الى الطبقات التركية بما فيها من الاثرياء الاتراك المقربون والمرتبطون بالعائلـة الخديوية ، ومؤيديهم واعوانهم من الاغنياء المصريين اصحاب الاملاك • (٢١٩)

بالرغم من ازدياد المؤيدين لحركة الضباط •• وبالرغم مـن بعض الانتصارات السياسية التي احرزوها ، فقد كانوا يخافون ان يعتقلوا او يحاكموا (٢٢٠) •• وشيء آخر اخاف الضباط هـو انتشار الجمعيات والتنظيمات السرية التي يمكن ان تلقي عليهـم ظلا من الشك •• مثـل الجمعية غير السرية التي عثر عليها عبدالله النديم في عام ١٨٧٩ والتي كانت تسمى الجمعية الخيرية الاسلاميـة ، وكـان يعمل فيها اثنين مـن اصدقائه هما محمد امين رئيس كتبة محكمة اسيوط ، ومحمود واصف الذي يعمل محررا بالعدل (٢٢١)

وكانت الصحافة ايضا من جانبها لا تألوا جهدا في مطالبة الضباط بانشاء الحزب الوطني .. فقد شجعت حرية النشر في اواخر عهد أسماعيل وبداية عهد توفيق الصحافة على المطالبة بالحريات . وضمنا حرية تكوين الاحزاب ، وعلى رأسها الحزب الوطني .. واصدر جميل صنوع اليهودي المصري جريدة تحت رعاية جمال الدين الافغاني ومحمد عبده اسمها « ابو نضارة » دأبت على نقد سياسة الخديوي والحكومة بشكل حاد (٢٢٢)

واندفع المسيحيون السوريون يمدون الصحافة بخبرتهم ويلعبون دورا هاما في تطويرها ورفع مستواها (٢٢٣) ... وكانت ثقة الضباط المصريين ومجموعة ثورة عرابي قد دفعتهم الى ان يتعاونوا مع الكثير من الصحفيين ، بل وان يجذبوهم من العمل الصحفي الى ميدان السياسة ليساهموا معهم في تطوير مبادئهم السياسية الى الاحسن (٢٢٤) فقد استطاع اديب اسحاق بمعونة الضباط المصريين ان يستمر في اصدار مجلته القاهري في باريس (٢٢٥) وفي مصر نفسها اصبح عبدالله النديم الصحفي الملهم احد المعروفين كمكافح ومن قواد الثورة العرابية (٢٢٦)

هناك ثلاثة استنتاجات لقيام الوعي الوطني في مصر ..

اولها : الحركة الافغانية لاعادة بناء الاسلام وقد اصبحت دافعا في المؤخرة بنفي قوادها من مصر ..

والثاني : الحركة التي قام بها شريف باشا لوضع الدستور ، وقد ايقظتها الاوتوقراطية الاسماعيلية والتوفيقية

والثالث : الحركة الوحيدة النقدية التأثير بقيادة الضباط المصريين والتي بقيت مع المصريين لاخر انفاسها تحاول بكل جهودها قيادة مصر للاستقلال من التدخل الاجنبي (٢٢٧)

ففي عام ١٨٧٩ كـون الضباط جمعيـة لمقاومة النفوذ الاجنبـي وسموها الحزب الوطني (٢٢٨)

وعرف بوجود هذا الحزب ، ولكن اعضاؤه بقيت اسماؤهم سرا .. والى جانب الضباط المصريين انضمت قيادات دينية مثل السيد البكري وبعض الشخصيات الكبيرة مثل اسماعيل راغب باشا (الذي كـان رئيسا لمجلس شورى النواب ووزيرا سابقا) .. وسلطان باشا (رئيس ذلك المجلس مستقبلا) .. والمديرين مثل سليمان اباظه باشا (الشرقية) ، وحسن الشريعي (المنيا) ، والاثنان عضوان بـارزان في المجلس . وآخرين مثل شريف باشا . وعمر لطفي باشا لم يكونوا اعضاء بها ولكن لهم اتصالا به فقط .. وكان رئيس الحزب حليم (٢٣٠)

ويجب ان يظل ثابتا في الذهن ان الحزب لم يكن منظما ، ولهذا كانت كل ارتباطاته شخصية ، وظلت العضوية فيه غير ثابتة او مؤكدة .. لانها غير مسجلة .. فقد كان بيان ١٣ ابريل ١٨٧٩ الـذي صدر عنه يتحدث عن انشاء جمعية او جماعة (٢٣١) .. واكد بالتحقيق ان العضوية ليست ممكنة .

وقد اعلن عن هذه الجمعية او الجماعة بمناسبة نشر برنامج تحت عنوان اللائحة الوطنية الذي انتهى من وضعهـا قواد الجمعيـة في ١٢ ابريل ١٨٧٩ (١٠ ربيع ثاني ١٢٩٢ ،) ، في بيت اسماعيل راغب باشا ، بحضور شريف باشا ، وشاهـين باشا ، وحسن راسم باشا ، وجعفـر باشا ، والسيد البكري والشيخ الخلفـاوي والشيخ العدوي .. وان هؤلاء جميعا وافقوا على البرنامج الذي كـان يناقش اساسا المشكلـة المالية والدستورية .

ولقد كـان الجزء المالـي من اللائحـة الوطنيـة يعارض مشروع ريفـرز ويلسـون (٢٣٢) الـذي كـان يرمـي الى اعـلان

افلاس مصر •• وقد اعتقد موقعوا اللائحة الوطنية ان الدخـل المصري قادر على موازنة مصروفاتها وسد ارتباطاتها العامة •• وكـان الفصل الثاني يطالب بتعديل دستور مجلس شورى النواب ، وانه يجـب ان يكون على نمط الحياة البرلمانية الاوربية مـع النص على مسؤوليـة الوزراء • (٢٣٣)

ورفعت صورة من البرنامج الى الخديوي الذي ابدى موافقتـه على خطوطها ، وأمر بترجمتها ونشرها ، وارسال صور منها الى قناصل الدول الاجنبية •• وعزل ابنه توفيق من رئاسة الوزارة وعين شريف باشا بدلا منه ، واعلن قراره هذا في اجتماع حضره قناصل الدول الاجنبيـة وبعض الشخصيات البارزة من الموقعين على البيان (٢٣٤)

وكانت الاهمية الرئيسية في البرنامج ، انه قدم اقتراحات معقولـة للخطة المالية والاصلاح الدستوري بما يخدم الصالح المصـري العام . وهو يأخذ في اعتباره الارتباطات المالية المصرية مع الدول الاجنبية•• وكان هذا الحرص على مراعاة الديون المصرية للممولين الاوربيين قد وضع تحت تأثير شخصيات معتدلة في الجماعة التي اعدت البيان مثل : اسماعيل راغب باشا وشاهين باشا ، والمعروف صلتهم بالخديوي •• ولا شك انهم لم يشتركوا في وضع هذا البيان الا بعد تأكدهم من استعداد الخديوي للموافقة على مثل هذا البرنامج •• بل ومن المحتمل ان يكون الخديوي قد اطلع على مسودة البرنامج قبل صدوره في شكله النهائي ••

وعلى اي حـال •• فقـد كان البرنامـج يعمل لصالـح الخديوي قبل اي انسان آخر في مصر •• فهو على الاقل يمثل الطريق الدستوري السليم لتخليصه من الوزراء الذين يشرفون على شؤونه المالية ونظام حكومته المحبب اليه •

وفي احصائية للمركز الاجتماعي عن الموقعين على البرنامـج ، سجل

انهم كانوا ٣٢٧ توقيعا تنقسم كالاتي : (٢٣٥)
٩٣ ضابطا بنسبة ٤٤ر٢٨ ٪
٧٢ رسميا بنسبة ٠٢ر٢٢ ٪
٦٠ عضو بمجلس النواب بنسبة ٣٥ر١٨ ٪
٦٠ عضوا بمجلس النواب بنسبة ٣٥ر١٨ ٪
٤٢ اعيان وتجار بنسبة ٨٤ر١٢ ٪

كان الموقعــون على البرنامج من مختلـــف المراتب في الحيـــاة الاجتماعية •• شيء واحد عام كان يجمع بينهم ، هو انهم كانــوا على درجة من الثقافة •• وكان الضباط اغلبية فيهم ، وكان امر طبيعي •• فازدياد قوة الضباط وازدياد نفوذهم كان قد اصبـــح ملموسا في هذا الوقت ، حيث كانت مظاهر الثورة قد بدأت تظهر ، وبدا انهم صانعوا المستقبل القريب •• وكان الضباط على كـــل حال يحملون ضغينـــــة للوزارة •

اما وجود المدنيين العاملـــين بين الموقعـــين فيمكن تفسيره بانـــه تعبير عن السخط على عزلهم بعيدا عـــن عملية البنـــاء الاقتصادي في الداخل الحكومي •• ومن المدهش ان يكون ستون عضوا من مجلس شورى القوانين بين الموقعين •• وبالرغم من انهم كانوا يمثلون ١٨ ٪ من الموقعين •• فقد كانوا في الواقـــع ٨٠ ٪ من جميع اعضاء المجلس الذي كان عدده في ذلك الوقت ٧٥ عضوا •• وهذا مرة ثانية يشير الى ازدياد المعارضة للخديوي ووزرائه بين الاعضاء البارزين في مجلس ١٨٧٩ •

وكان التمثيل الديني عاما •• وان كان هناك بين الممثلين الدينيين زعماء مسيحيين ويهود ، فان المسلمين كانوا اغلبية •• وهذا يثبت ان العداء الديني للاجانب قام بدور فعال في المقاومـــة المذهبية المبكـــرة للتدخل والسيطرة الاجنبية •• اما التجار فجاء دورهم في آخر القائمة لان اغلب العاملين في ميدان التجارة في مصر في ذلك الوقت كان من الاجانب ، خصوصا اليونانيون والمالطيون •

ولم تكن الارستقراطية ممثلة اطلاقا ، بصرف النظر عن وجـود شريف باشا او اسماعيل راغب باشا •• فقد كانت الغالبية من الطبقـة الارستقراطية من الاتـراك والشراكسة وتعيش مركزة حول الخديـوي وبلاطه •• وكان من المتوقع ان يوجد فلاحين بين الموقعـين •• ولكن سلبية الفلاحين وتجمدهم السياسي في هذه الفترة منعهم من المشاركـة في هذه الانتفاضة السياسية •• وان كان يمكن اعتبارهم ممثلين الى درجة ما في شخص الضباط المصريين واعضاء مجلس الشورى والاعيان الريفيين •

بعزل الخديوي اسماعيل بعد ذلك بقليل دب الخلاف بين اعضاء الحزب •• ربما لم يكن الضباط ينظرون الى مركز شريف باشا بكثير من الارتياح •• وربما كانوا يتعاملون معهم في هذه المرحلة ليحموهم من غضب الخديوي فقط •• اما وقد عزل الخديوي ، فقد ترك هؤلاء اماكنهم في الحزب ، وعاد الضباط ينفردون بادارة الحزب •• وعادوا الى سريتهم مرة ثانية •• وان ظلت بعض العناصر المدنية بـين اعضاء الحزب تؤيد الحزب وتدعمه ، ولكن دون اشتراك فعال في نشاطه كما كان الحال اولا •

وفي هذه الظروف وضع بيان الحزب الوطني المصري في ٤ نوفمبر ١٨٧٩ ونشر بعد ذلك بقليل •• ولان البيان كان موقعـا باسم « علي الروبي » فمن الصعب الحدس باسم واضعيه الحقيقيين •• ولكن على ضوء شهادة جـون نينيـت السويسري الـذي حضـر اعداد البيـان وترجمـه الى الفرنسيـة فيما بعد (٢٣٦) •• فالى جانـب مجموعـة الضباط ومؤيدهم البارز سامي البارودي باشا ، كان هناك اناس مثـل سلطان باشا ، وشريف باشا ، وعمر لطفي باشا ، واسماعيل يسري باشا ، ساعدوا في كتابة المسودة لهذا البيان •• والثلاثة الاخرين كانوا مقربين الى الخديوي وبلاطه •

وكان البيان طويلا •• (٢٣٧) وقـد كشف ان اسماعيل عندمـا ووجه بالعزل طلب معونة الحزب الوطني ، ولكن كان قد فات الاوان •• ثم اعلن البيان بعد ذلك تكوين الحزب الوطني المصـري ، وهدفه انقاذ مصر من الافلاس •• وبعد ان اكد حق المصريين جميعا في الحرية شدد على اهمية اصلاح وتنظيم التعليم •• وان الحـزب الوطني ــ وليس الخديوي الذي يحكم بالقوى الاجنبية ــ سيحـرر مصر من الدين العام •• وندد البيان بالاتصالات الاجنبية مستنكـرا تدخل الاجانـب في الادارة المصرية ، مطالبا بأن يكون الاتصال الاجنبي استشاري فقط ، مع الاعتبار بان الحزب يثق في النوايا الحسنة •

ثم اعلن البيان في النهاية ان واضعـي هذا البرنامج مـن اعضاء الحزب يستعدون للظهور علنا تحميهم الحصانة الدبلوماسية •• وان الديون ستدفع •• ولكن الاملاك المصرية لن تمس او ترهن •

وكان الجزء المالي من برنامج الحزب الوطني يتضمن اربع نقاط :

١ ــ الرجوع على الخزائن الخديوية لكل املاكه ، ما عدا الخزينة الخاصة •

٢ ــ عودة دخل السكة الحديد الى الخزينة المصرية

٣ ــ تجميد ديون مصر لغاية ٤٠ ٪ ، على ان تعطـى تعويضات لاصحاب الحق فيها •

٤ ــ تكوين لجنة موقتة من ثلاثة اعضاء تمثـل القوى الدولية للدين ، وعلى ان تكون اتصالاتهم بالحكومـة محددة باتفاق وبـدون الحاجة لمراجعة برنامج الحزب ، فانه كان يتضمن رغبة المصريين العامة في الاستقلال الذاتي ، ولقد ابديت هذه الرغبة القوية في محاولة دفع الدين المصري الذي لم يستطع الدائنون الاتفاق عليه •• في الوقـت الذي يهدف احد بنوده الرئيسية الى العودة الى مصر في تأمين صرف القروض

.. وحتى هذه اللحظة لم يكن قد تم اي اتفاق حول المسائل المالية .. وكان البيان هو اول بادرة ثقة في النفس تعبر عن مصر .. وتصدر من الحزب نفسه ..

وفي ديسمبر ١٨٨١ وضع ولفريد سكاون بلنت الانجليزي صديق الحزب الوطني والمقرب الى زعمائه ملخصاً لأفكار واتجاهات الضباط والعلماء الذين يرأسون الحركة ، وراجعه محمد عبده وسليمان اباظه ومحمود سامي البارودي.. ثم عرض بلنت ملخصه بعد المراجعة على سير ادوار ماليت القنصل البريطاني العام في مصر ، الذي أرسل نسخة الى جلاستون ، واخرى الى جريدة التيمز .

وكانت النقاط الاساسية في البرنامج هي :

١ ــ ان الحزب الوطني سيظل يحترم مكانة السلطان طالما توجد الامبراطورية العثمانية .. ولكنه سيقاوم اي محاولة للعودة بمصر الى عصر الباشوات الاتراك .

٢ ــ سيبقى الحزب على ولائه للخديوي توفيق طالما يرعى العدل ويحافظ على وعوده التي اعطاها في سبتمبر ١٨٨١ .

٣ ــ يوافق الحزب على الاتفاق المالي والديون المصرية مع مراعاة بان هناك عدة تعديلات واصلاحات يمكن اجرائها بدون عنف ــ يجب ان تتم في التصرفات والاجراءات الاجنبية .

٤ ــ ان الحزب الوطني قد وضع كل آماله بين يدي الجيش المصري الذي خفض الى ١٨ الف منذ ان قرر حماية مصالحه ضد طبقة الحكام من سلالة الاوتوقراطية .

٥ ــ الحزب الوطني حزب سياسي وليس حزب ديني .. وبالرغم من ان دينه الاسلام ، فهو يحمي الاقباط واليهود ، ويعتبر الجميع سواء سياسيا وامام القانون .

٦ ــ الحزب يرغب في اعادة بناء البلاد معنويا وثقافيا بتوظيف مصادره الخاصة ، عن طريق احترام القانون ونشر التعليم والتمسك بالحرية السياسية (٢٣٨)

وبذلك ، كان برنامج الحزب الوطنـي لعام ١٨٨١ مختلفـا بعض الشيء عن برنامجه الذي اعلنه في عام ١٨٧٩ .. فان هـذا الاخير كان موجها اولا الى الشعب .. ، وباللغة العربية وترجم فيما بعد .. بينما كان البيان الاول مكتوبا وعينه على الرأي العام الاوربي ..

وكان البيانان يتحدثان عن الحق القانوني للدائنين ، وتبدو فيهما الرغبة الصادقة في عدم استعمال العنف ، ونية تغيير البـلاد منذ ذلك اليوم لتتلاءم مع ظروفها الجديدة ..

مادتا ٤ و ٥ من بيان ١٨٨١ تحسمان مسألتان هامتان .. احداهما ضرورة زيادة عدد الجيش وهذا يرجع الى ان قيادة الحزب من الضباط المصريين .. والثاني ان هدف الحـزب السياسي ومبدأه هـو المساواة السياسية والعامة ــ وهذا يوضح تأثير بلنت (٢٣٩) ــ وان الحـزب يريد تحقيق القوة مع العدل والنبل في مطالبه .

واخذت ثورة عرابي مجراها .. ومن ١٨٧٩ عندما اعلن اول اعلان عسكري ، حتى سبتمبر ١٨٨٢ عندما انهارت الثورة العسكرية تماما ، كان الحزب قد تقوى تدريجيا : من بدايته البسيطة كجمعية عسكريـة صغيرة ، الى ان اصبح حركة شعبية كبيرة .. ببساطة وبسرعة ملأ قلب الناس ومشاعرهم بالانفعال .. وببساطة وسرعة انتهى بالهزيمة العسكرية المريـرة .

في اول الامر ، تطورت الحركة ضد الاجانب الى حركة عسكريـة لا تقاوم .. وقد القت الحركة كل عبئها على كاهـل العسكريين ، لان الجيش كان هو القوة الوحيدة في البلاد في ذلك الوقـت .. وليحمي الضباط انفسهم ونجاحهم المتزايد في المؤامرات وليشعروا الاوربيـون بطابعهم الاجتماعي ، كانت لهـم مصادر الاثارة السياسية الناجحـة في اوساط الجماهير وميادين العمل السياسـي ــ وفي المرحلـة الثانية ،

فلحماية الوضع المالي والسياسي ولخلق حياة نيابية حقيقية في مصر قاد عرابي ومحمود سامي البارودي مجلس الوزراء والمجلس النيابي •• وفي المرحلة الثالثة وفي الدفاع عن مصـــر ضد الهجـــوم الانجليـــزي على الاسكندرية ، اجتذب الجيش ــ كقلب للحركة ــ طبقـــات المتعلمـــين والمثقفين وكثير من الصحفيين والاعيان وقـــدر ملحوظ من الفلاحين وعدد كبير من الزعماء الدينيين •• وتدريجيا انتقلت الحركة الى دفـــاع ديني ضد المسيحي المغتصب ، وعندئذ ذهب رسل عرابي الى العريش •• وجنوب فلسطين ليحتشد العرب تحت رايته • (٢٤٠)

وكانت اسباب هزيمة عرابي كثيرة •• احدها الخلاف المتواصل بين مجموعة عرابي والقصر •••• كثـــير من المؤيدين وزعوا انفسهم بـــين الطرفين مما مزق قوة الحزب الوطني التنفيذيـــة •• وعلى اي حال فان كثير من الناس وقفوا يراقبون الحركة ليروا اي الجانبين يفوز •• واكثر من ذلك فان خبرة الزعماء السياسيين والدبلوماسية كانت اقل بكثير من خبرتهم العسكرية •• وقد امكن اثبـــات ذلك كثيرا اثناء الحركـــة وبعدهـــا ••

ولم يكن الهدوء الذي تبع هزيمة المصريين ، معناه انتهـــاء المقاومة تماما •• فقد كان حليم باشا لا يزال يحرك مروحته تحـــت الجذوة •• ولقد ظل حليم باشا الذي كان على اتصال منذ البداية بالجمعيات السرية في مصر محتفظـــا باتصالاته مـــع الضباط المصريين طوال احـــــداث ٧٩/١٨٨٢ •• ولا شك انه اشترك في بعض اعمال وقـــرارات الحزب الوطني ، ولو ان دوره الحقيقي في تطور الحوادث وفي ثورة عرابي ظل مجهولا (٢٤١)

وبعد هزيمة الجيش ومحاكمة زعمائه ، (٢٤٢) ظلت سمعة حليم باشا في مصر قائمة ، (٢٤٣) واستمر في نشاطه •• وقد ظلت الارستقراطية

التركية في مصر والذين ينتمون الى النظام القديم يؤيدون ترشيح حليم لعرش توفيق سرا ليكونوا مع الدوائر الفرنسية معارضة لانجلترا في مصر .. (٢٤٤) وكان لحليم ايضا مؤيدين بين غير الاتراك من المصريين ، وبعضهم قبض عليه من اجل هذه الاتصالات .. (٢٤٥)

كما ظل نشاط جميل صنوع الصحفي والسياسي في السبعينات من القرن الثامن عشر ملحوظا .. وكان قد نفي ابان ثورة عرابي ، ولم يعد لنشاطه وجود .. ولكنه ظل على اتصال بزعماء الحزب الوطني يشجعهم في مجلته « ابو نضارة » التي كانت توزع مجانا بين ضباط الجيش (٢٤٦) .. ومن ناحية اخرى ظل صنوع يؤيد حليم بحرارة في مجلته ونشراته (٢٤٧) .. وفي مجلة « العروة الوثقى » التي كان يصدرها الافغاني ومحمد عبده في باريس (٢٤٨)

كان صنوع حلقة الاتصال المفقودة بين حليم وزعماء الحزب الوطني .. وقد كانت مقالاته النارية التي اشتهرت في مصر مسؤولة الى حد ما عن الاحتفاظ بروح المقاومة للاحتلال .. (٢٤٩)

وكانت هناك جريدة اخرى عربية في « مجهورن » يصدرها بعض اصدقاء عرابي الذين هربوا ، والذين ظلوا يخدموا اهداف الحزب الوطني .. (٢٥٠) وكانت الدعاية التي قام بها هؤلاء الصحفيين الى جانب نجاح ثورة المهدي ، واحدة من الاسباب لتحليل كثير من المعلومات عن ثورة عرابي . (٢٥١)

كانت قيادة المقاومة للتدخل الاجنبي من وضع ضباط الجمعية السرية .. وقد ظل عرابي بصفة شخصية يضع خطوط هذه المقاومة حتى نهاية الثورة .. ولم يكن لشريف او الاغنياء امثال سلطان باشا (٢٥٢) الكلمة الاخيرة في مجلس الجمعية العمومية .. كان الضباط هم ومن في دائرتهم الذين يتخذون القرارات .

فقد كان عرابي شخصية مسيطرة •• وكان له نفــوذ جذاب يفسر تأثيره العميق على الضباط وعلى الكثيرين من المصريــين خارج الدائرة العسكرية •• وكانت له موهبة ملهمة في الخطابة ساعدته كثيرا على تأكيد سيطرته على تابعيه •• ولو ان نظرته السياسية البعيدة اكتملت لكان في ستطاعته ان يفعل الكثير لقضية مصر •• وكذلك كان رفضه للنصيحة العسكرية احدى عوامل تعثر حركته •

ومن اهم معاوني عرابي ، كان محمود سامي البارودي (١٨٤٠ ــ ١٩٠٤) ، احد الشعراء الذين اعادوا للشعب العربي مكانته في مصر •• كان يعرف العربية والتركية والحبشية وكرس نفسه للخدمة العسكريــة في عهد اسماعيل •• وبالرغم مــن انه قام بكتابة الكثــير من بيانــات الثورة ، فانه كان قليل المعرفة بالسياسة والشؤون الدوليــة •• ولعدم معرفته باللغات الاجنبية فلم يكن في قدرتــه الاطلاع على الامكانيــات الاوربية والاتجاهات الفكرية (٢٥٤)

ومن المعروف ان الصحافة كلها ايدت ثورة عرابي وامدتها بالقوة الفكرية اللازمة (٢٥٥) •• ومن بين الصحفيين اللامعين الذيــن ايدوها عبدالله النديم (١٨٤٥ ــ ١٨٦٠) •• ولد في اسكندرية في ظــروف فقيرة •• ولعب الفقر دوره الفكري في حياته الاولى •• واصبح مــن الصحفيين المعروفين على ايامه واشتهر بكتاباته ، ثم انشأ جريدته الخاصة باسم « التنكيت والتبكيت » ثم تغير اسمها الى « اللطائف •• وبلهجة لاذعة كرس النديم نفسه وجريدته وخطبه لمقاومة النفوذ الاجنبي •• وكان الوحيد الذي لم يسلم نفسه للانجليز ، وظل مختفيا تسع سنوات في الريف حتى قبض عليه ونفي • (٢٥٦)

من الصعب تحديد كيف بدأ الضباط يحولون جمعيتهم السريــة الى حزب سياسي ، ثم الى حركة شعبية •• فقــد كان تنظيمهم دائمــا

مجهولا ، بالرغم من انه مثل احيانا كحزب سياسي ، وبالرغم من استعماله لشعارات اوربية واصداره بيانات ، عندما ترجمت ذكرت العالم بالبيانات السياسية التي تصدر في انجلترا وفرنسا •

وبتأييد الصحوة الروحية للسخط الضاريـة في الشرق الادنى في ذلك الوقت •• وبتشجيع العواطف الاوربية قاد الحزب الوطني حركته القصيرة الاجل في دورها الاثاري ، وانهاها دون ان يستطيـع توحيد صفوف الذين ايدوها • (٢٥٨)

وكل ما يقال عن ان هذه الحركـة كانـت تؤيدها تركيـا ، وان الاتصالات قامت بين زعمائها واسطنبول •• فان التأييـد والتشجيع الذي لقيته الحركة يعطي احساسا عميقا بشعبيتها ، ولـو ان الشعور الوطني لم يكن قد تهيأ بعد •• والحقيقـة الكبيرة ان هذه الحركـة دينية •• وكان قادتهـا العسكريـون يوجهـون دعايتهم لاهـم واول اهدافها •• وهي اجلاء العناصر الاجنبية عن مصر •

مصر الفتاة

جمعية سرية أخرى اتجهت لان تكون حزبا سياسيا .. بدأت في الاسكندرية عام ١٨٧٩ ، دون ان يكون لها اي ماضي قبل ذلك .. ولكنها لا بد ان تكون قد تكونت قبل ذلك .. وليست مثل الحزب الوطني فقد تشكلت من المثقفين والمتعلمين الذين لعبوا دورا هاما فيها .. كان اسمها مصر الفتاة .. ولا شك ان فكرتها منقولة من الجمعية الوطنية المشهورة ايطاليا الفتاة ..

وزعماء هذه الجمعية كانوا مسلمين .. ورئيسها كان مجهولا تماما . ولكن محمد امين رئيس محكمة اسيوط كان نائبا للرئيس ، كما كان محمود واصف المحرر بالعدل السكرتير (كاتم الاسرار) .. وهذان الاثنان هما اللذان اغريا الصحفي المشهور في ذلك الوقت عبدالله النديم لينضم الى جمعية مصر الفتاة .. وكان في الجمعية من الاعضاء المشهورين الاخرين اديب اسحاق وسليم النقاش .. وكان عبدالله النديم هو الذي نصح محمد امين ومحمود واصف ليتركا مصر الفتاة وينضما الى جمعية غير سرية اخرى ، هي الجمعية الخيرية الاسلامية . التي كانت ترفع مبادىء اعمال الخير والتعليم . (٢٦٣)

وكانت اخبار مصر الفتاة واجتماعاتها الاسبوعية ترسل الى صنوع لينشرها في مجلته « ابو نضارة » (٢٦٤) .. وكانت الجمعية على درجة

من الوعي ، دفعها لان تصدر جريدة خاصة لها تحت اسم « مصر الفتاة »، بدأت في الاسكندرية ، واستمرت حتى عام ١٨٧٩ • وقد صدرت اولا باللغة الفرنسية ثم بالعربية بعد ذلك •• وانتقدت بشدة النفوذ الاجنبي في مصر ، واتخذت رياض باشا رئيس الوزراء في بداية عام ١٨٨٠ هدفا لهجومها وكان رئيس تحرير المجلة اديب اسحاق ، وكتب فيها عبدالله النديم (٢٦٥) •• وكانت المجلة هي قمة النشاط السياسي للحزب •

وبعد تولي توفيق العرش بقليل ، اصدرت الجمعية — او بعض من فيها — برنامجا بمشروع للتنظيم وجهته الى « صاحب السمو توفيق الاول خديوي مصر من اتحاد الشباب المصري » •• وكان البرنامج مكتوبا بدقة وطلباته قوية ولكن عادلة • (٢٦٦)

وكان برنامج الجمعية طويل ومفصل •• (٢٦٧) وقد بدأ بالثقة في الحكام الجدد •• ثم راح يصف حال الفلاحين الاقتصادية والاجتماعية بالغة السوء ، بعد ان اخذت اراضيهم واصبحوا يلاقون صعوبات في دوائر القضاء الاداري والحكومي في مصر •• واعطى البرنامج اربعة اسباب لمتاعب المواطنين • ا — تجميع كل القوى في يد فرد واحد •• ب — افتقار التنظيم القانوني في العلاقة بين الحاكم والمحكومين •• ج — الافتقار الى الحماية والادارة الحسنة القضائية •• د — عدم كفاية التعليم العام •

ثم قدم البرنامج مشروعا للتنظيم •• بفصل السلطات الحكومية وتحديد المسؤولية الوزارية ، وتأكيد المساواة امام القانون ، وتحقيق والحصانة للحرية الشخصية والامن وحرية الدين والصحافة •• واعادة تنظيم الجيش بفرض قانون للخدمة العسكرية ، وضمان للدين المصري العام ، ووضع الضرائب حسب قانون ثابت ، واقامة حياة نيابية مستقلة بسلطات ثابتة وانتخابات حرة •• ووجه البرنامج نقدا مرا للقضاء والتنظيم المالي •• وفي الجزء الاخير اكدت ضرورة اصلاح جمع الضرائب وجعلها في موسم التحصيل فقط ••

وفي ديسمبر ١٨٧٩ طبع هذا الاتحاد المصري للشباب كتيب خاص طالب بحرية الصحافة .. وظهر الكتيب في باريس ، ثم نقل الى العربية بعنوان « حرية الطباعة » .. وفي هذا الكتيب الذي قدم الى توفيق ايضا ، طالب الاتحاد بحرية الصحافة وهاجم مكتب الصحافــة ومراقبة الانبــاء ..

كان برنامجي الحزب يشرحان بصدق المتاعب التي تعانيها الجماهير ويهاجمان المتسببين في هذه المتاعب .. وكانت اقتراحات البرنامجين تدور حول حلول عادلة للمشاكل المصرية .. ويبدو ان زعماء الحزب لــم يكونوا قانعين بمجرد الاصلاحات المبدئية ، وكانوا يطلبون تنظيم مسح لكل فروع الحياة في مصر .

لقد ظهرت جمعية مصر الفتاة في بداية عام ١٨٨١ ، واختفت بعد ترك محمد امين ومحمود واصف والنديــم والاخريــن لها .. فبعض اعضاؤها انضموا الى الحزب الوطني .. ومن الممكن تقدير ما اذا كان هذا افاد كلا الحزبين .

الحزب الوطني

بدا، بعد القضاء على الثورة العرابية وسجن او نفي زعمائها، ان مقاومة التدخل والنفوذ الاجنبي قد انتهت وخيل للكثيرين ان الحركة قد ماتت بنهاية زعامتها ، كما هو المتبع في الشرق الادنى عادة ..

الا ان المقاومة للسيطرة الانجليزية لم تتوقف ، خلال العشر سنوات الاولى من الاحتلال البريطاني ... ففي الخارج ظلت الدعاية تنظم المعارضة ضده فوق صفحات الصحف العاطفة على القضية المصرية .. اما في داخل مصر فقد عبئت المقاومة للسيطرة الانجليزية بالطرق الآتية :

أ ـ في الصحافة الفرنسية مثلا .. لم تقتصر المعاونة على مساعدة الدعاية الفرنسية ضد النفوذ الانجليزي في الصحف الفرنسية فحسب .. ولكن الامر تعدى الى تمويل ومساعدة الصحف العربية نفسها .. فقد كان رئيس تحرير جريدة « الاتحاد المصري » التي هاجمت الانجليز بعنف .. فرنسيا . (٢٦٨)

ب ـ حظيت الصحافة الوطنية بالتاييد المعنوي ، بل والهمت في بعض الاحيان بموضوعات ومقالات للمساعدة من امثال « بلمرز كجك » كما قال عبدالله النديم في مقالاته النارية التي هاجم فيهـا الانجليز في مجلته الاسبوعية الاستاذ فيما بين اغسطس ١٨٩٢ ويونيو ١٨٩٣ (٢٦٩)

لم تتوقف المقاومة ضد الاحتلال .. ولكنها افتقدت على صفحات

الجرائد الوطنية ، وفي خارج البلاد ، مع ان الاحتلال كان شيئا غير عادي في حياة الناس انفسهم .. (٢٧٠) ولذلك فمن الصعب تقرير الاثر الذي كانت تتركه الصحافة على الجماهير .. خصوصا وانه من المعروف ان غالبية الجماهير كانوا اوربيين او نصف المتعلمين .. ولكنها بالفعل نجحت في ان تؤكد للغالبية من الاجانب وعلى الاخص الانجليز الذين يعيشون بين طبقة المتعلمين في المدن الكبرى ـ ان الشعب ومثقفيه لم تهدأ ثورتهم ضد الوجود الانجليزي غير المشروع في مصر . (٢٧١)

كان التجمد واللامبالاة السياسية قد انتقلت من الفلاحين الى غيرهم من الشخصيات في اواخر ايام عرابي واثناء الفترة الاولى من الاحتلال البريطاني . وقال بوريللي ـ احد الاوربيين الذين احتكوا بالمصريين عام ١٨٩٥ ، انه لا الفلاحين ولا سكان المدن يهتمون بالسياسة . (٢٧٢)

ولكن بعض التغيير بدأ يحدث في اعقاب المرحلة الراكدة . ويبدو ان التقدم في التعليم ، وتضخم الصحافة الوطنية ، وبعض الاصلاحات الموضوعية لمستوى الحياة بدأ يشد اهتمام الناس للسياسة .. من المحتمل ان يكون المثقفون قد وجدوا في العمل بالسياسة اثارة لانتباه الناس .. ولقد ساهمت الصحافة الفرنسية وبعض الصحف الايطالية الحرة ، في اثاره هذا الاهتمام بين الناس بالقضايا السياسية . ـ

وكان طبيعيا بعد ذلك ان يتكون بين المتعلمين والمثقفين فريق يجمعه شعور موحد تجاه الاحتلال ويحدد شخصيتهم ومطالبهم .. وان كانت العضوية في هذه المجموعات السياسية او الاحزاب تقوم على الارتباط الشخصي اكثر منه على المعتقد السياسي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى (٢٧٣) .

ففي اعقاب هزيمة ١٨٨٢ قامت جماعة سياسية بتوجيه من الخديوي

توفيق قيمت الاوضاع الجديدة في البلاد من وجهة نظرها وطالبت بعلاقات مع بريطانيا العظمى ، ولكن بلا اي شروط •• فلم يكــن هناك مصري يجرؤ في السنوات العشر الاولى للاحتلال ان يفصح عن نيته في المقاومة •• واولئك الذين كانوا يؤمنون بضرورة مقاومة الاحتلال فضلوا الصمت واقتصر نشاطهم على الانضمام الى الجمعيات التي تؤيد السلطان التركي الذي كان لا يزال يأمل في عــودة مصر الى سلطانــه •• او العمــل مع الجمعيات الفرنسية التي كانت تعارض انفراد انجلترا بتصريف اعمــال مصر •• وكانت تلك الجمعيات الفرنسية تطالب انجلترا باعطــاء مصر حكما ذاتيا ، وتعتمد على تنمية وعي الشعب المصري تدريجيا (٢٧٤)•

وفي الاوضاع غير التنظيمية (٢٧٥) تكون عدد من الجماعات مــن تابعي عرابي • يشجعهم الخديوي عباس الثاني وكان اعداء الاتــراك من اتباع عرابي قد اختفوا تمامــا ، ليظهر غيرهم ممــن يعـــادون الانجليز (٢٧٦) ••• وبعض المجموعات الاخرى تجمعت بتشجيع العناصر التركية والشركسية الغاضبة لتجاهل سلطات الاحتلال لمراكزها ونفوذها •• وكان مختار باشا يقوم بحلقة الاتصال بين هذه الجماعــات والسلطان في استنبول • وكان يحمل اليهم تأييد السلطان ، وايضا يحمل اليــه الحاحهم بأن يتخذ السلطان من جانبه موقفا عمليا من الاحتلال الانجليزي في مصر ••

وكان لهؤلاء جميعا عذرهم في كراهيــة الاحتلال الانجليزي في مصر • فلم يقف السخط عند حد النشاط العام ، بل امتد الى الرسميين في الادارات الحكومية ايضا •• وانتظمت في المكاتــب الحكومية نفسها جماعات سياسية كانت تبادر باتخاذ قرارات سياسية كلما بدت الحاجة اليها •• ومن مراكز هذه التجمعات في القاهرة امتد الشعور بالسخط الى بقية القطر مثل المنصورة والزقازيق •• وفي اوائــل التسعينيات كــون

تنظيم ضد الاجانب تحت اسم « مصر للمصريين » كان هدفه الاول ازاحة الاجانب الذين حلوا محلهم في الوظائف الحكومية • (٢٧٧)

ولكن هذه المقاومة فجرت بذكاء بواسطة شاب صغير اسمه مصطفى كامل في نهاية القرن التاسع عشر ••• عندما جمع حوله فريق منظم كون منه حزب سياسي ضد انجلترا •• وكانت حياة مصطفى كامل جزء مرتبط بتكوين الحزب الوطني •• كما كان الحزب ــ حتى بعد موته ، وفي تطوره حتى الان ــ يحمل طابعه الشخصي الواضح •

ولد مصطفى كامل في ١٤ اغسطس عام ١٨٧٤ •• وسرعان ما ظهرت شخصيته حين برز في مدرسته كطالب متفوق في اللغة العربية •• واتم دراسته في مدرسة القانون ، وفي هذه المرحلة بدأت موهبته الصحفية في الظهور •• وفي فترة متقدمة من حياته في سنة ١٨٩٣ اصدر مجلة شهرية سماها المدرسة •• وهي بهذا تكون المجلة الاولى في التعليم الحديث في مصر •• (٢٧٨) وكان قد مارس الكتابة في الصحف ايضا ، فنشر بعض المقالات في الصحف العربية • وكانت الخطوة الهامة في حياته يوم سمح له بان يتم تعليمه القانوني في فرنسا (٢٧٩) وفي فرنسا •• في باريس وتولوز اتاحت الظروف لمصطفى كامل ان يتعلم ، ليس القانون فحسب ، ولكن ايضا التاكتيك السياسي ، ومبادىء تنظيم الاحزاب والدعاية •

وفي اوساط المثقفين والسياسيين الفرنسيين تعرف مصطفى كامل الى رجل السياسة الفرنسي وعدو الانجليز ديلونكل De Loncle وقدم ديلونكل مصطفى كامل الى جوليت آدم Juliette Adam الدموية الكره للانجليز ، وواحدة من زعيمات الدوائر السياسية المثقفة في فرنسا في النصف الثاني من القرن لتاسع عشر وهكذا ارتبط مصطفى كامل بجوليت آدم التي فتحت امامه الصالونات السياسية والثقافية في فرنسا وتولته بالرعاية والتشجيع والتوجيه •

كان مصطفى كامل قد وعى اهمية الدعاية في بدء حياته (٢٨٠) •• وفي اوائل خطواته الدراسية وزياراته في اوربا شعر ان من واجبه ان يؤدي دورا فراح يهاجم الانجليز بعنف كلما وجد الى ذلك سبيلا •• (٢٨١) وفي اوائل يوليو ١٨٩٥ طبع كتيبا في فرنسا اسمه Conférence sur l'egypte fait à Toulouse وصدى الكثير من خطبه التي ندد فيها بالبؤس والظلم الذي يشيعه الحكم البريطاني في مصر •• ويطالب فيها بحرية بلاده ••

وعندما شعر مصطفى ان الاوان قد آن ليؤدي دوره في بلاده عاد الى مصر ، حيث نجح في تكوين فريق من الاصدقاء الذين آمنوا مثله بأن من واجبهم بعث الروح الوطنية في الشعب المصري للمطالبة بحقوقه •

تلك الجماعة من المريدين والمؤيدين والتي ظلت تتسع وتزداد ، كانت هي النواة التي صنع منها مصطفى كامل حزبه الذي انشأه رسميا في عام ١٩٠٧ •• والذي ظل يدعى « حزب كامل » كما يقول الاوربيون والمصريون بما في ذلك الدبلوماسيون الانجليز •• منذ انشىء حتى نهاية القرن التاسع عشر •

واشهر الشخصيات ــ بين الذين كون منهم مصطفى كامل الحزب ــ احمد لطفي السيد ، الذي اصبح بعد ذلك رئيس تحرير الجريدة •• ومحمد فريد الذي خلف مصطفى كامل في رئاسة الحزب •• ومحمد عثمان (ابو أمين عثمان) •• ولبيب محرم (اخو عثمان محرم) •• وسعد الشيمي (٢٨٣)

ولينشر مصطفى كامل واتباعه هدفيه الرئيسيين ــ باستثارة الوطنية الجارفة وحب الحرية بين المصريين ، واقناع القوى الدولية بحق مصر في التحرر من الحكم الانجليزي الغاشم ــ اتخذوا ثلاث وسائل بالذات :

أ ــ النشاط الصحفي

ب ـ المحاضرات عن الافكار الوطنية المصرية في الداخل والخارج .
ج ـ التوسع في وسائل التعليم

ولم يكن بمحض الصدفة ان يتجه مصطفى كامل الى الصحافة في بداية عمله السياسي .. اذ يجب ملاحظة ان الصحافة كانت الميدان العملي الوحيد في مصر حتى نهاية القرن الثامن عشر لممارسة السياسة .. ففي اواخر حكم اسماعيل ، لم يكن في مصر الا جريدة واحدة .. وبعد عشرون سنة في عام ١٨٨٩ ، كان هناك خمسون جريدة عربية يومية (٢٨٤) في القاهرة وحدها .. وفي مصر حوالي ٢٠٠ جريدة ومجلة (٢٨٥) .. وفي خلال خمس سنوات من عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٠ وصلت المجلات الى حوالي ٥٠٠ مجلة ونشرة دورية ، ولو ان اكثرها كان قصير الاجل (٢٨٦)

وسارت الزيادة في عدد الجرائد خطوة بخطوة ، مع الزيادة في عدد القراء .. في نفس الوقت الذي تقدم فيه التعليم ..

والجريدة هي حلقة الاتصال بين قرائها بعضهم وبعض .. ففي الوقت الذي تصدر فيه الجماعات والاحزاب في اوربا جرائدها ليلتقوا حولها .. ففي مصر تتبلور المجاميع حول الجريدة التي انشئت فعلا ، وبمضي الوقت تتكون الاحزاب ، وتتجسد الاهداف والانشطة والتيارات .. ولكنها تظل مركزة في الجريدة ..

وظلت هذه هي الظروف السائدة في مصر لتكوين الاحزاب والجماعات خلال السبعينيات والى اوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر .. حتى الحرب العالمية لاولى . (٢٨٧)

وقد فطن مصطفى كامل الى اهمية اصدار جريدة كبرى يدعو فيها لمبادئه وآرائه ، وليقوي الروابط بينه وبين تلك العناصر التي ينوي قريبا ان يكون منها الحزب الوطني .. وكانت « اللواء » هي الاسم الفذ الذي اعطاه مصطفى لجريدته اليومية العربية ، والتي صدرت لاول

مرة في القاهرة في ٢ يناير ١٩٠٠ •• وقد انشئت كرد فعل للصدمة التي شعر بها مصطفى كامل والاخرين حيال جريدة المؤيد (٢٨٨)

وفي العدد الاول كتب مصطفى كامل ٤ صفحات لبرنامج حزبه وسياسته بوجه عام •• فاللواء تصدر لخدمة الامة والاسلام باحترام وبشكل عملي ، ولتقوية الروابط بين المصريين بعضهم لبعض •• ولتطالب باصلاح التعليم والاقتصاد ، وتصنيع البلاد .

وفتحت اللواء صفحاتها للمثقفين •• وكتب فيها احمد شوقي وخليل مطران •• وكانت سمة اللواء وشخصيتها سياسية وليست ثقافية •• وفي اوائل القرن العشرين لم تدع للآراء الوطنية بتوسع فقط ، وانما جمعت حولها كل العناصر الوطنية المتطرفة وخصوصا المعادية لبريطانيا •• فقد كانت تدعو الى مبادىء الحزب الوطني . وفيها ما فيها من هجوم عنيف على الاحتلال ، والمطالبة بضرورة استقلال مصر والسودان (٢٨٩)

وفي نهاية عام ١٩٠٠ ، كان مصطفى كامل قد طبع ملحق من اللواء اسمه مجلة اللواء •• وكانت توزع مجانا مرتين في الشهر لكل مشترك في اللواء •• (٢٠٩) وفوق ذلك كانت تطبع في المناسبات كتب وكتيبات •• وكانت خطب مصطفى كامل في كتيبات •• ففي اوائل ١٩٠١ طبعت كتابا مشهورا اسمه اخلاق وآداب •• « احلام الأحلام » حيث وسيلة نقد الحياة العامة تتم عن طريق النصائح الثقافية في صورة الاحلام •• (٢٩١) حتى ان اشخاص كجورجي زيدان الذي لم يكن يميل الى مصطفى كامل في نظرته السياسية ، لاحظ ان شعبية اللواء قد فتحت افاقا جديدة في تاريخ الصحافة المصرية (٢٩٢)

وقد شجع نجاح جريدة اللواء ونموها الشعبي مصطفى كامل على اصدار جريدتين يوميتين اخرتين •• L'étendard Egyptien

وظهرت لاول مرة مساء ٢ مارس ١٩٠٧ •• و The Egyptian Stendard وتبعت زميلتها في صباح اليوم التالي •• والاسمين ــ كما هو ملاحظ ــ مأخوذين من « اللواء » •• كما كانا يوزعان نفس مـواد جريدة اللواء مع بعض التغيير الذي يتناسب مع قرائهمـا الاجانب •• فقـد كانت الاهداف الرئيسية للجريدتين اسوة بالجريدة الام ــ الدفاع عن حقوق مصر والمصريين ، وتقوية الروابط بينها وبين الاجانـب الموجودين في البلاد • (٢٩٤)

وكانت وسيلة جرائد الحزب العمل على تضييق هوة الشك والريبة بين الاجانب في مصر ، ليصلوا بذلك الى تحقيق الهدف الاول •• (٢٩٥)

والى جانـب الاشراف على ادارة الجرائـد المصريـة والفرنسية للحزب ، خصص مصطفى كامـل وقتا كبيرا للخطابـة في المجتمعـات العامة •• وكان خطيبا مفوها ، اتاحت له قدرتـه الخطابية الرنانـة ان يستولي على انتباه سامعيه وقد شكا لجوليت آدم مـن اعبائه الكثيرة التي ترهق صحته في خطابات نشرت تحت عنوان « رسائل فرنسيـة مصريـة » (٢٩٦)

ثم كان التعليم احد الميادين التي قرر مصطفى ان يخوضها بسرعة الى جانب دوره الكبير في الكتابة والخطابة •• وكان طالما اتهم الانجليز بانهم يتعمدون اهمال التعليم وانهم يميلون الى اصلاح النواحي المادية للمصريين •• (٢٩٧) ولم يأخذ مصطفى كامل في اعتباره السرعة التـي يتم الاصلاح المادي عن الاصلاح التربوي وفي الوقت الـذي كان فيه تعليم المرأة شيء مكروه في انحاء العالم الاسلامي ، دعى مصطفى كامل الى تعليم المرأة لتكون زوجة صالحة وامـرأة مخلصة •• (٢٩٨) كما طالب بتوجيـه الاطفال المصريـين ليتجهـوا الى دراسة المهن الحـرة والموضوعات الصناعية •• (٢٩٩) وكـان يقابل افتتاح كـل مدرسة

بالتحية والترحيب ، وظل يدعو الاغنياء المصريين الى التبرع لتشجيع التعليم .. (٣٠٠) ولعب دورا كبيرا لانشاء مدرسة كبيرة في الحلمية في بداية عام ١٨٩٩ .. (٣٠١) ثم وجه اهتمامه الى التمسك بشعار ألا تقام مدينة كبيرة الا اذا كانت فيها مدرسة ، حتى يرتفع مستوى الثقافة الاسلامية ، مع تهيئة الجو الثقافي بدراسات انجليزية وفرنسية .. (٣٠٢) ويبدو ان هذه المدارس قد حققت نجاحا فرديا ، وسريعا .

وكان مصطفى كامل كما نعرف اول من طالب بانشاء جامعة في مصر .. ففي ٢٦ اكتوبر ١٩٠٤ اطلق اول صرخة في جريدة اللواء يطالب بضرورة انشاء الجامعة .. وفي١٩٠٥ عاد يدعو الى نفس المشروع واعلن عن قبول التبرعات لهذا الغرض ، ولكن ما جمع لم يكن فيه الكفاية فارجأه الى حين .. ولكنه لم ييأس ابدا .. وفي خطاب ارسله الى محمد فريد من باريس في ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ عاد يكرر ايمانه بأن انشاء جامعة في مصر ، هو ما خير ما يقدمه الوطنيون المصريون لبلادهم من جميل . (٣٠٣)

وحتى نهاية التسعينيات وبداية القرن العشرين كان مصطفى كامل منهمكا في نشر افكاره في مصر والخارج ، زيادة على ادارة والاشراف على جرائده بالعربية والانجليزية والفرنسية وخطبه العامة ومحاضراته مطالبا برفع مستوى التعليم الوطني في فرعيه العام والعالي .. ومن خلال هذه النشاطات الواسعة والمختلفة استطاع مصطفى كامل ان يجمع حوله مجموعة من الاصدقاء والمعجبين والتلاميذ .. وكان يخطب ويحاضر ويتكلم باسم مجموعته .. وبعد قليل لاحظ انه يجب ان تتحقق لهذه المجموعة فاعلية اكثر بتنظيمها كحزب قانوني على الاسس التي تقام عليها الاحزاب الاوربية .

ولقد هيأت الاحداث المناخ المناسب لما كان يدور في خلد مصطفى

كامل عن تنظيم الحزب من اصحاب النظرة العدائية المتطرفة للانجليز .. فقد كان اتفاق ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا ، صدمة للكثيرين من المصريين .. واثارت الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤/٥ ذعرا بين الشرقيين الذين لم يكونوا يقدروا امكانياتهم .. فلقد كان للنصر الياباني يومها تأثيرا غريبا في الشرق الادنى وكتب يومها مصطفى كامل كتابا عن اليابان الجديدة .. (٣٠٤) كما كانت حوادث « توبا » (١٩٠٦) بمثابة حشد اكبر لاعداء الانجليز ... فالمسلمين كانوا لا يزالون يتعاطفون مع شركائهم المتدينين المسلمين في تركيا .. ثم في النهاية فجرت حوادث دنشواي . كما اطلق مصطفى كامل والصحافة الوطنية ، حمم الدعاية العدائية ضد الانجليز (٣٠٦)

حتى عام ١٩٠٧ ، كان مصطففى كامل والمحيطين به يعتبرون انفسهم المتحدثين باسم مصر الجديدة ، اكثر مما هم حزبا سياسيا .. وبالرغم من انهم كانوا منذ عام ١٨٩٦ يطلقون على انفسهم اسم الحزب الوطني في بعض المناسبات .. خصوصا عند الحديث الى الصحافة الاجنبية .. (٣٠٧) ولكن مصطفى كامل لاحساسه العميق بان الوقت قد نضج لاقامة حزب سياسي منظم .. وربما لانه كان في شوق لان ينافس الاحزاب التي كانت قد قامت قبل ذلك بقليل .. او ربما لانه شعر ان ايامه قد اصبحت معدودة .. فقد اعد مصطفى كامل الارض لاقامة الحزب رسميا .. ومن المثير مقارنة السرعة التي اقام بها مصطفى كامل حزبه بتلك التي تم بها تشكيل حزب الوفد بعد ذلك بسبعة عشر عاما كحزب سياسي .. فلقد ظل سعد زغلول منذ عام ١٩١٨ الى ١٩٢٤ يصر على ان يمثل الشعب المصري فقط .. ولكن اجبر في بعض المناسبات السريعة ان ينظم نفسه كحزب ..

نشر مصطفى كامل برنامجا لحزبه في جريدة الفيجارو في مايو عام ١٩٠٧ .. وفي ٧ اكتوبر من ذلك العام عاد الى الاسكندرية قادما من

اوربا .. وبعد وصوله بثلاثة ايام كتب في اللواء يقول ان الوقـت قد حان لتكوين الحزب الوطني ، تنظيما كاملا ليجمع المؤيدين والاصدقاء الذين شاركونا في الكفاح الوطني لسنين عديدة (٣٠٨)

واعقب مصطفى كامل نداؤه هذا بدعوة ٦٠٠ شخص الى اجتماع في مسرح زيزينيا بالاسكندرية في ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ .. وكان مصطفى كامل يقصد ان يكون هذا الاجتماع الكبير بمثابة الدعوة للعضوية في الحزب .. (٣٠٩) فتحدث الى الحاضرين عن الحياة الوطنيـة المصرية بعد اتفاق ١٩٠٤ والتقدم الذي احرزه لعمل لوطني ثم اكـد مصطفى كامل انه بالرغم من محاولات الاحتلال الانجليزي ، فانه يشـق من ان الشخصية المصرية الحقيقية ستشق طريقها الى الاستقلال ..

ثم دعا الجمهور للاشتراك في الحزب الوطني .

احدث الخطاب دويا كبيرا في مصر ، ونشرت فقرات طويلة منه في الجرائد المصريةوتناقلته النشرات السياسية .. وانهالت طلبات العضويـة على مقر الحزب من كل انحاء مصر .. وعقد الاجتماع الاول للحزب في مبنى اللواء بالقاهرة بعد ذلك بخمسة ايام .. (٣١١) وكان احتفالا مهيبا وفخما حضره عدد ضخم يمثل كل الطبقات والهيئـات .. اعيان وزراع ومحامون ومهندسون وعمال ... وبناء على الدعـوات التي وجدت على الباب فقد كان عدد الحاضرون ١١١٩ ، بينما كان المتذرون ٨٤٠ .. اعتذروا عن حضورهم بالبرقيات والخطابات .

وفي كلمة الأفتتاح قال مصطفى كامل ان الحـزب قد انشىء منذ وقت طويل ، وان ما يحدث الان هو تنظيمه فقط .. ثـم انتقل الى استعراض عام عن المبادىء التي ينبغي ان تتبع فـي الحزب الوطنـي .. فالتعليم للجميع والتفاهم مع الجميع ، والاهتمام بجموع الفلاحين .
ثم تمت الاجراءات بعد ذلك على الطريقة الاوربية في الاجتماعات

•• فقد اثنى محمود انيس على مصطفى كامل ورشحه لرئاسة الحزب ، فانتخب بالاجماع •• وقرأ فؤاد سليم لائحة الحزب ، ثـم نوقشت بندا بندا فووفق عليها •

وتبعا لهذه اللائحة فقد انتخب مصطفى كامل رئيسا للحزب مدى الحياة •• كما تقرر ان يعقد اجتماع عام باسم المؤتمر الوطني يعقد كل سنة لانتخاب اللجنة الادارية ، ومناقشة ميزانية الحزب ومراجعة نشاطه وللتصويت على اقتراحات الاعضاء •• ثـم وضع القـرارات ، وان تسجل الاجراءات وتنشر دوريا ••

وتقرر ان تنتخب لجنة مركزية من ثلاثين عضوا لمدة سنتين ، عدا الرئيس •• وتجتمع مرة على الاقل كـل شهر •• ويجـب ان ينتخب الرئيس ونائبيه والسكرتير وامين الصندوق مـن بين اعضائها •• ثـم تنتخب من بين اعضاء هذه اللجنة مكتب تنفيذي من ثمانية اعضاء بما فيهم الرئيس الاول والسكرتير وامين الصندوق •• والمكتب التنفيذي يجتمـع كل اسبوع مـرة على الاقل ويقوم بتنفيـذ قرارات اللجنـة الادارية •• (٣١٢) وينشأ نادي مركزي للحزب ، وفروع له في جميـع انحاء القطـر (٣١٣)

وكان هذا هو التنظيم الحزبي الاول الحقيقي في مصر الحديثة •• ومن المؤكد انه اثبت نه حتى بعد مـوت مصطفى كامل ، وبعـد ان اصبحت شعبيته في الذكريات ، فقد ظل احدى حقائق الحياة السياسية في مصـر •

وكان برنامج مصطفى كامل الذي اعلنه يوم ٨ مايو ١٩٠٧ في جريدة الفيجارو الفرنسية واضحـا وليس خياليـا •• وكان من ستة مـواد وطالب فيه :

١ ـ تكوين برلمان مسؤول تنفيذي عملي نشيط يتلقى نصائح مـن الانجليز وليس اوامر

٢ ـ اصلاحات مختلفة في التعليم

٣ ـ تعيين الكفاءات المصرية في الوظائف الحكومية تدريجيا بدلا من الرسميين الاجانب

٤ ـ اعادة تنظيم الامتيازات بتقييد سلطات المحاكم المختلطة (٣١٤)

كانت مطالب مصطفى كامـل في اهتمامهـا بالتنظيم الدستـوري والاداري والقضائي ، اكثر اعتدالا مما كان متوقعـا ٠٠ وربما كـان لتأثر مصطفى كامل بافكار الجمهوريـة الفرنسية في الحرية سببا في ذلـك ٠

وفي اجتماع ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ تلى برنامج مصطفى كامل ، ووفق عليه بعد ذلك بخمسة ايام ٠٠ وبالرغم من ان بعض المتحدثين قد اثاروا الحماس والانفعال ، الا أنه هـو شخصيا ظل معتـدلا في موقفه وفي تعليقاته (٣١٥)

بالاستقلال الذاتي لمصر بدا مصطفى كامل مطالب برنامجه كما فعل منذ عام ١٨٤٠ ٠٠ وان كان فيه بعض الاختلاف عما كان يعلنـه عن تمسكه بالجلاء التام منذ وقت قريب ٠٠ واحتفظ في الطلب الثاني مـن البرنامج بالدعوة الى حكومة نيابية ودستور ـ بقصد ان يكسب ارضا تحت تأثير التطورات الدستورية في روسيا وتركيا ٠٠ (٣١٦) وتوجه في البند الثالث من برنامجه الى الدائنين الاجانب يهدىء خواطرهم ٠٠ وقد حوى البرنامج كثير من اتجاهات عرابي واسبابه ٠٠ ففي البند الرابـع استمر في نقده للحكومة كما كان يفعل وزملاؤه منذ سنين ٠

ان الاجزاء الاربعة التالية من البرنامج ، كانت تدعو الى التعليم العام ورفع مستوى الثقافة وليمكن توحيد لمسلمين ولاقباط ٠٠ الامر الذي كان يمثل احد اهداف مصطفى كامل التي يعتزم تحقيقها ٠٠٠٠ والجزء الثامن يتجه الى الاجانب في مصر يدعوهم الى تأييد المصريين في

مطالبهم •• ويتناول في البند التاسع والاخير فكرة تقويـة الروابط المصرية للصداقة والمحبة والتفاهم مع الشعوب الاخـرى •• خصوصا شعب الامبراطورية العثمانية •

وبشكل عام •• كان البرنامـج عملي ، ووضع الخطوط النهائية لحركة الحزب •• واقرب ما يكون الى نشاط مصطفى كامل السابق •• فقد كان البرنامج مثلا لادراك الزعيم السياسي في ذلك الوقت لظروف بلده •• وكان البرنامج سياسيا بالدرجة الاولى •• ودستوريـا يظهر اهتمامـا حيويـا بالتعليم •• ولكـن بلا اي اهتمـام •• بالشؤون الاقتصادية •• ولا يذكر المشاكل الاجتماعية اطلاقا ••

وعمل مصطفى كامل بكل جهده لانجاح حزبـه حتى يوم وفاته بعد ذلك باربعة اشهر •• وكان الاحتفال بجنازته صورة كبيرة للاسف الذي عم مصر •• كان احتفالا يعتبر الوحيد من نوعه في تلك الفترة من الزمن •• وعلى كل حال ، فقد ضمن مصطفى كامل حزبا ذو تنظيم قوي يعطيه القوة والثبات حتى امام مثل هذه الضربات •• وظل الحزب يعمل ويؤدي واجبه تحت رئاسة خلفاء مصطفى كامل حتى يوليو ١٩٥٢ •

ولقد كان من الاهمية بمكان في البنـاء السياسي انشاء حـزب سياسي رسمي يعمل في الحياة العامة •• وكان مصطفى كامل يعلم هذا ، وقد تعلم من شؤون السياسة الدولية ما كان يفتقر اليه احمد عرابي •• فقد كان ايضا يعلم انه لا امل في هذه الفترة المبكرة من حياة الاحتلال الانجليزي ، في الحصول على استقلال كامل •• ولذلك طالب وزملائه — في مبادئهم لسياسية بالجلاء •

وقد امضى مصطفى كامل وقتا طويلا في دراسة المسألة المصرية •• والدرس الاول الذي تعلمه مصطفى من فشل عرابي ، هـو الا يسمح للاحتلال ان يستغل الخلافات بين القوى الوطنية وبين الخديوي لصالحه

لذلك فلم يقطع صلته بالخديوي عباس الثاني لفتـرة طويلة •• (٣١٧) وحتى في الاوقات التي لم يستطع فيها ان يبقي علاقته الطيبة به ، فقد تحاشى تماما الدخول معه في معـارك عامة ، ينتهـز الانجليز فرصتهـا ليستفيدوا منها •

والدرس الثاني الذي تعلمه مصطفى كامل ، هو ان الجهل هـو العدو الاول لمصر •• ولهذا نادى في كل خطبه ومقالاته بالتوسع في التعليم الى اكبر قدر في مصر •• واقام المدارس التي تحمل اسمه فـي كل حي •• وكانت من فضائل كامل وحزبه ان فتح عين مصر على اهمية التعليم وخطورته ••

اما الدرس الثالث الذي تعلمه مصطفى كامل ــ وكان يحاول ان يستفيد من مأساة الفشل العرابي ــ فهو ان الاتحاد بين جميـع القوى في مصر ضرورة للمناداة بالجلاء والاستقلال •• ومـن عام ١٨٩٦ حتى نهاية حياته (٣١٨) دأب في كل اعماله وكلماته ومقالاتـه على تنظيـم الرأي العام وتوحيده •• وكان حريصا في مبادئه واهتماماته على تجميع كل القوى في الشعب وحول الشعب •• لانه كان مقتنعا ــ كما قـال في خطابه الذي القاه في مسرح ايطاليا بالقاهرة بان العدو الاول لمصـر ليس بريطانيا العظمى ، ولكن الفرقة •• (٣١٩) وفي مارس ١٩٠٧ وعد مصر بالاستقلال اذا هي اتحدت (٣٢٠)

واعتمد مصطفى كامل ومن جاؤوا من بعده على شكل من الدعاية يسمى « الابيض والاسود » •• وهي نفس الدعايـة التي تبناها بعد ذلك مصطفى كامل بنجاح كبير •• ففي خطب مصطفى كامل ومقالاتـه التي نشرها في اللواء كان يقول ان المصريين يجب ان يكونوا في احـد المعسكرين : الوطنيون الذين يطالبون بالاستقلال •• او المحتلـون الذين يساعدون الانجليز •• ثم يهاجم هؤلاء المحتلين بعنف ويطلـق

عليهم الصفات التي سرعان ما تنتشر بين الناس .. ولقد جمعت هذه الوسيلة من الدعاية حوله الكثير من المؤيدين ، واسكتت المعارضين .. على الاقل موقتا (٣٢١)

ولا شك انه لو لم يكن مصطفى كامل ومؤيديه الزعماء ينتمون الى العائلات ، لما امكنهم ان يتجاهلوا وجود طبقتين اجتماعيتين ، هما الاغنياء والفلاحين الفقراء .. وكانوا طالبوا بطبقة متوسطة كحلقة اتصال .. ولقد كان ذلك واضحا في بيانهم الذي لم يبدو فيه اي اهتمام يذكر بالمشكلة الاجتماعية في مصر .. كما ان مصطفى كامل منذ عام ١٩٠٧ حتى وفاته ، لم يبد اي اهتمام يذكر بالمشكلة الاجتماعية في مصر .. كما ان مصطفى كامل منذ عام ١٩٠٧ حتى وفاته ، لم يبد اي اهتمام في خطبه او مقالاته بالفلاحين ..

وربما كان مصطفى كامل يظن انه لا يوجد صراع اجتماعي في مصر .. او ان الخلاف بين الاتراك الشركس وبين العناصر المصرية قد طوته اسباب الاهمال .. ولذلك اتجه بكل ثقله وشخصيته ليجمع بين المسلمين والاقباط كزعماء متفاهمين في حزبه ، ويقنعهم بان يتناسوا خلافاتهم وحزازاتهم الدينية ، ظنا منه ان هذا هو الصراع الوحيد الموجود في المجتمع .. ولقد نجح مصطفى كامل في هذا الامر فعلا .. ولكن خلفاؤه لم يستطيعوا الاحتفاظ بهذا النجاح من بعده .. ولم تتكرر هذه الوحدة بين الطائفتين ، الا بعد الحرب العالمية الثانية تحت تاثير شخصية سعد زغلول الفذة .. وقد كان مصطفى كامل يبرر ضرورة هذه الوحدة بقوله

ان المسلمين والاقباط شعب واحد متحدون في الوطنية والعادات والمبادىء ونوع الحياة ، ولا يمكن التفريق بينهم (٣٢٢)

كذلك .. فا نتأييد الكثير من الاقباط لحزب مصطفى ، نوع من الدفاع العملي عن حزبه في شبهة انه نوع دعائي لجبهة اسلامية .. فبالرغم من أنه لم ينف ابدا اهمية الدين والتعاليم الدينية .. وكان

يكرر اهمية تعلم الدين خصوصا عندما يلتقي بطلبة المدارس فيؤكد لهم ان الدين والوطنية عنصران مكملان لبعضهما . (٣٢٣)

ولا شك ان اتجاه مصطفى كامل الذكي هذا في التوحيد بين المسلمين والاقباط قد هدأ الكثير من مخاوف اولئك الذين كانوا يخشون وقوع انفجار تعصب ديني في مصر .. وباي شكل كان فمن البديهي ان معارضيه هم الذين اساؤا اليه في عين فرنسا ، التي كان لا بد ان يلقى معاونتها في بدء نشاطه السياسي .. فقد كانت فرنسا لا تزال قلقة من المقاومة ضدها .. خصوصا مقاومة المسلمين لنفوذها في شمال افريقيا ومناطق اسلامية اخرى .. ولهذا فقد حرص مصطفى كامل على ان ينفي في عدة مناسبات انه ينوي تكوين جبهة اسلامية سياسية ..

وقد كان من الصعب على مصطفى كامل ان يوضح علاقته وتعاطفه مع الباب العالي في استنبول ـ فما كان يستطيع ـ والاحتكاكات بين المسيحيين والمسلمين في مقدونيا ومراكش تشتعل ـ ان يلتقي مع المصريين .. والمسلمين بنصف قلب او نصف عقل .. وما كانت احداث مثل انتصار الاتراك في اليونان ، او حوادث ثوبا تمر به دون ان تتركه بلا حركة .. ولقد اعلن مصطفى كامل مرة ثانية انه من الطبيعي ان يكون المسلمين تابعين للسلطان .. وهو نفسه ـ مصطفى كامل ـ استقبل بحرارة في حضرة السلطان عام ١٨٩٩ وفي مناسبات اخرى .. (٣٢٤) وظل بعد ذلك على اتصاله « بليدزركجك » (٣٢٥)

ولقد رفض مصطفى كامل ان يتورط في الدعوة لعودة مصر الى نفوذ السلطان التركي مرة ثانية .. وبرر اتصاله بالقوى التركية في استنبول على انها للحيلولة دون استمالة انجلترا للسلطان ليعود فيستعمل حقوقه على مصر لصالح الاحتلال الانجليزي .. وهذا يجعل الشعب المصري بلا معونة مرة اخرى .. ومعنى هذا ان مصطفى كامل

كان يقف الى جانب السلطان التركي كرها للانجليز فحسب .. ولكـن دون ان تكون عنده نية تكوين جبهة ثورية اسلامية .. وانه يرجو ان يكون على علاقة طيبة وصداقة بالاجانب المقيمين بمصر . (٣٢٦)

ولم يكن بيانه الذي اعلن فيه انه لا ينوي تكوين جبهة ثوريـة اسلامية ، نفيا لتعاونه مع القصر التركي في استنبـول فقط .. (٣٢٧) وانما يحاول به ان ينفي ايضا اتصاله ببعض الدوائر شبه السرية التي كانت تدار من استنبول في مصر تحت رئاسة لشيخ علي المؤيد الـذي يشرف على عملها السري وادارتها العلنية .. ولو ان الوعي الداخلـي لم يسمح لاغراضها ان تنتشر ابدا ..

ولكن كانت هناك جمعية اخرى اكثر اهمية من سابقتها .. وهـي جمعية مكارم الاخلاق .. وكان اعضاؤها حوالي الالف ولها فروع في جميع المدن الهامة في مصر .. وتجمع في عضويتها بعض الشخصيات البارزة في الدين ومختلف نواحي الحياة .. ومن محاضر جلسات هذه الجمعيـة وكانت جلساتها سرية ـ فقد تبين ان من اهدافها تكوين حكومات بقوانـين اسلامية في كل البلاد العربية .. وان تتجمع بعد ذلك كل هذه الحكومات في كتلة اسلامية واحدة . (٣٢٩)

ولكن الحزب السياسي اضطر للتعاطف مرة ثانية مع تركيا بعد ان فشل في الحصول على التأييد الفرنسي .. كان التأثير الفرنسي واضحا في أول الامر على افكار واسلوب العمل في الحزب ، وكانـت اللغـة الفرنسية هي اللغة الثانية في البلاد بعد اللغة العربية .. اما بعد الصدمة التي تلقتهـا مصر من فرنسا في حوادث الفاشودة ، ثم في توقيع اتفاقية ١٩٠٤ بين فرنسا وانجلترا ، بدأت لهجة المديح التي كانت تكال لفرنسا في الجرائد الوطنية تخف تدريجيا ، ويحل محلها دعـوة الى المصريين للاعتماد على قواهم الذاتية وحدها ، دون انتظـار اي عـون خارجي يساندهم في محنتهم .. وعقب توقيع الاتفاقيـة مباشرة دعا مصطفى كامل الى اجتماع وطلب من مستمعيـه ان يعتمـدوا على امكانياتـهم

الذاتية فقط عن طريق نشر التعليم على اوسع مدى ، والتمسك بالوحدة الوطنية ، والثقة في الصحافة المصرية ورفع مستواها .. (٣٣٠) ومن المحتمل انه في هذا الوقت بدأ يتجه الى تقوية الروابط بالمندوبين الالمان في مصر .. وربما تكون هذه الصدمة السياسية في فرنسا ، هي التي دفعته الى تحقيق ذاته بالاعتماد على قاعدة سياسية جماهيرية تحت يديه تعوضه عن الاعتماد على القوى الخارجية وحدها .. وبذلك فكر في اقامة حزبه السياسي ... الحزب الوطني ..

كان مصطفى كامل قد بدأ يطالب بالدستور والحياة النيابية في عام ١٩٠٠ .. ففي ٥ اكتوبر من ذلك العام نشر مقالا بعنوان « الحكومة والامة في مصر » طالب فيه الانجليز بان ينفذوا ما قال « انه وعد لورد دوفرين باقامة حكومة دستورية في مصر » .. وظل يردد هذا الرأي مرات خلال السنوات التالية مؤكدا ان الحياة النيابية الدستورية في مصر هي الضمان الوحيد لأمل الانجليز في الوئام والاستقرار مع المصريين .. وكذلك فان تحقيق الحياة المستقرة للمصريين لن يكون الا بدستور مكتوب .

وقد استقر مضمون هذه الافكار الاصيلة عن الدستور والحياة النيابية في البند الثاني من برنامج الحزب (٣٣٣) وكان نجاح التجارب الدستورية في كل من روسيا والبلقان وايران وتركيا يلعب دوره في اثارة حماس السياسيين المصريين .. اما حقيقة ان هناك تجارب فاشلة للحياة الدستورية في الشرق الادنى ، فلم تكن في الحسبان .

وفي الفترة الاولى التي هيمن فيها مصطفى كامل على كل اشكال الدعاية السياسية ، من خطب ومقالات ومؤتمرات صحفية ، مع السياسيين والصحفيين في الكتب والجرائد العربية والانجليزية والفرنسية ، كانت اراؤه منقولة ومملوءة بالدراية السياسية .. ولكنها

تدريجيا تحولت الى محاورات ثقافية زكية ولكن تفتقر الى الحلول العملية والمبادرة .. كان في الاول قد اقنع المصريين والاخرين ان الاحتلال البريطاني ليس عسفا فحسب بل تجميد اداري للدولة المصرية ككل ايضا .. ولاصلاح ذلك كان يرى أن يستعد المصريون لادارة انفسهم وان يضعوا أيديهم على الحقائق مهما كانت مرة .. وضرب بادارة الري واستغلالها لخدمة المصلحة البريطانية مثلا على عسف الانجليز .. ثم انتقل بعد ذلك الى التنظيم العام للنشاطات المحيطة به . واعتبر في ذلك الكفاية . (٣٣٤)

وكان مصطفى كامل قد مارس تأثيره على الطلبة ، الذين أحبوه بصدق .. لدرجة انهم كانوا يوافقونه على ما يوجههم اليه من دراسات ، حتى ولو كان في ذلك عصيان لوالديهم ومدرسيهم .. وكان هو ورفاقه وراء الاضراب الكبير الذي قام به طلبة مدرسة القانون عام ١٩٠٦ ، والذي اخرج كل طلبة معهد الدراسات العليا ، احتجاجا على سياسة الاحتلال في التعليم .. وكان هذا الاضراب هو اول اتصال بين الحركة الوطنية والطلاب ، كما اعطى المصريين اول احساس بقيمة الاضرابات بشكلها الواسع (٣٣٥)

لم يسبب موت مصطفى كامل للحزب الذي أنشأه خللا او انشقاقا ، ولو انه اصاب التنظيم نفسه .. فالذين جذبتهم شخشية مصطفى كامل الديناميكية الى الحزب ، قد احسوا الان بفداحة غيابه .. الا ان التنظيمات التي كان قد اعدها مصطفى كامل قبل موته ، وبشكل كبير في التعاون بين الحزب والاحزاب الاخرى القائمة ، كانت تؤدي دورها في دفع طاقة النشاط في الحزب .. وقد ظل كذلك حتى عام ١٩٠٨ .

وانتخب محمد فريد المحامي واصدق مستشاري مصطفى كامل رئيسا للحزب بعده ..

وبدأ فريد حياته الطويلة في مصر بمجموعة من الخطب شيع بها كرومر بعد استقالته .. وكان ينصح مستمعيه بألا يلجأوا الى العنف ابدا ، وهو يطالب بالغاء الامتيازات الاجنبية ، او يتهم جماعة الاصلاح الدستوري التي يرأسها الشيخ علي يوسف بانها مثيرة للخلافات ..

وجاهد باسم حزبه من اجل البرلمان .. وكان يوجه كلامه في هذا الصدد الى الخديوي وليس الى الانجليز فالحياة بلا برلمان ، خير منها ببرلمان انجليزي وهي ضربة ماكرة للاحزاب الاخرى :

واتهم الوزراء بانهم يتقاضون مرتبات عالية في الوقت الذي لا يفعلوا فيه شيئا .. اللهم الا تنفيذ اوامر المستشارين الانجليز .. واتجه بكل آماله الى تكوين جبهة متحدة مثل كل المصريين ، لتحقق الحياة النيابية وتشرف على الحكومة ، وترفع سيطرة الانجليز .

وباسلوب مصطفى كامل ، زار محمد فريد انجلترا في عام ١٩٠٨ ، فالقى مجموعة من الخطب ، ونشر عدة برامج وبيانات على الرأي العام الانجليزي ، يعلن فيها رأي الحزب الوطني بضرورة الجلاء التام عن مصر ، وضمان دستور لا يقل تحررا عن دستور ١٨٨١ .. وطمأن الانجليز الى ان مصر تحترم كل الاتفاقيات الدولية ، والمحاكم المختلطة، والامتيازات الاجنبية ، والدين العام ، وخراج الباب العالي .. ثم طرح على البرلمان الانجليزي ان يعاونه في وضع حد للعسف الانجليزي ، في مقابل ان تضمن مصر من جانبها الامتيازات للاوربيين المقيمين فيها ، وحقوقهم المشروعة .

وكما وعد فريد في خطبته الاولى ، فقد قدم الحزب في عام ١٩٠٨ التماسا الى الخديوي موقعا من عدد كبير من الشخصيات ، بعودة البرلمان الذي الغاه الاحتلال .. وكان الحزب قد نجح فعلا في ان يستميل الى جانبه عددا كبيرا من اعضاء اللجنة التشريعية التي كانت تمثل الحياة

شبه النيابية الوحيدة في مصر .. والتي عارضت الاجراءات البريطانية عند مناقشة ميزانية ١٩١٠ .

كان الحزب الوطني في هــذه المرحلة قد اندفع نشطا بكل قــواه ليحبط خطة شركة قناة السويس لمد امتيازها حتى عام ١٩٩٨ .. فقبل عرض المشروع على الجمعية العمومية لمناقشته ، بادر الحزب فدعا الى مؤتمر كبير ، القى فيه علي كامل (أخو مصطفى كامل) خطابا عدد فيه الاخطار التي ستضر بمصر لو مدد هذا الامتيــاز .. ولقد كان لهــذا الاجتماع تأثــير كبــير على نظرة الجمعيـــة العموميـــة للمشروع المؤامرة . (٣٣٦)

وعكست كل هذه النشاطات والنجاحات السياسية طموح برنامج مصطفى كامل .. والخلاف الوحيد ، بين خطوات الحــزب الحالية ، وبين برنامج مصطفى كامل تبلور في الدعوة لتنظيم الدستور .. ولا شك ان هذا الاختلاف كان مجرد رد فعل لاحداث تركيا (٣٣٧) وباريس في اعوام ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩ (٣٣٨)

وانتشرت فروع الحزب في المدن والقرى الكبــيرة تحقيقا لرؤى مصطفى كامل .. وبمساعدة هذه الفروع وجهودها انطلقت ثورة تعليمه عارمة تدق ابواق القرى والمدن ، حتى وصلت الى حد ابتكار الدروس الليلية .. وقد اعتبر المحافظون هذه الثورة التعليمية احــدى النتائــج المباشرة لسيطرة ما أسموهم « بالمتطرفين » في الحزب .. وكــان هؤلاء يكسبون أرضا يوما بعد يوم ، وبما يقدمونــه للجماهير من كلمــات وشعارات مثيرة تتسم بالمطالب « الكاسحة » والحارة .. على حد قول المسؤولون في السفارة البريطانية ..

وتحت رئاسة الشيخ عبد العزيز جاويش أصبــح لتلك العناصر التقدمية في الحزب اليــد الطولى في جريدة « اللواء » وجرائــد عربية

اخرى يسيطر عليها الحزب كجريدة العلم اليومية القاهرية (١٩١٠) ، (٣٣٩) والتي اطلق منها العنان لحملة تفضح الانجليز •

وفي حزم •• اتخذ الحزب قرارا بتحديد أي موقف يـراد منه الوقيعة بين الاقباط والمسلمـين بعقد اجتماعات بـدأت في اسيوط ، وانتهت في القاهرة بنجاح •• كان الحزب لا يزال يلعـب دور مصطفى كامل في الحفاظ على الوحـدة الوطنيـة ، حتى تلك الفترة من عـام ١٩١١ •• (٣٤٠)

وبطبيعة الظروف التي كان يعيشها الحـزب فقد كانت الـروح المهيجة والعدائية تسيطر على اجتماعات المؤتمرات السنويـة للحزب ، والتي كانت غالبا ما تعقد في احدى العواصم الاوربية بواسطة الطلبـة المصريين في الخارج ••

عقد اول مؤتمر في جنيف عام ١٩٠٨ على مستوى صغير •• وعقد الثاني في سبتمبر مـن ١٣ الى ١٥ عـام ١٩٠٩ •• وقد نظم ليكـون في ذكرى معركة التل الكبيرة ، ونظمه الطلبة بدعاية كبيرة ، وحضره عدد من اعضاء الاحزاب المصرية الاخـرى ، (٣٤١) وزعمـاء M. B. S. الانجليز الايرلنديين ، والنواب الفرنسيين وعدد ضخـم من الصحفيـين العالميين •• وعلى الدراسات المقارنـة للمسألـة المصريـة والمسألـة الايرلندية ، فقد كانت موضوعات المناقشة تتركز حول :

١ ـ ايجاد منهج عملي لنشر المبادىء الوطنية بين الشعب •

٢ ـ ايجاد منهج اكثر فائدة لنشر التعليم الدستوري والسياسي

٣ ـ خلق منهج اكثر فعالية لاقامة مدارس حرة شعبية مستقلة عن الحكومة الانجليزية • مصرية •

٤ ـ اتخاذ الاجراءات الايجابية اللازمة لالغاء المرسوم الـذي صدر اخيرا ضد حرية الصحافة ـ وحرية الدفاع عن حقوق الشعب •

٥ ـ اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد القانون الجديد بشأن رقابة البوليس على الافراد . (٣٤٢)

كانت المناقشة في المؤتمر منظمة ومعقولة في موضوعيتها ولهجتها (٣٤٣) ولكن روح المؤتمر الحقيقية تجلت في القرارات (٣٤٤) وكان اول هذه القرارات هو المطلب التقليدي بالجلاء الكامل ، مع بعض الاضافات الحادة التي تعكس روح التقدميين الشبان .. ، عن الحياة النيابية كما كان القرار الثاني يخص المعركة الناشبة ، والصراع الحاد بين الاحزاب المصرية المختلفة ، وعن موضوع التعليم بشكل خاص .. وبينما كان القرار الثالث عن الصحافة ، كان الخامس احتجاجا على قانون الصحافة .. باختصار كانت القرارات هي الجلاء ، والحياة النيابية . وحرية الصحافة .

وفي سبتمبر عام ١٩١٠ في الفترة من ٢١ الى ٢٤ عقد مؤتمر الحزب الوطني الثاني في بروكسل .. ووسط حشد من المظاهرات في القاهرة والاسكندرية ، غادرها ٢٢ عضوا برلمانيا مصريا على باخرة خاصة الى المؤتمر .. ودعا فريد واعضاء الحزب كثير من السياسيين الاحرار والصحفيين والمؤلفين الاوربيين .. وارسل بلنت ـ بطل المسألة العرابية ـ الانجليزي برقية مطولة مملوءة بالعواطف للمؤتمر وطرحت للمناقشة اربعة موضوعات بشكل رئيسي :

١ ـ السياسة العامة في مصر والسودان

٢ ـ المشكلة الادارية والزراعية

٣ ـ المشكلة المالية لاعادة وضع مصر المالي الصحيح في العالم .

٤ ـ التعليم (٣٤٦)

وقرأ حامد العلايلي سكرتير المؤتمر احد الاوراق المثيرة المعروضة .. (٣٤٧) وكان حامد العلايلي وورقته يمثلان شخصية المؤتمر كله .. فبالرغم من انه كان سطحيا وتافها ، فان ورقته كانت تحتوي

على بعض المعلومات المميزة وبدأت الورقة بتحية اصدقاء مصر ، ثم انطلقت في حشد من الموصوفات الغربية للقوى والمنابع الثقافية للوطنية المصرية بالاسماء : الوطنية الزاهرة في التاريخ المصري القديم •• والمستوى الثقافي في الحضارة العربية •• والقوة المعنوية في الاسلام •• واكتساب الثقافة الاوربية الحديثة بالطبقات الرائدة •• ثم وصف المؤلف ما يتوقعه من صعوبات صحية ونفسية ومعنوية المصريين تحت الحكم البريطاني المضاد للسلام •• والنضج الذي يأمله للشعب اذا تحررت بلاده (٣٤٨)

كان المؤتمر ـ و تطرف النشاط الصحفي والفكري ـ دليل واضح على ان الحزب الوطني ، كان لا يزال اكثر الاحزاب تنظيما في الحياة الحزبية والسياسية في مصر •• (٣٤٩) بالرغم من ان المنافس القريب له قد وافق على تأييد انجلترا وفي ذلك ما فيه من استقرار معنوي •• والمنافس الثاني ـ اي الاصلاح الدستوري ـ يتمتع بحماية الخديوي، الامر الذي يحصنه ويدعمه •

وليس من السهل تحديد السبب في استمرار انحدار الحزب الوطني خلال سنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ •••• فهناك مجموعة من العناصر ربما تكون قد قامت بدور في هذا الانحدار •• كالصدمة التي تلقاها الحزب بالانشقاق بين الاقباط والمسلمين •• او تباعد الذين يؤيدون الحزب بعد تطرف صحافته •• او ربما كانت الشبهات التي القيت على شاويش وفريد في تعاونهما مع الباب العالي ، والتي اصابت منهم مقتلا ، واثارت ضدهم غضب الخديوي والاوروبيون الذين كانوا يعيشون في مصر ، وبالطبع الاحتلال الانجليزي •• اما اهم سبب وأقواها ، فهو غياب رئيس الحزب الكفء بعد موت مصطفى كامل ، وهو أول مصيبة اصابت الحزب •• ثم كانت الخسارة الثانية بنفي محمد فريد بطريقة فظة في عام ١٩١١ •• والسبب الاخير هو اقرب الاسباب

الى المنطق .. ففي اكثر من مرة خلال الثمانيات ، كان بقاء او غياب الانسان الكفء يقرر النجاح او الفشل في الحياة السياسية .

وتتضاءل المعلومات بعد ذلك عن الحزب الوطني خلال الحرب العالمية الاولى ، خصوصا بعد ان وقفت عداوته للانجليز تماما .. (٣٥٠) والحقيقة انه لم يوقف عداوته بمحض ارادته ، ولكن بقيام الحرب العالمية الاولى اعلنت الاحكام . واوقفت كل انواع النشاط السياسي والصحفي .. ولا شك ان ذلك الصمت الذي فرض على الاحزاب والاقلام كاد ان يلقي بالاحزاب كلها في غياهب النسيان في مصر .. وان كان الحزب الوطني قد حاول الافلات من هذا الصمت المفروض بالهرب الى اوربا حين كان يطمع في ان تنتصر القوى المضادة (٣٥١) لانجلترا ولو ان هذا الاتجاه يصعب اثباته ، كما يفتقر الى الادلة المادية لتأكيده .

ظل فريد وشاويش ينظران الى الباب العالي نظرة الحليف الطبيعي .. (٣٥٢) وكان يؤكد موقفهم هذا انهم وصلوا الى نقطة اللاعودة في عدائهم للانجليز ، بعد كل هذا الهجوم الصارخ .. وبقيام الحرب العالمية الاولى وجد فريد في القوى المعادية لانجلترا حليفا محتملا ، فذهب الى برلين ، (٣٥٣) ومات هناك في عام ١٩١٩ .. (٣٥٤)

كذلك فعندما عاد الطلبة المصريين من الدول الحليفة الى مصر اثناء الحرب ، بقي اولئك الذين كانوا في برلين ، سواء الذين ارادوا البقاء ، او الذين اضطروا للبقاء رغم انفهم لصعوبة العودة .. وبعض هؤلاء الذين ظلوا في برلين ، ايدوا المحور وسبوا للانجليز الموجودين في الشرق متاعب جمة .. (٣٥٥) وقد كان الالمان يركزون دعايتهم على مصر بوجه خاص .. (٣٥٦) وفي اوائل ١٩١٥ وصل نشاط المصريين في برلين الى حد انهم نظموا في برلين جمعية الوطنيين المصريين الشبان للاحتجاج على عزل الخديوي عباس حلمي الثاني . (٣٥٧)

نشرت مجلة Der neue Dicrut خطابا وصلها من مصـــري تحت اسم « ابن طولون » في نهاية الحرب العالمية الاولى ، ازاح فيــه الستار عن جمعية نظمها المصريون الوطنيون المعادين للاحتلال البريطاني في سويسرا ، واتفاقهم مع الالمان على القيام بحرب مفاجئة في مصر لطرد بريطانيا •• ولكن الشقاق دب بين اعضاء الجمعية لسبب لم يذكـــره الخطاب ، فاستقل اولئك الذين لا يريدون الارتبـــاط بالمانيا بجمعيـــة خاصة بهم •• واصبح للوطنيين المصريين في سويسرا جمعيتان ، احداهما على اتصال بالالمان سياسيا •• (٣٥٨)

ولم تكن سويسرا وحدها مقر الدعاية المصريـــة ضد انجلترا •• وانما ملأت دعايتهم كل اوربـــا •• ففي عام ١٩١٣ نشر محمد فهمـــي رئيس جمعية مصـــر الفتاة ، والروح المحركة للحزب الوطني ــ كتابـــا بعنــوان :

La vérité sur la question d'Egypte memoire presente au 6ème congres universale Genève 12 - 28 Septembre 1912

وفي ١٩١٧ اعيد نشر الكتاب مـــع بعض التعديلات تحت عنـــوان La question d'Egypte وتميـــزت أصالـــة الكتـــاب في مناقشته الموضوعية للتاريخ السياسي والاقتصادي والقانوني في مصر منذ عهد محمد علي . والاسس العلمية التي دعم بها انكاره للوجـــود والاحتـــلال البريطاني في مصر •• وعاد محمود فهمي مـــرة اخرى يناقش بريطانيـــا بعمق في كتاب مفتوح الى المستر سكويت رئيس وزراء انجلترا يذكر فيه بريطانيا العظمى بوعودهـــا التي لا تنفذ ويحذرهـــا من مكيدتهـــا السرية لعزل حلمي الثاني ••

ولقد كان مثـــيرا حقا تحرك هـــذا الحزب الوطني بهـــذا الشكل النشط في اوربا •• ففي استوكهولم نشر فرع آخر للحـــزب كتيبا خلال

الحرب ، شرح فيه الحالة في الشرق الاوسط عموما ، وفي مصر بشكل خاص •• وعلنيا اصدر برنامج يطالب فيـه بالاستقلال الكامل لمصـر والسودان ، ويختلف فيه مع حزب الوفد ، من انه يعارض المفاوضات مع بريطانيا ، الا اذا اعلنت الاستقلال الكامل لمصر ، بينما كان الوفد في الناحية الاخرى على استعداد للمفاوضات فورا •• وفي برن ، في ١٠ مارس ١٩١٩ نشر كتابا آخر بعنوان (٣٥٩) Appel on monde civilise وصف فيه الاستعمار البريطاني في مصر بالبوليسية المتطرفة والتجبـر والفظاعة ، واتهم السلطات الانجليزية بشنق واعتقال الوطنيين المصريين الشرفاء باسم المحافظة على النظـام فقد كان الانجليز فعـلا يتهمـون الحركات الوطنيـة في مصر خـلال السبعة والثلاثـون من الاحتـلال (١٨٨٢ ــ ١٩١٩) باثارة الحقد ضد الاجانب •• وان كان الاضطهاد الذي اتبعه الانجليز ضد الوطنيين المصريين كان خليقا بان يثير أعمق مشاعـر انكره لهم •• وكان بالفعـل يحمـل الاحرار في كل انحـاء العالم ــ وخصوصا في بريطانيا العظمى ان يمدوا يد العون لحصول مصر على استقلالهـا •

واستمرت دعاية الحزب الوطنية لا تهدأ •• أصدر احتجاجا قويا ضد لجنـة ملنـر في ١٩١٩ و ١٩٢٠ (٣٦٠) وضد اتفـــاق ملنر ــ زغلول •• (٣٦١) كان حريصا على ان يظل الرأي العام المصري متحفزا ضد انجلتـرا •• حتى ولو كانـت الوسيلة اثـارة الشعور ضد ابسط الموضوعات •• مثل الاحتجاج على التهنئـة التي ارسلها اللورد اللنبي باسم حكومة صاحبة الجلالة الى البرنس احمد فؤاد لمولد فاروق •• ورد فاروق على اللورد اللنبي بوصفه ولي العهد لعرش مصر (٣٦٢)

كما لم يتغير موقف الحـزب الوطني العنيد مـن المفاوضات مـع انجلترا•• فعندما كان عدلي يكن يتفاوض في لندن مع الحكومة البريطانية عام ١٩٢١ ، نشر فرع الحزب في برلـين اعتراضا على المفاوضات قبل

اعتراف بريطانيا باستقلال مصر ، محددا مطلبه في خمس نقط :

١ ــ الاستقلال التام لمصر
٢ ــ الوحدة بين مصر والسودان
٣ ــ لا ارغام لمصر في تقديم المساعدة العسكرية لانجلترا في المستقبل
٤ ــ لا معاهــدات تربط الاقتصاد المصــري باقتصاد الكومنولــث البريطاني (٣٦٣)

٥ ــ لا تفرض معاهــدات على مصــر لمساعدة انجلتــرا في خططهــا الاستعمارية (٣٦٤)

وكما كان متوقعا ، فقد عارض الحزب الوطني اعلان فبراير ١٩٢٢ الجائر لغموضه •• وارسلت اللجنة التنفيذية للحــزب احتجاجا شديدا للجرائد تعترض فيه على الاعلان الانجليزي، وتحذر الاعضاء من الاشتراك في اللجنة المعينة لوضع الدستور •• (٣٦٥)

ويلتقط تونبي Taynbee المؤرخ البريطاني هذه الظاهرة ليقول انه للمرة الاولى منذ سنين عدة ، يجد المصريون انفسهم منقسمين على مسألة داخلية سياسية واضحة •• لانها تتعلق بموضوع ليس للاحتلال فيه دخل . (٣٦٦) والتقاط تونبي لهذه الظاهرة له مغزاه •• ان الواقع ان هذا الحدث في حد ذاته كان تحولا هاما ، تطــورت فيه الحركات الوطنية في مصر من طور الاثارة ، الى مرحلة التحرك السياسي العملي••

أبدى برنامج الحزب الوطني الذي نشر في جريدة اللواء ، بينمــا اعضاء الحزب يحملون حقائبهم للسفر الى لــوزان ، بعض التغيير في الاهداف عن البرنامــج الــذي نشر في عــام ١٩٢١ •• وعن برنامــج ١٩٠٧ •• (٣٦٧) فمن فقرات البرنامج الثمانية ، كانت المطالب المعروفة تملأ الفقــرات الخمس الاولى •• الاستقلال التام لمصــر والسودان . وجلاء القوات البريطانية ، ورفض اي مفاوضات مع انجلترا ، او عقــد اي اتفاقيات استثنائية معها في حوض النيل ••

اما الفترة السادسة فكانت تعترض على جميع القوانين التي فرضتها انجلترا في ظل الاحكام العرفيــة •••• خصوصا تلك التي تحد مــن اتصال الحزب بالخديوي عباس حلمي الثاني •• (٣٦٨) وكان قد قضى الجزء الاكبر من حياته مع الالمان والاتراك في بداية الحرب •• ثم اوضح الجزء السابع من البرنامج الاتجاه الاسلامي للحزب وتعاطفه مع تركيا •• كما كان يفعل مصطفى كامل من قبل •• وفي الجزء الثامــن يتحدث البرنامج عن طبيعــة قنـــاة السويس ، كمصدر للمتاعب الاقتصاديــة والعسكرية ، ويدعو الحزب لان يتمسك بالسيطرة على القنـــاة . حتى لا تستغل في واحد من هاتين المشكلتين • (٣٦٩)

وبالرغم من غناء وجهة نظر الحزب ، كما هي واضحة في البرنامــج •• فان اعضائه الى مؤتمر السلام في لــوزان ، حرصوا على ان يتخذوا موقفا معتدلا ، حتى لا يبدون متعارضين مع حزب الوفد هناك •• (٣٧٠) وقبل الانتخابات البرلمانية ، كان الحزب قد اختار محمد حافظ رمضان النشيط ليحل محل محمد فريد في رئاسة الحزب •• (٣٧١) وقد بذلت اللجنة التنفيذية للحزب ــ والتي كانت قد خفضت الى ٢٥ عضوا فقط ــ جهدا كبيرا اثناء الانتخابات ، وحققت نجاحا تنظيميــا على مستوى عــال • (٣٧٢)

ولان سياسة الحزب وجهت كلها لمقاومــة الوفد ، فلم يحصــن الحزب في الانتخابات الا على عدة مقاعــد بسيطة ومني بعض زعمــاء الحزب انفسهم بالهزيمة •• وركز الحزب جهوده في برلمـــان ١٩٢٤ على نقد سياسة سعد زغلول الخارجية ، التي وصفوها بالتهاون فيما يختص بمسألة السودان •• (٣٧٣) واستمر تضاؤل الحزب في التأثير السياسي، حتى اصبح صفرا في السياسة المصرية ، بلا فعالية ولا نشاط •• (٣٧٤)

وقد كان أمرا عجيبا •• من وجهة النظر العلمية •• ان ينتهي مثل

هذا الحزب ، وقد كان أكثر الاحزاب المصرية تنظيما ، بلجنته المركزية ، وفروعه المنتشرة في جميع انحاء القطر ، ونظامه الدعائي الممتاز ليفشل بهذا الشكل البائس في كل ما تناوله من أمــور بعد الحرب العالميـــة الاولى .

لا يمكن تصور ان هذا الفشل يعود الى اسباب شخصية فقط .. فقد تلقى الحزب ضربته الاولى بالمكيدة المؤامرة التي اوقعــت الشقاق بين الاقباط والمسلمين داخله ، ثم ظلت تنخر عظامه حتى عام ١٩١٨ .. وفي الفترة التالية والتي اشتبك فيها مع الوفد .. لم يكــن هناك فارق أيديولوجي كبير بين سياسته وبين سياسة حزب الوفد بما يميزه عليه .. أما أسباب تفوق الوفد عليه بين الجماهير وتضاؤل شعبيته هو ، فيعود الى الاسباب الثلاثة :

اولا : ان سعد زغلول استطاع ان يقنع المصريين بعدم جدوى العناد في موضوع ((لا مفاوضة الا بعد الجلاء)) الذي كان الحزب الوطني يتمسك به ، طلما ان بريطانيا اقوى من مصر .

ثانيا : بينما كان الحزب الوطني يعتمد على ((الانتلجنسيا)) المثقفة وحدها في القاهرة والاسكندرية فقط انتشر الوفد في الارياف يقدم نفسه لجماهير الفلاحين ، حتى اصبحت له لجنة نشطة في كل قرية صغيرة في مصر .. وكان الفلاحون انفسهم قد اصبحوا الان على درجة معقولة من الوعي السياسي يمكن ان يكون بها الوفد قاعدة له .

ثالثا : كان زغلول نفسه من اهم اسباب تفوق الوفد.. في الوقت الذي يفتقر فيه الحزب الوطني الى الشخصية الكبيرة الكــفء ، بعد مــوت مصطفى كامل ، ثم نفي محمد فريد .. ففي الشرق يقرر الرجــال الاكفاء مسيرة التاريخ .. وفي التاريخ الحديث يعطي سعد زغلول اكبــر الدلائل على ذلك .. فمع ان سعد زغلول لم يقدم الى المصريين الا البرنامج الذي كان قد وضعه الحزب الوطني .. فان الوفد هو الذي قاد مصر لعدد من السنين بعد ذلك .

بينما كانت الحركة الوطنية دينية عاطفية في ايام عرابــي ، تهدف

الى تحريك الوعي الفلاحي لدواعي القضايا الوطنية •• قادت الحزب الوطني عقلية بورجوازية متأثرة بالثقافة الغربية •• يداعبها حلم اعادة تنظيم الاسلام ، ويسيطر على كل تنظيمها الفكري والحزبي في نظرتها للحرية السياسية وشكل الحكومة •• فلم يكن تغييرا حقيقيا في مناهجها •• وانما كان مجرد وسيلة لتنظيم حزبها وبرامجه ، بينما ظل يحتفظ بشكله الاوربي في جميع عناصره السياسية •

كان الدين هو كل قوة عرابي ، وسيطر الى درجة كبيرة على مواد السياسة ، وتنظيم الحزب ، وتقدم الحركة الوطنية في مصر حتى عام ١٩١٨ •• ثم جاء النفوذ السياسي والاقتصادي والفكر الاجتماعي مع الحرب العالمية •• حيث كانت الضرورة تدعو الى تعالي الدين كعقيدة مقدسة ، بعيدا عن الحركة السياسية العامة الشعبية التي تقدمت لتناضل من اجل استقلال مصر •



أحزاب ثانوية في أوائل القرن العشرين

بلغ النضال ضد الانجليز في مصر اقصاه خلال السنوات الاولى من القرن العشرين •• وتعمق الكره والشك في خطط الاحتلال البريطانـــي لوعوده التي لا تنفذ ، وفشله في كل الميادين •• وأمـــدت المعتقدات الدينية والاسباب الاقتصادية والطموح ، مثقفي مصر بمـــادة للكفاح ضد الانجليز وعسفهم الاستعماري في مصر •

بعنوان « خطاب من مصري الى سياسي انجليزي حول المسألـــة المصريـــة » كتـــب احد المصريين الى جـــون م• روبرتسون السياسي الانجليزي يعدد المظالم الانجليزية في مصر بانها : (٣٧٦)

١ ــ في الادارة القضائية في المحاكم الشعبية : الاشراف الانجليزي على وزارة العدل ضعيف ومتهافت وسلبي •• واغلب الموظفون الانجليز في المحاكم الشعبية صغار السن يفتقرون الى المعلومـــات الخاصة بالحقوق الشعبية ويجهلون العربية •

٢ ــ في التشريع : ليس للقضاة الانجليز الذين يعملون في التشريع خبرة عملية سابقة بأبسط المسائل التشريعية في مصر •

٣ ــ السياحة : ينظر الانجليز الى هـــذا الموضوع من وجهة نظـــر واحدة ، لا تتصل بمصلحة مصر •

٤ ــ موت الاطفال : لم يهتـــم الانجليز بمشكلة السكـــان او اصلاح الحالة الاجتماعية في المدن او القرى في مصر •• وقد ارتفعت ارقام الاموات بين الاطفال ، بدلا من ان تنخفض (٣٧٧)

٥ ـ الشؤون المالية : لا تزال المصروفات متضخمة ، و لايوجد دخل مباشر من القناة . وهناك امثلة كثيرة اخرى .

٦ ـ التنظيم المدني : اهملت موضوعات التنظيم المدني تماما خصوصا بين الطبقة العاملة ، مما سبب تفشي الامراض وتعرض الكثيرين لاخطار الموت .

٧ ـ الفقر المتفشي : لم تناقش هذه المشكلة ابدا .

٨ ـ المرتبات الحكومية : لم يراع العدل في اجراءات المرتبات .. فهناك وظائف كثيرة بلا عمل ، والمرتبات غير مناسبة خصوصا في الدرجات الصغرى من الوظائف للذين يحصلون على ٣ او ٤ جنيهات شهريا .

٩ ـ الزراعة : لا تزال دائرة الزراعة ضيقة .

١٠ ـ التعليم : لا ترى انجلترا في التعليم الا انه وسيلة لتخريج موظفين .. واغلب العلوم لا تزال تدرس بالانجليزية .

حزب الامة

تحت ضغط هذه المظالم الانجليزية في مصر .. ومظالـم اخرى اكتشفها وعرفها المثقفون المصريون بتأثير الثقافة الاوربية التي ايقظت وعيهم على المصالح المادية والاقتصادية للشعوب .. تكونـت احزاب اخرى في مصر الى جانب الحزب الوطني .. ولكنها لا تماثله في تنظيمـه السياسي والفكري الحديث .. ولان هذه الاحزاب لم تكن تقوم على اساس تنظيمي او برامج سياسية محددة ، فقد ظل ارتباط اعضاؤها يقوم على العامل الشخصي وحده .. وحتى هؤلاء الاشخاص الذين يرتبط بهم اعضاء الحزب ، كان يؤيدهم القليل من الناس ، وافكارهم لا تخرج عن دائرة نفوذهم الضيقة .. ولذلك فلم يكونوا يستطيعوا أن يقدموا عضوا واحدا للبرلمانات التي قامت على أيامهم . (٣٧٨)

وعلى هذه الصورة خرج « حزب الامة » .. تكون في سبتمبـر ١٩٠٧ بتأييد غير رسمي من اللورد كرومـر والدوائر الانجليزية فـي مصـر ..

جمعهم اللورد كرومر كاشخاص « حسني النية » لا يرضون عن برنامج الحزب الوطني « العنيف » ولا يريـدون سيطرة الاتـراك في مصر .. (٣٧٩) اغنياء ارستقراطيون ، يتعاطفون مـع مبادىء الحزب الوطني احيانا ، ولكنهم يفضلون اتباع المزيد من الصبر والتفاهم مـع

الانجليز في تحقيق هذه المبادىء.. (٣٨٠) تجمعوا حول جريدة«الجريدة» يشد أزرهم تأييد اللورد كرومر واعوانه مثل رئيس الوزراء مصطفى فهمي .. ثم اطلقوا على تجمعهم اسم « حزب الامة » ونصبوا عليه حسن عبد الرازق رئيسا ، وبعد موته خلفه محمود سليمان . (٣٨١)

ولم يكن اعضاء المجلس التشريعي والجمعية العمومية وبعض كبار الرسميين وحدهم الذين يؤيدون حزب الامة .. فقد كان يؤيده سعد زغلول وفتحي زغلول رئيس المحكمة العليا ، وأحمد لطفي السيد رئيس تحرير الجريدة وبعض المعروفين الآخرين ..

وواجه الحزب تحديان زعزعا صفوفه الاول عندما تولى جروست القنصلية العامة البريطانية خلفا لكرومر فاوقف تأييده للحزب .. فاضطر الحزب ان يغير سياسته ايضا ، وبعدما كان يطالب بالاصلاحات التدريجية والتنظيمية اتجه الى المطالبة بالاستقلال التام في جريدته .. فلما غير الحزب سياسته عائدا الى مطلب الحزب الوطني ، انفض من حوله الذين كانوا يتعاطفون الى الحزب الوطني ، واعلنوا عودتهم الى حزبهم الاول ، حتى ولو سموا بالمتطرفين .. وكان ذلك هو التحدي الثاني .

ولد حزب الامة وعاش حياته كلها حول جريدة « الجريدة » التي كان يرأسها المفكر الذكي احمد لطفي السيد .. والذي عين بعد ذلك مديرا للجامعة ، ثم وزيرا في وزارة محمد محمود عام ١٩٣٨ .. (٣٨٣) اما الجريدة فانشئت في ٩ مارس ١٩٠٧ ، وفتحت صفحاتها للشباب الوطني ، وكون منهم لطفي السيد جمعية من المؤلفين والصحفيين لينظموا دراسات وتحقيقات للمطالبة بالتوسع في التعليم وبعض التنظيمات الاخرى .. وبالرغم من تكاليف الانتاج الغالبية فان الجريدة لفتت الانتباه اليها ، ولكن توزيعها لم يصل الى الانتشار الذي

وصلت اليه جريدة اللواء بما كانت تقدمه لقراءها من موضوعات مثيرة (٣٨٥)

كانت الجريدة هي لوحة اعلان الحزب التي يعلن فيها برنامجه •• وكانت فكرة الحزب الرئيسية تدور حول منح سلطات اوسع للمجلس التشريعي والمجالس البلدية والجمعية العمومية ، خطوة في طريق الاعداد التدريجي لمصر الى حياة نيابية كاملة •• (٣٨٦) •• أما الوسيلة عند الحزب بعد ذلك ، فهي اصلاح التعليم بجعله حرا وعاما واقامة المعاهد مع تشجيع خاص للتعليم العالي •• كانت بصمات الشيخ محمد عبده واضحة في سياسة الحزب •

وظلت سياسة الحزب من عام ١٩٠٧ الى ١٩١١ واحدة بلا تغيير او تطور •• فكما خرجت للجماهير اول مرة ، كانت في آخر مرة اذاعها الحزب تتحدث عن تبني اللغة العربية كلغة رسمية ، واشراف المجلس التشريعي على التعليم والاهتمام بالتعليم الصناعي في المدن •• ويبدي ايمانه العميق بالحريات وسلطة الشعب ، ورفع مستوى المصريين الاداري ومحاكمة الاجانب في المحاكم المختلطة محاكمات حقيقية • (٣٨٧)

فقد كان الذين يضعون سياسة الحزب من طبقات مختلفة في الشكل والموضوع ، ولكن الاغلبية السائدة في الحزب كانت من الاغنياء والارستقراطيين وذوي النفوذ •• ولو ان عددهم القليل وضعفهم وقلة تنظيمهم لم تمكنهم ان يواجهوا الحرب العالمية وانوائها ، كحزب •• فانهم بشخصيتهم الواعية ذات الادراك العالي ظلت تجاهد فيما تظنه مطلبا عاجلا لمجتمع يتطور بسرعة •• ولكنهم لم يؤمنوا بالقدرة على تغييره بسهولة •

حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية

وصفت جريدة عربية تصدر في امريكا حزب آخر قام في مصر ، بأن اعضاء الحزب فريق من الناس الذين يأسوا من اخـراج الانجليز فبدأوا يفكرون في خدمة مصر عن طريق التعاون مع الانجليز (٣٨٨) نشأ هذا الحزب ايضا حول جريدة المؤيد في عام ١٩٠٦ •• مـا ان تكون الحزب الوطني ، وحزب الامة ، حتى بدأوا هم أيضا في اجراءات العضوية لتكوين ما سمي بحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية •

ولوضع الشيخ علي يوسف كرئيس لجريـدة المؤيد وعضويتـه البارزة في الجمعية العموميـة ، (٣٩٠) فقد اصبـح رئيسا للحـزب الجديد •• واصبحت الجريـدة كما هي العـادة اللسان الناطـق باسم الحزب •• (٣٩١) وكانت المؤيد مؤهلة لتقوم بهذه المهمة فهي جريدة قوية لها نفوذ كبير بين القراء •• ومنذ ان افتتحـت في ديسمبر عـام ١٨٨٩ • وهي تلعب دورا هاما في الحياة والديـن والسياسة في المجتمع المصري •• كانت تناقش الكثير من الموضوعات الاقتصادية والتجاريـة والمالية •• وكان تحمل عبء رفـع مستوى العمل والادارة والتعليـم والثقافة والشؤون السياسية والاكتشافات الجغرافية • (٣٩٢)

واذا كان حزبا يدعو الى التعاون مع الانجليز ، فهو لا بد يبدأ بالعداء للخديوي .. هكذا كا نيقول برنامجه السياسي في اول بنوده :

١ ــ تاييد سلطات الخديوي حتى لو لم تتفق مع فرمان السلطان
٢ ــ المناداة بتنفيذ الوعود البريطانية لمصر
٣ ــ الحياة النيابية بكل السلطات الكاملة السياسية والادارية فــي شؤون مصــر
٤ ــ تعميم التعليم الاولي الحر ، وتدريس العلوم بالعربية .
٥ ــ زيادة عدد المصريين الموظفين في الحكومة ، مع تخفيض متساوي لهذه الزيادة بين الاوربيين .
٦ ــ اعطاء المحاكم المختلطة سلطة محاكمة الاجانب على جرائمهم(٣٩٣)

كان الفرق ضئيلا بين برنامج واهــداف الاصلاح الدستوري ، وبين برنامج واهداف حزب الامة ، بصرف النظر عــن موضوع الولاء للخديوي .. ولم يكن هذا البرنامج « خطابا ميتا » للاعضاء ، ولكــن كان اهدافــا القى به على صفحــات المؤيد في مارس ١٩٠٨ ، يدعــو المصريين الى مطالبة الخديــوي ليقيم حيــاة نيابية بسلطــات مجلس شورى النواب لعام ١٨٨١ . (٣٩٤)

ولم يجد حزب الاصلاح الدستوري ما يضيفه الى سياسته بعد خمس سنوات ، الا بعد الاضافات التي اعلنها في عام ١٩١١ ، في الرأي والقانون والادارة واملاك الايتام .. وغيره .

وكما هو واضح فقد كانت سياسة الحزب اكثر مــن معتدلة .. وظلت كذلك حتى مات الشيخ علي يوسف .. في عام ١٩١١ وبموته وقف الحزب . وبعض الاشياء الصغيرة التي صنعها هذا الحــزب انه جمــع حوله مجموعة من الامراء المؤيدين .. ومحاولته التي لم تتم لافتتــاح فروع في الريف تحت اشراف الجمعية العمومية .. (٣٩٦) واجتمــاع المؤتمر العــام للحزب ليعترض على افتراءات كرومــر في كتابــه « مصر الجديدة » (٣٩٧)

الحزب الوطني الحر

كانت القاعدة في ذلك الوقت ان يتكون الحزب حول جريدة .. حول اللواء قام الحزب الوطني .. وحول الجريدة ولد حزب الامة .. وحول المؤيد ولد الحزب الدستوري .. وحول المقطم خـرج حزب جديد اسمه الحزب الوطني الحر .

على ان الحزب الوطني الجديد .. كما يبدو من اسمه ـ كانت له ظروف خاصة ومميزة فقد كـان الدكتـور صروف والدكتور نمـر والدكتور مكاريوس مجموعة من السوريين الذيـن فروا من عسف الحكم التركي في سوريا ، وجاؤا الى مصر ليقدموا للصحافة المصريـة كل خبرتهم الثقافية السياسية .وقد فعلوا ..ولكن بهجوم اللواء على السوريين المسيحيين لاتهامهم بالاستيلاء على المناصب الهامة في الدولة وتحيز الاحتلال الانجليزي لهم جعلهم يتخـذون موقفا غير ودي مـن المصريين ، وبالذات جريدة اللواء التي كان ينشر فيها هذا الهجوم ، والحزب الوطني .. وقام المقطم بالفعل بحملـة للدفاع عن فوائـد الاحتـلال والخدمـات التي أداها لمصـر وقد وجد بعض الاقبـاط الارثوذكس السوريين في المقطم ركيزة يستندون اليهـا ، وكذلك فعل بعض الاغنياء الذين رأوا في الحزب الوطنـي وتطرفه عمـل أضمن فتجمعوا كلهم حول المقطم يقودهم محمد وحيد الايوبي ، الذي اصبح

زعيما للحزب الوطني الحر وانشأه في مايو ١٩٠٧ •• وان لـم يبدأ نشاطه الحقيقي والعملي الا عام ١٩٠٨ •

وقد اطلق الايوبي اسم الحزب الوطني الحر ليعدل على منافسته ومعارضته المضادة للحزب الوطني •• وكأنه كان يمثل القوى الضارية في الحزب وقلبه النابض ، فقد كان من الشجاعة ليكتب مقالا نشره في المقطـم عام ١٩٠٨ يودع فيه كرومـر بحـرارة ويرحب بحرارة اكثـر بالمستر جروت خليفته في قيادة النظام الانجليزي في مصر •• ولم يكتف محمد وحيد بهذا الموقف السلبي ، فأقدم على موقـف ايجابي اكثـر فكتب خطابا مفتوحا نشره في المقطم طبعا في سبتمبـر ١٩٠٨ ــ الى سير ادوارد جـراي •• تحدث فيه عـن المنفعة والآلاء التـي أسبغهـا الاحتلال البريطاني على مصر (٤٠١) ثـم انتهز الفرصة ليقدم برنامجـا لسياسة الحزب ذات الهدفين الرئيسيين •• يبدأ الاول بفائدة علاقات الصداقة مع قوى الاستعمار الانجليـزي والتعاون معه حتى يمكـن الاستفادة في اصلاح البلد •• وينتهي الهدف الثاني وهو التوسع في نشر التعليم ليتمكن المصريين من استيعاب الحضارة الاوربية التي ادخلها الانجليز الى مصر • (٤٠٢)

وبالطبع أثار هذا الخطاب ثورة الاحزاب والصحافة وظل وحيـد مادة للتشهير به كمثل للعملاء المفضوحين حتى اختفى ، ولم يسمع عنه بعد ذلك ابدا ••

حزب مصر المستقلة

كانت المؤامرة التي دبرت للحزب الوطني وتسببت في تصدع الوحدة بين مسلميه واقباطه بعد موت مصطفى كامل ، احد العوامل التي دعت شخصية ممتازة من اعضائه هو اخنوخ فانـون (١٨٦٥ ــ ١٩١٨) الى الخروج من الحزب وتكوين حزب مصر المستقلة من الاقباط العاملين في حقل السياسه مع بعض الاغنياء ذوي النفوذ والسلطة ..

وبعد تكوين الحزب بقليل عام ١٩٠٨ دعا الى مؤتمر صحفي في الجريدة المصرية وبمقدرته الكبيرة الخصبة على التعبير ، وبمعلوماته الغزيرة القانونية ، اعلن انه بعد الضمانات التي اعطيت للانجليز ، فقد اصبح للمصريين ضمانات مماثلة لادارة شؤونهم وحدد سياسة الحزب في خطوط عدة :

١ ـ وحدة مصر والسودان
٢ ـ استقلال مصر
٣ ـ الغاء الامتيازات القانونية
٤ ـ تحقيق الرخاء والتقدم للمواطنين في وادي النيل
٥ ـ التوسع في اعطاء الجنسية المصرية لتشمل المصريين والذين تمصروا
٦ ـ تبسيط القانون المدني المصري من حيث المعنى والمبدا
٧ ـ تحقيق صداقة حقيقية بين مصر وبريطانيا
٨ ـ الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع الاجانب ، وضمان امتيازاتهم وحقوقهم المشروعة قانونا .

٩ ـ الفصل بين الدين والسياسة ، بقانون

١٠ ـ فرض ضريبة دخل على الاجانب

١١ ـ عقد معاهدة بين مصر وانجلترا ، تحقق لمصر التسهيلات التجارية والحماية العسكرية البريطانية

١٢ ـ انشاء مجلسين نيابيين بسلطات تشريعية نصف احدهما يتكون بالانتخاب من الاجانب الذين يقيمون في مصر منذ خمس سنين على الاقل .

١٣ ـ التعليم الاجباري الاولي للجنسين

١٤ ـ اعادة تنظيم القضاء بقانون واحد مدني وجنائي (٤٠٢)

ولكن الحزب لم يكتب له النجاح ولا البقاء بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها لكي يلعب دورا ـ اي دور في الحياة السياسية المصرية .

حزب النبلاء

ساءت العلاقات بين الخديوي ومصطفى كامل قبل موته الى درجة كبيرة ، ثم سار خليفته محمد فريد على نفس المنوال بل ذهب الى ابعد من ذلك فهاجم الخديوي هجوما قويا على صفحات اللـواء ، فخرج بالخلاف من السر الى العلن ، في نفس الوقت الذي توطد فيه التعاون بين الخديوي وجروست مما جعل للخلاف مضمونا عنيفا وعميقا ..

ولاتخاذ موقف مضاد ضد هذا الاتجاه في الحزب الوطني ، خرج مجموعة من اعضاء الحزب الذين لا يوافقون على موقفه من الخديوي ليكونوا مع بعض الاتراك من المتمصرين الطبقة العليا من النبلاء في عام ١٩٠٨ ، ليكونوا حزبا مضادا اسمه حزب النبلاء ..

وكان حسن حلمي بك هو قلب حزب النبلاء المحرك ، اما مفكروه وصانعه فكان فرج الجرجاوي ابن احد الوزراء السابقين الذي دافع بحرارة عن ولاء الحزب للسلطان التركي والخديوي والتعاون مع الانجليز لصالح مصر (٤٠٤)

ولم يكن لحزب لنبلاء هذا اي شكل ولا تأثير ، وسرعان ما ذهب أدراج الرياح ، بلا اي ذكرى تقال .

حزب مصر الفتاة

احيا نجاح حزب تركيا الفتاة في صيف ١٩٠٨ ، امل الكثير مـن الزعماء المصريين في ان تنال مصر حقوقـا برلمانية مماثلة •• ولـو ان الهواية السياسية كانت عنصرا مشتركا بين الزعماء السياسيين جميعا في ذلك الوقت فان ابرز العاملين في هذا الميدان هـو ادريس راغب بك صاحب فكرة اقامة حزب مصر الفتاة •• وكما انشأ ادريس راغب بك حزب مصر الفتاة على قاعدة كره الحزب الوطني لموقفه من الاستعمار ، فان حزب الاصلاح الدستوري ، كان يكـن له نفس عواطف الكـره كمنافس في تأييد الاستعمار ، ثم لانه اشيـع ان ادريس بك ينوي تغيير اسم الحزب من مصر الفتاة الى الحزب الدستوري •

كان ادريس بك يعتقد ان الشعب البريطاني يظن ان في مصـر حزبا واحدا بعدة اسماء لاتفاق الاحزاب على معاداة الانجليـز ، وان هذا الفقدان للثقة بين مصر وانجلترا سببه سوء التفاهم بين البلدين •• وفي برنامج حزب مصر الفتاة السياسي قدم ادريس بك العـلاج لفقدان الثقة هذا ، باعلان تمثيله لمجموعة المصريين الممثلين للشعـب الانجليزي العارفين بأفضال انجلترا ، التي لم تألوا جهدا ــ على حد قول برنامـج الحزب في ان تستمع لشكاوى مصر وتحقيق مطالبها العادلة ــ واطرى الحزب الخدمات التي ادتها انجلترا لمصـر ــ بالرغم من ان التعليـم

والحياة النيابية ليست على مستوى الامال التي يرجوها اعضاء الحزب.. حيث يجب ان تكون الحياة النيابية مرحلة انتقال بين النيابية القنصلية ، والنظام النيابي الكامل .. مع ضمان مركز مصر الدولي . (٤٠٩)

ولم يشعر انسان بما قاله ادريس بك ولم يبد احد اهتماما به وفي عام ١٩١٠ عاد ادريس بك ينشر اتجاهه هذا في جريدة مصر الفرنسية التي كان يرأس تحريرها ، وهو يحاول ان يجعلها صورة لجريدة اللواء في الحزب الوطني .. ولكنها كانت صورة اكثر من ممسوخة ، فانتهت بسرعة ، وانتهى معها الحزب ، قبل ان تقوم لهما قائمة (٤١٠)

في الفترة ما بين عام ١٩٠٧ ونهاية الحرب العالميــة الاولى ، رأى المصريون سبعة احــزاب سياسية : الحــزب الوطني ، حزب الامــة ، الاصلاح على المبادىء الدستورية ، الوطني الحــر ، النبلاء ، مصــر المستقلة ، مصر الفتاة .

كان الاول اكثرهم صوتا واحسنهم تنظيما .. والثاني والثالث اقل قليلا من اهمية الاول ، تابعان للاحتلال ويعملان في خدمة الخديوي .. اما الاحزاب الاخرى فكانت تتسم بالغرابة والعجب .. فالوطني الحــر ومصر المستقلة ، كانوا احتلاليين اكثر من حزب الامة .. وكــان حزب النبلاء اكثر تبعية للخديوي من الاصلاح على المبادىء الدستورية (٤١١)

وعمليا ، كان الحزب الوطني ، اكثر الاحزاب الاخرى التي قامت على التبعية الشخصية لزعمائها .. وكانــت شخصية هؤلاء الزعمــاء مكمن طموح هذه الاحزاب .. ولذلك ، ان ماتوا او اختفوا ، ماتــت واختفت احزابهم ومرة اخرى يستثنى من هذه القاعدة الحزب الوطني .. وان كان هذا الاستثناء لم يدم طويلا بعد انتهــاء الحرب العالمية الاولى .

اما البرامج السياسية لهذه الاحزاب ، فقد كانت صورة للاختلاف

الواضح .. كانوا يشتركون في النظرة الى موضوع واحد هو التعليم ..
وكانوا اقل اهتماما بالمسائل الداخلية ، والثقافة والاجتماع والاقتصاد ...
واختلفت نظراتهم في الاهتمام والتأييد . ولكنهم جميعا لم يعطوا الاهتمام
الكافي لرفع مستوى أبناء جلدتهم البؤساء في الريف .. تمركزوا في
المدن ووجهوا جهودهم المكثفة نحو الاحتلال .. وعلى كل حال ، ففي
اتجاههم لمناقشة موضوع الاحتلال البريطاني ، ودرجات المقاومة التي
اعلنوها أو أبدوها .. كان هذا هو شكل الاختلاف بين حزب وآخر .

حزب الوفد

بقدر ما كان ذلك العدد الكبير من الاحزاب التي قامت اثناء وبعد الحرب العالمية ، مظهرا للانقسام في الجبهة الداخلية في مصر . بقدر ما كان في نفس الوقت ظاهرة للصحة السياسية والوعي الوطني ، وعلامة على تباشير الثورة التي تملأ الهواء .

ونفخت الصحافة وتقدم التعليم في جذوة اهتمام الجماهير بالسياسة .. وشيئا فشيئا بدأ المصريون يضعون ايديهم على الطريق الذي يصل بهم الى الحياة الاحسن .. وكانوا قد قرروا ان العمل السياسي في النضال ضد الاحتلال كعقبة في طريق تقدمهم هذا — هو الذي يحقق آمالهم في هذا التقدم .. اما الاسلوب فكان قد تقرر في ذهنهم من خلال ما كابدوه في الحرب العالمية الاولى ، وما بعدها . (٤١٣)

كانت البيروقراطية غير الشعبية التي فرضها الانجليز على حياة المصريين من خلال جهله للنشاط السياسي محددة السلطة والعمل في ظل الاحكام العرفية ، قد اثارت غضب الرأي العام الوطني الذي ولد الان في مصر وتهيأ .. وكانت مبادىء الرئيس ولسن قد اعلنت وقبلتها انجلترا عن الحكم الذاتي للشعوب وحقها في تقرير مصيرها قد شدت انتباه المصريين وأحيت الامل فيهم وانتظروا جميعا ان تنفذ انجلترا تلك المبادىء (٤١٤) التي قبلتها من ولسن .. الا القليلون ، وكانوا اقل من ان يكون لهم وزن .

ان اول ظاهرة هامة لثورة ١٩١٩ ، انها لم توجه بواحد من كل تلك الاحزاب التي كانت قائمة في مصر ، قبل الحرب العالمية الاولى ــ فكلها كانت تؤيد الاحتلال علنا او سرا •• وانما خرجت الثورة من الجميع وباسم الجميع الذين ذاقوا مرارة الحرمان في الحرب العالمية الاولى بشكل او بآخر •• واجمعوا الان على تحقيق مطالبهم الوطنية ــ ليس فقط في الحكم الذاتي ولكن في الاستقلال التام ، بشكـل عام وفي كـل السلطات ••• كانوا جميعا ابتداء من الوزير الذي أيد الانجليـز في وقت ما ، حتى الطلبة الذين اندفعـوا في مضمار الحركة الوطنيـة ، يشاركون الامة في الاضراب واشعال نار الثورة الشعبية العارمة •(٤١٥)

وكانـت حركة الاحزاب والثـورة قويـة كاسحة •• طالبـت بالجمهورية في المنيا وزفتى ، واماكن اخـرى •• (٤١٦) كان خيـال الثوريين ابعد من ان تقف في سبيله حدود ، ولكنهم كانوا صورة من روح ذلك الوقت •• ليسوا كالجيش والعناصر الدينية في ايام عرابي •• ولا المثقفون والمتعلمون ايام مصطفى كامـل •• وان من هؤلاء مـن شاركوا في الحركة ، ولكن الفلاحون والريفيون والبسطاء وحدهم الذين كانوا وقود الثورة وعمادها الاول ضحوا بحياتهم وأموالهم ووقتهم • وفي النهاية قدموا كل ما بين ايديهـم ليدفعـوا ثمن رحلة الوفـد الى اوربا •• اما البورجوازيين في المدن فقد اقتصر دورهم في المدن على النفخ في النار بينما وقف الارستقراطيـون على الحياد وبـلا فعالية •• كان كل ما يستطيعوا ان يفعلوه هـو الا يعارضوا الثورة •• احيانـا بجذوة الوطنية الباقيـة •• واحيانـا بالخوف مـن التعرض لتيارهـا الجـارف •

ولم يكن اقتحام سعد زغلول للثورة مفاجئـا •• كان نجاحـه ونشاطه الملحوظ بـين اعضاء المجلس التشريعـي قد هيأ عددا مـن الاصدقاء الاوفياء والمعجبون بشخصيته القوية وآرائه القوية السديدة ••

وفي اثناء اشهر الحرب الاخيرة ، وضع سعد زغلول ومؤيديه طلبا بالغاء الامتيازات الاجنبية ، واقامة التنظيمات الدستورية على اسس سليمة ، واصلاح التعليم والزراعة .. وفوق ذلك كله الاستقلال التام . (٤٢٣)

وحول هذه المجموعة سيتكون الوفد .. وهؤلاء هم اول مهندسو هذه الحركة الشعبية ، التي ستهيء مصر لان تفوز بالاستقلال .. وهناك ثلاث روايات عن حقيقة الذين بدأوا هذه الشرارة التي اشعلت الثورة ..

الرواية الاولى .. تقول أن عمر طوسون (١٨٧٢ — ١٩٤١) (٤٢٤) وأحد المثقفين من اسرة الخديوي ، وضع اثناء الحرب خطة لمشروع يقدم لمؤتمر السلام حين تتهيأ الوفود الدولية في هذا المؤتمر لمناقشة المسألة المصرية وتقول الرواية انه استشار محمد سعيد باشا الذي رشح سعد زغلول ليقوم بمهمة عرض المشروع امام المنظمة الدولية وقد اصبحت هذه الفكرة هي احدى المبادىء الوفدية الدائمة الذي لم يتخل عنها ، حتى بينما كان الوفد يحاول الوصول الى اتفاق سريع مع انجلترا كحل موقت للمشكلة .

ان الرواية الثانية ، وهي مباشرة .. فتقول ان سعد زغلول ناقش الموضوع مع بعض الزعماء المصريين مثل عبد العزيز فهمي بك — وعلي شعراوي باشا ، واحمد لطفي السيد .. وان مناقشتهم انتهت في نهاية سبتمبر ١٩١٨ ، بوضع خطة لخطوات دبلوماسية للعمل ضد بريطانيا في الداخل والخارج ..

والرواية الاخيرة ترشح حسن رشدي باشا رئيس الوزراء ، انه اشعوره بمسؤوليته عن مستقبل مصر ، قد وضع خطة للكفاح الدبلوماسي ضد انجلترا ، وعرضها على عدلي يكن باشا الذي كسب الى جانبه سعد زغلول ومؤيديه . (٤٢٥)

ولا يهم اثبات اي الروايات أصح ، فلا توجد وثيقة مكتوبة تحدد حقيقة ما جرى في تلك المرحلة •• ولربما ، كان مناخ هذه الفترة فــي حياة مصر ، قد اوحى الى جميع الزعماء السياسيين في تلك الفترة ان يفكروا في مشروعات مماثلة لتحقيق استقلال مصر بعد انتهاء الحرب •• ثم تلاقت افكارهم جميعا في خطــة واحدة ــ تلك التي اتبعــت بصرف النظر عن الوسيلة الرسمية او غير الرسمية التي تم بها الاتصال بينهم •

ولقد كتب كثيرا عن ثورة ١٩١٩ ، عظمتها واهميتها وآثارهــا الضخمة ، (٤٢٦) والصعوبات التي قابلتها ، والتي استمرت بعدها •• اما الصعوبة التي تهمنا هنا ، فهي تلك التي قابلت تكوين الوفد الذي يشارك سعد زغلول لحضور مؤتمر السلام ليمثل مصر •• فقد تكون وفد آخر ليقوم بنفس العمل يرأسه محمد سعيد باشا رئيس الــوزراء ويرعاه الامير عمر طوسون ويشترك فيــه بعض القيادات مــن اعضاء الحزب الوطني •• واختار سعد زغلول لقب « الوفد المصري » بينمــا ابتكر الاخرون لقب « الوفد الوطني » •• وبعد صراع طويل استطاع سعد زغلول ان يكسب الى جانبه عددا من مؤيدي الحزب الوطني •• واهمهم جميعا مصطفى النحاس الذي كان جذوة المؤيديــن •• وغــدا اسم الوفد يملأ الاسماع •

ومن اعضاء المجلس التشريعي كــون سعد زغلول الوفد مــن اصدقائه ومؤيديه •• علي شعراوي ، وعبد العزيز فهمي ، واحمد لطفي السيد ، وعلي المكباتي ومحمد علي واحمد الباسل وسنيوت حنا •• كان تشكيلا روعي فيه تمثيل مختلــف العقائــد والعناصر الاجتماعية في مصــر • (٤٢٨)

ولكي يبقى اعضاء الوفد بعيدا عن يد الاعتقال ، وايضا لحمايته من الدسيسة والوقيعة والشقاق ، فقد ظل تشكيل الوفــد سرا لفترة

طويلة بعد الاتفاق عليه .. وكان هذا التقليد اهم مميزاته لوقت طويل .

وبعد مقابلة جافة مع المفوض البريطاني سير ريجنالد وينجيت ، اذاع الوفد اول بياناتـه باسم الشعب يطلب الاستقلال التام لمصر بالوسائل السلمية .

وكان المفروض ان يحمل البيان توقيع اعضاء اللجنة التشريعية فقط .. ولكن فكرة تدعو الى جعل البيان وثيقة شعبية دعت الى توزيع صور من البيان على الجماهير ليوقعه كل المواطنين .. (٤٣٠) وتحرك الحماس الوطني وراء صور البيان الموزعة وانفجرت المتاعب في مصر مرة اخرى .. ولكن السلطات استطاعت ان تصادر نسخ البيان التي امكن التوقيع عليها والتي لم توقع بعد .

بالتنظيم المحكم اكتسب الوفد قوة معنوية ضخمة ، وبفروعه المنتشرة في جميع انحاء البلاد والمتصلة جميعها ببيت الامة مباشرة حيث يقيم سعد زغلول ، كان الوفد يسيطر على كافة المجالات في مصر .. قادرا باشارة واحدة تحويل البلاد كلها الى شعلة من الاضرابات والمظاهرات مقفلة المحلات تموج بالغضب والعنف تلك القوى المعنوية كانت زاد الوفد في نجاحه الساحق في انتخابات ١٩٢٣ — ١٩٢٤ البرلمانية . (٤٣٢)

ولعب هذا التنظيم دوره الكبير ابان سفر الوفديون الى اوربا في ابريل ١٩١٩ .. فقد ظلت لجنته المركزية التي تركها وراءه في القاهرة على اتصال بالاحداث العامة تمدهم بالمعلومات والمواد التي تساعدهم على اداء عملهم في اوربا وتسيطر على الرأي لعام في مصر بما تذيعه من اخبار الوفد في اوربا وجهوده للنضال من اجل مصر ونقلا عن الاسلوب الهندي في التنظيم السياسي كانت تلك اللجان تؤدي عملها بنجاح ، ولكل منها بديل تحل محلها فور القبض على سابقتها او تعطيلها عن العمل .

ويحكم هذه اللجان لائحة تنفيذية من ٢٦ مادة . (٤٣٤)

فبعد قائمة اسماء الاعضاء ، يأتي الهدف الرئيسي وهو تحقيق الاستقلال لمصر بالوسائل السلمية ، وتستمد قوتها وتأييدها من ارادة الشعب الذي تمثله .. وتنص اللائحة على ان يقسم العضو بالمحافظة على السرية في كل المهام والاعمال التي يكلف بها ، وان ينفذ ما يصدر اليه من اوامر دون اعتراض ، ما دام في خدمة الشعب والحزب .. الرئيس والسكرتير وامين الصندوق يعينون ، وبجانب الاجتماعات التي يديرها ، فرئيس اللجنة مسؤول عن مراقبة تنظيماته والاشراف على اجراءات اللجان واعمال السكرتارية ، وحالة الدخل .. ويدير السكرتير الاعمال الكتابية للجنة الحزب الكتابية وشؤون الارشيف والمستندات، ما عدا الحسابات .. اما امين الصندوق فمسؤوليته تقتصر على الاعمال المالية للحزب .. اي الدخل .

وعلى الاسلوب الحديث في الاحزاب الاوربية نظم طريقة وضع اعمال الاجتماعات ــ وأبيح لكل عضو في الحزب حرية مناقشة الاخرين في السياسة بصفته الشخصية وليست الحزبية .. وعلى ان يكون قد استأذن رئيسه المباشر في لجنة الحزب ، وعلى ان يرفع اليه تقريرا كتابيا عن موضوع المناقشة ..

وفي النهاية حددت اللائحة انتخاب لجنة مركزية للحزب ونظمت طريقة هذا الانتخاب .. وروعي ان يكون شخصيات اللجنة المركزية من القادرين على تدبير وسائل تمويل الحزب بصفتهم الشخصية ، او بجهودهم العامة .

ولم يكن التنظيم المركزي الشامل لجهاز الحزب ، هو الظاهرة الوحيدة ، في لائحة الحزب .. وانما كانت سلطات الرئيس المركزة التي اختص بها وحده احد العلامات المميزة في تنظيم الوفد .. فالرئيس

لا يرأس الاجتماعات ، ويوقع جدول الاعمال فحسب .. بـل ايضا يهيمن على كل الاعمال التي يقـوم بها رؤساء اللجان في الوفد وكـل اعضائه .. حتى مناقشاتهـم الخاصة التي يشتركون فيها خارج نطـاق الحزب ، تخضع لاشرافه الكامل وسيطرته ..

صنعت ثورة ١٩١٩ لحزب الوفد مبدأه الرئيسي للنضال من اجل حـق مصـر في الاستقـلال .. وعلى ضـوء هذا المبدأ صـاغ الوفد بقية خطوطه السياسية باقامة حكومة دستوريـة تحترم حقـوق الاجانـب ، والامتيازات الاجنبيـة ، والديـن العام ، وطبيعـة قنال السويس .. (٤٣٦) وطمأنت الخطوط الاخيرة ظنون اصحاب المصالح في مصـر .

واضيفت في فترة لاحقـة مبادىء اصلاح التعليم ، وتحسين مركز الفلاحين المادي والمعنوي (٤٣٧)

ولكن الوفد لم يكن قادرا دائما على السيطرة بالتـزام الاعضاء بنصوص هذه المبادىء او الخروج عليها ... فمع ان جريدة الاخبـار القاهرية والتي كانت تمثل حزب الوفد ، قد نشرت في عام ١٩٢١ نفس هذه المبادىء كبرنامج للوفد .. فان محمـد كمال العضو العنيـد في ايمانه بالاستقلال الكامل والعاجل كتب تعليقا على هذا البرنامج يحـث فيه اعضاء الوفد الرسمي الا يقنعوا الا بالاستقلال الكامل خارجيـا وداخليا .. وفسر الاستقلال الداخلي بالاشراف المصري الكامل على الشؤون المالية والتشريعية والقضاء والادارة الحكوميـة والتجارية ، والزراعة والبوليس والاعمال العامة .. اما الاستقلال الخارجي فكان معناه عند محمد كمال سيطرة مصر على كل ارتباطاتها الخارجيـة بمـا فيه مصلحة مصر الخاصة وحدها .. (٤٣٨) بما يعني بشكل عـام جـلاء الانجليز والقضاء على كل تدخل اجنبي في شؤون مصر .

ويعيد الوفد الاعلان عن مبادئه في مذكرة ارسلت الى جريدة التايمز Times في لندن ، بمناسبة بدء الدورة البرلمانيــة لمجلس العموم في فبراير عام ١٩٢٥ ، ويناشد فيها ممثلو الشعب البريطاني ان يساهمــوا في رفع المظالم التــي يتعرض لها الشعــب المصري ، بوجــود الاحتــلال الانجليزي .. وفي غيبة سعد زغلول في المنفى ، وقع البرقية حمد الباسل عضو المجلس التشريعي السابق واحد مؤسسي الوفــد ، وواصف غالي المحامي ، وويصا واصف محامي المحكمة المختلطة بالقاهرة ، وجورج خياط من اعيان اسيوط ، وعلي ماهر المحامي ، وعلوي الجــزار عضو المجلس التشريعي السابق ومراد الشريعي من اعيان المنيا .

ولكي تبرر المذكرة البرقية ان مصر لم تكن ابــدا ضمن ممتلكــات الامبراطورية البريطانية ذكرت اربعة نقاط :

١ ــ ان مصر لا يمكن ان تحكم بقوى اجنبية ، ولكن يمكن معالجــة الامر باتفاق تحالف بين مصر وبريطانيا العظمى .

٢ ــ تأكد تامين قناة السويس وحيادها بالاتفاقيات الدولية ، ويمكن للجيش المصري ان يكون مسؤولا عنها .

٣ ــ يمكن التاكد من ضمان المصالح البريطانية في مصر ، والاجانــب كانوا يوجدون في مصر قبل الاحتلال وحقوقهم كانت مصونة . والامتيازات المنصوص عليها في مصر الان تحمي مصالح الاجانب في مصر .. ولو انــه يجب ان تحقق .

٤ ــ نصيب الحكومة البريطانية في الدين المصري العــام مصونة بخطاب الضمان العام .. ويمكن اعادة تأكيد ضمانها .

بهذه البرقية كان الوفد يعيد تأكيد سياسته الرسميــة التي سبق واعلنها في جريدة الاخبار كبرنامــج سياسي له .. ويؤكــد انه يسعى للحصول على الاستقلال التام ويلتزم بالوسائل السلمية ، عــن طريــق معاهدة تحالف ومن حيث كان الوفد يريد ان يضمن حماية المصالح المصرية والمصالح البريطانية بهذه الاقتراحــات ، لم يكــن يتصور انــه باقتراحه هذا يقطع كل صلة للماليين البريطانيين بمصر .. الامر الذي يشكل عقبة كبرى في وجه الاستقلال .

وتأكدت قيادة الوفد للحركة الشعبية في عام ١٩٢٢ ، واصبح سعد زغلول بطلا وطنيا اسطوريا تؤلف فيه الاغاني المصرية .. (٤٤٠) فما ان صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، حتى تقبلته الاحزاب السياسية الاخرى بالترحيب واعتبرته تقدما كبيرا وهاما بوصفه اعترافا رسميا لاول مرة ــ من احدى الــدول الاستعمارية بحــق بلد كان قــد احتلها بالقــوة ــ بالاستقلال .. اصدر الوفد أعتراضا عنيفا على التصريح يسميه فيــه الاستقلال مع العار .. (٣٤٣)

ويختلف حزب الوفد مرة اخرى عن بقية الاحــزاب الاخرى في تصوره لدستور ١٩٢٣ ، الذي يــرى ان تضعــه لجنة منتخبــة مــن الجمهور ، وليس لجنة معينة . (٤٤٤)

كل هذه الاختلافات بين نظرة الوفد ونظرة الاحزاب الاخرى في هذه الموضوعات الجذرية ، عرقلت محاولــة قام بها الوفد لتوحيــد الاحزاب السياسية .. (٤٤٥) ودفعت في نفس الوقــت اعضاء الحزب نفسه الى التفكير جديا في تشكيل تكتلهم كحزب ، وبين ايديهم صورة تنظيمية على أحدث الاسس ، وبرنامج متكامل التصور .. ودفع هذه الفكرة الى حيز التنفيذ بعض الاخطاء التي كان يرتكبها المؤيدون للوفد في برلمان ١٩٢٤ باحراج الحكومة او معارضتها في اخذ الاصوات ..

وفي قرار عاجل تقرر تكوين حزب الوفد كتنظيم حزبــي للقضاء على كل هذه المتاعب .. وفي بيت حمد الباسل باشا قرأ مكرم عبيد الذي كان يسمى خطيب الوفد ــ الاعلان التشريعي لتشكيل الوفد .. واختير له اسم « حزب الوفد النيابي »

وفي هذا الاجتماع تقرر قانون الحزب الذي على أساسه تتكــون اللجنة التنفيذية برئاسة سعد زغلول وعضوين مــن كل مديريــة .. وانتخب الاربعة عشر عضوا في الحال وضمت اللجنة التنفيذية الجديدة

الى اللجنة الوفدية وفي ١٤ مايو ١٩٢٤ قرر الشيوخ الوفديون تكوين « الهيئة الوفدية بمجلس الشيوخ » ، واتخبت اللجنة في الحال •• وحضر سعد زغلول كلا الاجتماعين ، ولا شك انه كان الملهم لهذه الحركة الجديدة في تاريخ حزب الوفد • (٤٤٦)

بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٤ ظلت مهمة الوفد الرئيسية النضال من اجل الاستقلال التام ، ان يحقق الوحدة الوطنية بين المصريين جميعا •• واطلقت الصحافة على هذه المهمة لفظ « الاتحاد المقدس » نسبة للاتحاد المقدس الذي استعملته صحافة الحلفاء اثناء الحرب العالمية الاولى••(٤٤٧) وكان مبدأ الاتحاد المقدس يفرض على الوفد ان يجاهد من اجل : ١ ــ توحيد المصريين جميعا تحت قيادته بصرف النظر عن الدين او الطبقة • ب ــ تنظيم الرأي العام المصري بما يحقق هذا الغرض الوطني لصالح مصر ••

ونجح الوفد في تحقيق وقيادة العهد المقدس ، بالدعاية والمثابرة •• فمن القرارات التي اثبتت نجاحها الباهر ، منذ القبض على سعد زغلول، السرعة في تشكيل اللجنة الادارية بمجرد ابطال سابقتها او اعتقال اعضائها •• (٤٤٨) ففي هذه الحالات لم تكن اعمال الدعاية والاثارة تتوقف •• وتنتشر الخطوط الدعائية بسرعة لا يمكن تصورها تدعو للافراج عن البطل الكبير المريض ، الذي ارسله الانجليز المتوحشين الى المناخ المميت في سيشيل •• كانت هذه الدعاية تجعل من سعد زغلول ورفاقه المعتقلون ابطال شهداء تنفعل باخبارهم ثورة الجماهير وغضبها •

ثم تتحول خطة الاثارة الى توجيه الجماهير للوسيلة التي بها يعلنون غضبتهم على الانجليز باسلوب عملي •• ففي ٢٣ يناير ١٩٢٢ صدر اعلان يطلب من جماهير الشعب مقاومة الانجليز سلبيا عن طريقين : عدم التعاون ، والاضراب • عدم التعاون : بان يقطع كل من له عمل مع

الانجليز علاقته بهم ، ويهمل توجيهاتهم ، و لايشترك معهم في اي اجراء تنفيذي حتى يكونوا وحدهم المسؤولين عن سياسة القوة التي تتم ضد الوطنيين والجماهير في مصر •• وان يرفض الرسميــون ان يطيعوا اوامــره •• ولا يتعامــل المصريون الا مع مصريـــين •• ولا يتعامــل المحامون الا مع قضاة مصريين • (٤٥٠)

والاضراب : بان يسحب المصريــون اموالهم المودعــة في البنــوك الانجليزية وان يحفظوها في بنك مصــر ••• والذين يشتركــون في شركات انجليزية عليهم ان يبيعوا انصبتهم فيها ويقاطعوا التعامل معها •• ولا يستعملوا البواخر الانجليزية في اي غرض مهما كان ، وان يرفض الحمالون المصريون خدمة البواخر الانجليزية مهما تحسنت معاملتهــا معهم ، ولا يقربوا الا البضائع المصريــة •• والتجار كذلــك يجب ان يقاطعوا الانجليز مهما كانت الاسباب والمغريات •• وسيعطى التجار مهلة من ٣ الى ٦ اشهر للتخلص من البضائع الانجليزيــة التي في مخازنهم •• وعلى كل لجان الوفد ان تعلن تفاصيل هذا الاضــراب على اعضائها المتصلون بهذه الاعمال والاضراب ضد المصريين الذين يرفضون تنفيــذ هذه القرارات • (٤٥١)

وفي يونيو ١٩٢١ وزع طلب بدعوة الوزارة الى الاستقالــة طاف القطر المصري كله ، وجمعت عليه التوقيعات باسرع مما تستطيع الوسائل البرقية •• وفي ١٤ من نفس الشهــر ، لم يكد ينتهي سعد زغلول مــن خطاب الاحتجاج الذي اعلنه في اجتماع في القاهرة على خطاب تشرشل عن مصر ، حتى كان في عدة ساعات على مائدة الاجتماع في كل لجنــة حزب في انحاء القطر •• وفي سبتمبر واكتوبر زار خمسة من اعضاء مجلس العموم عمال القاهرة •• واصدر حزب الوفد توجيها للجماهــير بان يكون الصوت الوحيد وموضوع المناقشة الوحيد مع اعضاء الوفد

هو استقلال مصر .. ومن التقرير الذي قدمه اعضاء الوفد البرلماني الانجليزي بعد عودتهم الى لندن ، تبين اثر تلك الوحدة الفكرية بين الجماهير للمطالبة بالوحدة فيهم . (٤٥٤) فقد كان رأيهم ان كل الذين قابلوهم في مصر من اغنياء وفقراء ومتعلمون وجهلة في الحفلات او الاجتماعات والمؤتمرات والوفود يصرون جميعا على الاستقلال .. وحتى الاوربيون الذين قابلوهم في القاهرة ، قالوا انهم يؤمنون بامكان عقد اتفاق ما ..

ولم تستطع الاختلافات في وجهات النظر في الرأي العام الوقوف في وجه اجراءات ودعايات الوفد .. (٤٥٥) وظل يعقد الاجتماعات وينشر دعايته ضد التدخل الاجنبي والاحتلال ، وينظم الاضرابات ويصدر البيانات ضد الانجليز او الحكومة المصرية المتواطئة .. (٤٥٨) وكان كل هذا الحشد من الدعاية ينشر في الصحف او يطبع في كتيبات.

وكانت آثار الوفد الدعائية في الصحافة فعالة بشكل عام ، اللهم الا بعض الجرائد مثل الكشكول ، التي كانت تهاجمه غالبا .. ولكنها في بعض الاحوال القليلة كانت تؤيده ولكن حزب الوفد استطاع الى جانب مجلته الرسمية كوكب الشرق ان يصدر مجلة هزلية اسبوعية اخرى باسم « خيال الظل » .. كما كسب تأييد الاهرام والبلاغ ووادي النيل ومصر . (٤٦٠)

ويعبر مصطفى لطفي المنفلوطي الكاتب المشهور عن اثر الوفد في الكتاب والصحفيين في كتاب عن المقالات السياسية التي كتبت في عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ ، (٤٦١) وكيف عكست العداء للانجليز وفقدان الثقة فيهم .. ثم كيف كانت بعد ذلك المديح لسعد زغلول والتأييد لحزبه ومعاونيه .. وكان مصطفى لطفي المنفلوطي يمثل في كتابه هذا جميع المثقفين الذين اتجهوا الى السياسة لتأييد حزب الوفد .. كما فعل

شوقي وحافظ من الشعراء الموهوبين الذين كتبوا قصائد في تأييـد الحركة واشادوا بسعد زغلول •

الا ان اثار سعد زغلول لم تتضح تماما في البلاد العربية والاسلامية •• ولم يذكر عن هذه الاثار الا ما كتبه مراسل الهيرالـد تريبيون في القاهرة عن حجاج عرفات في عيد الاضحى وصلواتهم ودعائهم لتحريـر مصر وتأييد سعد زغلول •• وربما كان السبب الرئيسي لعـدم ظهـور الدعاية الوفدية في الدول العربية هو تركيز دعاية حزب الوفـد على الجبهة الداخلية في مصر •• والقوى الاجنبية في الخارج ••

فالى جانب الوثائق والبيانات التي ارسلت الى مؤتمر السلام خلال عـام ١٩١٩ (٤٦٣) ، قام الوفـد بحملة اتصالات واسعة النطـاق بين الشخصيات السياسية الدولية •• وعلى صدى الدعاية الامريكية ، ظن كثير من المصريين ان أمريكا قد دخلت الحرب العالمية دفاعا عـن مبادىء العدل والسلام ، فارسل الوفد عدة برقيات الى الرئيس ولسون وبعض الزعماء السياسيين الامريكيين مثـل السناتور بوراه كممثـل للشيوخ الامريكيين ، (٤٦٤) ليحاولوا استمالتهم لتأييد مصر •• بل اوفد الوفد محمد محمود العضو المشهور في الحزب الى امريكا ليقنـع السياسيين الامريكيين بحق مصر العادل في الاستقلال •

اما ايطاليا فكانت الدولة الوحيدة في الحلفاء التي لم تؤيد الحماية على مصر •• وليستغل الوفد هـذا الوضع ارسل بعض البرقيـات الى أورلاندو السياسي الايطالي المشهور ، كما ارسل مذكرة للبرلمان الايطالي في ١٤ اغسطس ١٩١٩ يحيي فيها الشعب الايطالي الذي لم يؤيد الاحتلال البريطانـي على مصر ، ويحتج على مـواد ١٤٧ ـ ١٥٤ من معاهـدة السلام ، ويذكر الايطاليين بحضارة مصر الثقافية القديمة ، واستقلالهـا الذاتي الذي يرجع الى عام ١٨٤٠ ، ثم يطالب بحق مصر في الاستقلال ،

وامل حزب الوفد في ان تستمر ايطاليا في رفض الحماية البريطانية على مصـــر ..

وبلغت الدعاية الوطنية للوفد ذروتهـــا في انجلترا .. ففي عـــام ١٩١٩ طبع الحزب كتابا ابيض في باريس باللغة الانجليزيـــة ، (٤٦٧) يجمع الوثائق ، وخطابات الزعماء المصريين ، وخطاب موجه الى لويـــد جورج ، وزعته في بريطانيا ومجلس العموم .. (٤٦٨)

وجاهد الطلبة المصريون لتوزيع هذا الكتيب ونظموا الاجتماعات مع النواب البريطانيين وطلبوا البيانات ، (٤٦٩) ونظموا الاضرابات حتى اذا كانت مشـكلـــة مفاوضات ملنر (٤٧٠) عـــام ١٩٢٠ اضافت جمعيـــة الطلبة في بريطانيا الى منشوراتها الكثيرة كتيبا . ايدت فيه الوفد ونقدت الانجليز بشدة على اقتراحهم الـــذي يعترض على مفاوضات ملنر ــ زغلـــول . (٤٧١)

وفي باريس ركز الوفد دعايته بخطاب ارسله الى كليمنصو (٤٧٢) وشجعوا ونشروا موضوعات اخرى في الصحافة الفرنسية مثل تقريـــر اللنبي الذي اذاعه عن اسباب عدم الاستقرار والسخط في مصر .. وقد اذيع بترجمة فرنسية ، (٤٧٣) واخرى انجليزية . (٤٧٤)

وفي باريس ركز الوفد دعايته بخطاب ارسله الى كليمنصو (٤٧٢) الى مؤتمر السلام ، بعد اضافة بعض المعلومات عن الاضطهاد الانجليزي في مصر .. (٤٧٥) وركز الكتاب على المساعـــدات التي قدمتها مصر للحلفاء اثناء الحرب ، كمـــا اعترض على تجزئة السلام الـــذي تعرضه انجلترا ، والذي يحول اعضاء الوفد المصري الى تجار في سوق السياسة

وبمساعدة الحزب الوطني ، ارسل الوفد الى مؤتمر لوزان فـــي نوفمبر ١٩٢٢ مذكرة بتوقيع حسيب باشا نيابة عن سعد زغلول لاعـــادة مناقشة حق مصر في الاستقلال ، من اربعة نقط :

١ ـ ان مركز مصر الدولي المعروف منذ عام ١٨٤٠ يؤكد ان مناقشة دولية يمكن تغيير اتفاق لندن الذي يضمن لمصر الحكم الذاتي الداخلي القريب من الاستقلال .. وان يدعم هذا التغيير بفرمان تركي .. فان بريطانيا احتلت مصر وفرضت حمايتها عليها ضد الاتفاقيات الدولية .

٢ ـ كل النقاط التي قدمتها انجلترا غير عادلة بواقع الحال الذي يثبت اعتدائها على سلطة مصر داخليا وخارجيا ، وان الحماية والاستقلال في نظر انجلترا ، هي اخضاع مصر تحت الاحتلال .

٣ ـ على عكس ما تقوله انجلترا ، فان رؤوس الاموال الاجنبية في مصر ليست في خطر ، ويمكن تاكيد ضمانها بمفاوضات بين مصر والدول مباشرة .

٤ ـ كانت السودان دائما جزء من مصر ، ويجعلها النيل مصدرا لحياة المصريين .

وبينما كانت المذكرة تشرح للمؤتمر كيف ان مصر عوقبت لانها طالبت بالاستقلال ، طالبت المؤتمر بالتالي :

١ ـ الاعتراف بالاستقلال التام لوادي النيل (مصر والسودان)

٢ ـ جلاء الجنود البريطانيين عن وادي النيل كله

٣ ـ تاكيد الحياد الفعلي التام لقناة السويس ، وان يعهد الى مصر المحافظة على هذا الحياد .

ولم يعترف الوفد ابدا بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ للاستقلال ، وكان في نظره شيء تعافه النفس .. ولان الدستور ١٩٢٣ قد ذكر في هذا التصريح ، فان الوفد كان يعارضه على اساس :

١ ـ ان الدستور لم يوضع بتمثيل نيابي في البلاد

٢ ـ ان كل الاجزاء الخاصة بوحدة وادي النيل قد حذفت

٣ ـ ان مصر لم تكن مستقلة في ظل الدستور الجديد باكثر مما كانت تحت الحماية . (٤٨٦)

ومع ذلك ، فان الوفد شارك بجد في اول انتخابات في ظل هذا الدستور .. بل كان المدافع المخلص عنه عندما اراد القصر ان يغيره باخر اقل منه حرية ..

وبديناميكية الوفد وتنظيمه المحكم اكتسح الوفديون هذه

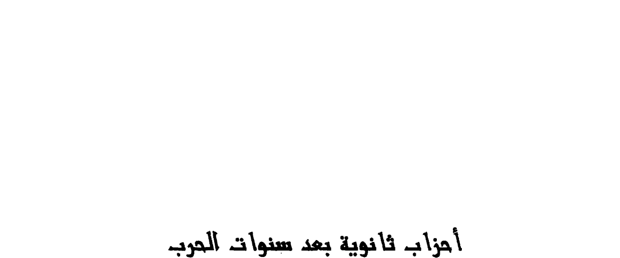
الانتخابات في المدن والقرى ، وفازوا في مجلس النواب بمائة وثمانين مقعدا ، مقابل ٢٧ لكل الاحزاب الاخرى • (٤٨٧)

ووضعت حكومة سعد زغلول بعض المشروعات الداخلية فقط قبل تشكيل برلمان ١٩٢٤ •• ويقول امين يوسف (٤٨٨) احد المقربين الى سعد زغلول •• ان رئيس الوفد كان يضع الخطوط الرئيسية لاصلاح التعليم والادارة والقضاء والضرائب •• وسواء كان هذا صحيحا او خياليا : فان هذه المشروعات لم تخرج الى الوجود لان وزارة الوفد استقالت بعد مقتل سير لي ستاك •• ولقد كان المفروض ان يتجه نشاط أول وزارة للوفد للاهتمام بالمسائل الخارجية ، وخصوصا العلاقات الانجليزية المصرية المعقدة •• مما كان يحتم تعويق اي محاولة للاصلاح التنفيذي في الداخل • (٤٨٩)

عندما بدا الوفد نشاطه السياسي كقيادة شعبية تصنع الوحدة الوطنية من اجل الكفاح لتحقيق الاستقلال •• كان كمنظمة تحارب من اجل التحرر ، اكثر منها كحزب سياسي يضع برنامج واهداف محددة •• اما بعد فشل مفاوضات ملنر ــ زغلول ، فقد خرج بعض اعضاء الوفد الاقوياء وفي رأيهم ان مصر في حاجة الى قبول الشروط التي تنوي بريطانيا ان تقدمها •

ولقد فعل هذا الشقاق في حزب الوفد فعله • واندفع زعماؤه يقودوا حركة شعبية متطرفة في انحاء البلاد •• وتنظيمات الوفد القوية ونفوذه الكبير ، استطاعوا توحيد القوى في مصر ــ بصرف النظر عن العقيدة والفوارق الاجتماعية ــ في جبهة واحدة تؤمن بالعداء للاحتلال الانجليزي ••

وقدم حزب الوفد لمصر اجل خدمة ، بخلق جبهة سياسية متحدة ، اخترقت حدود الدين والطبقات •• ونشرت الوعي الوطني بين القوى الجماهيرية العريضة ، التي كانت مبعدة دائما عن حقوقها السياسية •



أحزاب ثانوية بعد سنوات الحرب

١ ـ الاحرار الدستوريين

بالرغم من غياب الرأي العام في مصر كحقيقة ايجابية في الحياة السياسية ، فالصحافة الوطنية والوفد استطاعا ان يحققا هذه الايجابية ، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى •• (٤٩٢) ولقد كان غياب الرأي العام احد العوامل الهامة والحاسمة لظهور احزاب اخرى : الى جانب الوفد والحزب الوطني •

ولم تتوقف المنافسة والصراع بين سعد زغلول وعدلي ، بالرغم من انها لم تأخذ الشكل العلني ، الا في حالات قليلة •• (٤٩٣) ولا يمكن تحديد تطور الامور بينهما ، ولكن في اكتوبر ١٩٢٢ اجتمع ٢٥٠ شخصا في القاهرة لينشئوا حزبا جديدا كان رئيسه عدلي يكن ، ومعه من الاعضاء الوزير السابق احمد حشمت ، والسيد عبد الحميد البكري رئيس هيئة كبار العلماء ، والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية ، وابراهيم الهلباوي وحسن عبد الرازق وعبد اللطيف المكباتي وشعراوي وصالح لملوم البدوي وتوفيق دوس بك ، وآخرين •

وبعد مقدمة عدلي يكن الحماسية تحدث عبد الحميد البكري ومحمد بخيت •• ثم تلا محمد محمود مبادىء تكوين الحزب الجديد الذي اطلقوا عليه « حزب الاحرار الدستوريين » •• وحسب النظام الاساسي للحزب تنتخب هيئة ادارية من ثلاثين عضوا ، كل ثلاث

سنوات ، بجمعية عمومية من الحزب •• وفي كـل دورة تنتخب هذه اللجنة من بينها رئيسا ونائبين للرئيس وسكرتير وامين صندوق •

وسميت جريدة الحزب « الزمان » •• (٤٩٤) ثم حلـت محلها جريدة السياسة فيما بعد • (٤٩٥)

ولم يكن نشاط الحزب ملحوظا ، ولا ناجحا •• ففي المراحـل الاولى من حياة الحزب ، تولى عدلي يكن الـوزارة ثم عقد اجتماعـا كبيرا ، القى فيه خطابا يبرر فيـه اسباب قبوله دعـوة الملك لتأليـف الوزارة •• والحاجة الملحة لاتفاق الاحزاب ودور الصحافة في تحقيق الوحدة الوطنية • (٤٩٦)

فلما جاءت انتخابات اواخر عام ١٩٢٣ للبرلمان ، لم يستطع الحزب ان يصل لاكثر من عدة كراسي ، بالرغم مـن البيانات التي وزعها ، والاجتماعات التي عقدها والنشاط الذي قام به زعماؤه •• ففقـدوا بذلك تأييد اعضاء البرلمان السابق ، ولم يستطيعـوا كسب الكتـل الحاكمة •• (٤٩٧) وفي غضبتهم لهـذه الهزيمة الساحقة وافتقارهـم المتأييد الجماهيري اندفعوا يهاجمون الوفد بضراوة ، ظهرت اثارها في مقالات هادرة على صفحات جريدة السياسة ، وعليهـا بصمات اعضاء الحزب المجربون ، والذين تعلموا هذا الاسلوب في الاحزاب (٤٩٩) الاخرى ••• مثلما حدث في البيان الذي نشره الحزب بعد وقت قليل من هزيمته الانتخابية يهاجم فيها كلا من الوفد والانجليز على مفاوضات لندن الفاشلة ويحمل الوفد تبعة التهاون في المحافظـة على الضمانات الكافية لحقوق مصر ، والمصالح المشتركة بين مصـر والسودان •• ثم يطالب الجماهير في النهاية بان تحاسب الوزارة وان تجاهد في سبيـل المصلحة العامة •• (٥٠١)

في مواد برنامج حزب الاحرار الدستوريين ، (٥٠٢) كان اولهـا

يعتبر اتفاق ١٩٢٢ عمل تقدمي •• ثم تسعى المــواد التالية للاستقلال ووحدة مصر والسودان •• وتطالب بدستور تقدمي ، ورعاية الحقوق الفردية ومحاربة الاميــة بين الرجــال والنساء ، واصلاحات الزراعــة والري ، والتصنيع واستغلال المصادر الطبيعيــة ، واصلاح الجمعيات التعاونية ، وتنفيذ قانون عادل ينظم العلاقة بين الموظفين والوظائف •

ولم يضف البرنامج بذلك جديدا في الاوساط السياسية •• ومــع ان الحزب كان له موقف التبعية للقصــر ، فقد كان مع ذلك يطالــب بالاستقلال وحرية السلطات •• ولكي يرضي الحزب جميــع الطبقات والافكار ، شكل برنامجــا لمجمع متقــدم بالثقافـــة والاصلاحــات الاقتصادية • (٥٠٣)

كما لم يكن هذا البرنامج المزدحم هو البرنامج الوحيــد الذي اصدره حزب الاحرار الدستوريين بالطبع •• فالمعروف عن احزاب العالم كلها ــ وليس الاحرار الدستوريين وحدهــم ــ انها تصدر برامج قصيرة حسب المناسبات • ففي اجتماع ٢٤ فبراير ١٩٢٣ ، وافق الحزب على برنامج كان من الممكن لاي وزير ، بل لاي مصري ان يتبناه وان يتعهد بتنفيذه باسمه •• مثل العمل على توحيد مصــر والسودان ، واصدار القانون الدستوري الكامل ، والغاء الاحكام العسكرية فورا ، والافراج عن المعتقلين والمنفيين السياسيين ، وتبني سياسة للوحدة (٥٠٤)

١ ــ الاستقلال التام دون اي تدخل اجنبــي في الشؤون الداخليــة والخارجية لمصــر •

اما في انتخابات برلمــان ١٩٢٣ ، فقــد قدم الاحرار الدستوريــين برنامجا مخالفا تماما :

٢ ــ انهاء الاحتلال العسكري لمصر •

٣ ــ لا توجد مشكلة سودانية ، ولا يجب ان تعطيها الحكومة اي اهتمــام

٤ ـ اجراء مفاوضات بين مصر وبين القـوى ذات الشأن حـول الامتيازات

٥ ـ تعيين الممثلين الدبلوماسيين المصريين في الدول الاجنبية فورا .

٦ ـ انضمام مصر الى عصبة الامم .

٧ ـ تصفية الخلاف بين الاحزاب المختلفـة تمهيدا لتكوين جبهـة متحدة تحقق هذه المطالب . (٥٠٥)

وكما هو واضح ، فالفارق بين هذا البرنامج وبرامـج الاحزاب الاخرى ، يتركز في الاهتمـام بالسياسة الخارجية والتعامل مع القـوى الاجنبيـة .

وتعكس برامـج حزب الاحـرار الدستوريـين جميعها طبيعـة البورجوازيين الكبار .. فالحزب كان يمثل الاغنياء واصحاب الاراضي .. ثم بعض الارستقراطيين من سلالة العائلات التركية النبيلة .. مما كان يحتم اتصالهم بالقصر وارتباطهم بالملك ، مع انه كان يكره توقيع اتفاقية عادلة مع الانجليز .. (٥٠٦)

حزب الاتحاد

في ١٠ يناير ١٩٢٥ ، اوعز القصر الى رجله المخلص حسن نشأت باشا بالسعي لتكوين حزب يرأسه يحيى باشا ابراهيم ، رئيس الوزراء السابق — ورئيس اللجنة التي وضعت الدستور عام ١٩٢٧ ، والقفاز في يد الملك وقت اللزوم .

وهكذا جمع حزب الاتحاد بعض المؤيدين القلائل ليعمل في ظـل القصر والملك بوضوح وعلنية .. وبالرغم من انه نجـح في ان يجتذب بعض الاعضاء في انتخابات برلمان ١٩٢٥ ، فقد ظـل مؤيديه محدودي العـدد ..

ولم يكن للحزب مهمة غير مساعدة الملك على حكم مصر بقوانين ملكية ، بدلا من حكم برلمان دستوري ..(٥٠٧) وكان وجود الحـزب في الحكم امرا شاذا .. فلم يترك اي اثر على الحياة السياسية في مصر .

*

تميزت احزاب ما بعد الحرب العالمية الاولى بنشاطها الفياض في المعارضة ، واهدافها الكثيرة التي ملأت صفحات الجرائد .. ولقـد لعبت الصحافة الوطنية دورا هاما في تنشيط حيوية هذه الاحزاب اكثر من ذي قبل .. ولقد كانت تلك الحيوية تبلغ ذروتها اثناء الانتخابـات التي كانت عالم واسع محموم بالانفعالات .

وبصرف النظر عن الخطط الرسميــة للاحزاب واهدافها التي ملأت البرامج والخطط ، فقد كانت الشؤون الخارجيــة لمصر ، وغالبــا في العلاقة مع انجلترا ، مركز اهتمام الاحزاب الاول والاخير .. حتى ان هذا الاهتمـــام ينعكس في اهمالهم الكامـــل للموضوعات الداخليـــة ، كالاصلاح الاجتماعي او الاصلاح الاقتصادي ، لانشغالهـــم بمعارضة الانجليز .. وحتى يصل الامر الى تجاهل المسألة الدستورية نفسها .. مع اهمية وضع الدستور كقاعدة لمعنى الاستقلال والحرية ..

واتفقت الاحزاب كلها في امر واحد ، هو ان كل منها اعتقد انــه يمثل قلب الامة الوحيد في تحقيق الاستقلال ، ومعارضة التدخل الاجنبي في شؤون مصر .. ومع ان الهدف عند الجميع كان واحدا ، فالوسائل كانت مختلفة .. فكانت وسائل الحزب الوطني تقليديـــة بينما كانـــت وسيلة الاحرار الدستوريين مقابلة الانجليز في منتصف الطريق . امـــا الاتحاد فكان يرجو ويسترضي .

وتشابهت كل احزاب ما قبل الحرب العالمية الاولى في التنظيم .. وتحطم وانهار منها ما كان يعمل لحســـاب الاستعمار او يؤيده بينمـــا بقي من كان يقف مع القوى الوطنيـــة فتخطى مرحلة الحرب العالميـــة الاولى ، ليأخذ مكانه في ميدان السياسة بعد نهايتها ..

واهم تلك الاحزاب التي تخطت مرحلة الحرب العالمية ، الحـــزب الوطني .. ولكنه تضاءل ليصبح اقل بكثـــير عما كان ايام الحـــرب الحرجة .. وليحل حزب الوفد محله ، وقد تبنى كل وجهات نظـــره ومبادئه في مقاومة الانجليز ، والعمل على تحقيق الوحدة الوطنية بصرف النظر عن العقيدة ، واشعال الثورة لتحقيق الاستقلال التام لمصر .

وفي مقابل حزب الاصلاح الدستوري الذي كان يؤيد صاحـــب العرش والاسلام علنا ، ويصادقه الانجليز في الخفاء ، قبل الحرب ..

جاء الاحرار الدستوريين بعد الحرب يعلنون نفس المبادىء ويدينون بنفس الاهداف .

وكما فعل الخديو الذي لم يقنع في عام ١٩٠٨ بحزب الاصلاح الدستوري ، فاوعز بانشاء حزب النبلاء قليل العدد . ولكن مطلق الاخلاص له .. فعل الملك نفس الشيء في عام ١٩٢٥ حين لم يقنع بتبعية حزب الاحرار الدستوري فاتري الاخلاص له ، فاوعز انشاء حزب الاتحاد من مجموعة صغيرة ولكن يثق في اخلاصها العميق لعرشه ..

وقد حدث تغيير في تنظيم الاحزاب المصرية . في خلال الربع الاول من القرن العشرين .



مرحلة ما قبل ثورة ١٩٥٢

اوضحت طبيعة البرلمانات التي تكونت منذ ايام الخديوي اسماعيل ، ان الموضوعات التي كانت تناقش فيها عبرت في اغلب الاحيان عن المصالح الشخصية للاعضاء ، مثل المصالح الزراعية والضرائبية وغيرها ، مع تطور في التفكير للمطالبة بنصيب اكبر في ادارة البلاد .. وقد صبغت اغلب هذه الاهتمامات باهمال للموضوعات الاجتماعية يعززها مناخ سياسي عام مضطرب .. واثر الاحتلال البريطاني وهموم الكفاح ضده في نمو الاهمال الاجتماعي لسنوات عدة ، سواء في المجلس التشريعي او الجمعية العمومية ، فاصبحا صورة للحياة البرلمانية ولكن دون فعالية ..

هذا المناخ لم يكن ليقدم عناصر سياسية ايجابية او نشطة . وكان الزعماء الدينيون في هذه المجالس انشط العاملين فيها .. فلما ضعفت هذه العناصر او تضاءلت ، تفتحت القوى الوطنية ، واصبحت تمثل الخبرة في هذه المجالس ، وفجرت اتجاهات جريئة وواعية استطاعت ان تكسب سلطات اوسع في مجلس شورى القوانين ، الذي كان بدوره يعطي اقرب التصور للتمثيل النيابي الحقيقي ، ويمنح الفرصة لرجل مثل سعد زغلول ليرفع صوت الامال والاماني الوطنية .

ولقد لعبت الحرب العالمية الاولى دورا هاما في الحياة البرلمانية

في مصر •• وبالرغم من ان المجلس التشريعي لم يدع في ظل الاحكـام العسكرية ، فان الشعور بالوطنية السياسية كان اقوى من ان يموت •• بل على العكس فما ان انتهت الحرب العالمية حتى ارتفـع صوت الرأي العام يطالب بدعوة البرلمان وبسلطات اوسع •

ومع ان جميع تلك البرلمانات من ١٨٦٦ الى ١٩٢٤ قد حاولـت ان تبدو وكانها تسير على نفس الخط الاوربي للحياة البرلمانية •• الا ان تصرفاتها كانت مظهرية •• فباستثناء برلمان ١٩٢٤ ، كـان اعضاء تلك البرلمانات من أصحاب الاراضي الاعيان ، الذين لا يهتمـون الا بالمسائل التي تؤثر عليهم شخصيا •• او حين تهزهم ثورة مؤثرة تدعو لاظهار قيمهم الشخصية ووطنيتهم العامة •

وبنمو الرأي العام ، تطـورت الدعـوة السياسية في الصحافـة وازداد نضوجها •• وشيئا فشيئا كان على البرلمانيـة الدستوريـة ان تعتمد عليها وتركن اليها •• كما حدث يوم مناقشة واتخاذ القرار فـي مشروع مد امتياز قناة السويس عام ١٩١٠ •• فلم تكن الصحافـة الوطنية تعبر عن الرأي العام فقط ، وانما ايضا تخرجه في شكله المؤثر •• ولذلك كان تأثيرها على الاحزاب السياسية قويا •• واكثر فعاليـة على البرلمانات الدستورية •

وتعرض تطـور الاحـزاب لمؤثرات عـدة من الجمعيات السريـة والهيئات الدينية ومؤامرات البيت الحاكم نفسه •• الا ان كل الاحزاب بلا استثناء منذ ايام عرابي ومصطفى كامل بدأت خطوتها الاولى بتجمعات حول الجرائد •• فلم تكن الصحف صوتها فقط ، ولكن عقلها ايضا •

ولاثبات ان جميع الاحزاب كانت تدور في حدود ضيقة ومحدودة، انها كانت كلها لا تسمح للمرأة ان تلعب فيهـا دورا •• والمرأة ليست نصف المجتمع فحسب ، وانما هي ايضا دليل على الاهتمام الحقيقـي

بجوانب هامة ومتسعة من المجتمع .. وذلك معناه ايضا وبشكل غير واعي . الافتقار الى التعميم في اتجاهاتها .. فقد كانت جميعا وبلا استثناء ، تتبع شخصا واحدا معينا ، تتجمع فيه كفاءة الحزب كله . ويقرر مصيرها ، اكثر مما تقرره المبادىء .. حتى في الاحوال التي تخطط فيه بعض الاحزاب على اسس تنظيمية منقولة عن الانماط الاوربية ، كما حدث في الحزب الوطني او في حزب الوفد .. فلم تكن هذه التنظيمات تعمل بطريقة عملية حقيقية ، وقامت اكثر نشاطات هذين الحزبين على المزاج الشعبي اكثر مما تحركت وفق المبادىء الحزبية الفعالة .. ولا ادل على ذلك . من ان المثقفون المصريون مع انهم اثروا الحياة الحزبية بالكثير من افكارهم واعمالهم وتأييدهم الا انهم ابدا لم يلتحقوا بتنظيماتها .

وباستثناء ثورة عرابي ، فان الحزب الوطني وحزب الوفد وجميع الاحزاب السياسية كانت شكلا اكثر منها موضوعا .. لان الاجهزة التنظيمية في هذه الاحزاب ، كانت مجرد ادوات لتحقيق المطامح الشخصية لبعض الشخصيات في الحزب .. وفي حدود ثلاث احزاب رئيسية ، فقد بدأوا جميعا حركة وطنية شعبية .. فقد انتهت ثورة عرابي المعادية للانجليز قبل أن تجد الوقت الكافي لتشكيل حزبها الوطني .. اما مصطفى كامل فقد نظم السخط ضد الاستعمار في حزب حاول ان يكون له تنظيم اوربي حديث .. ولكن موته المبكر قضى على هذا الامل .. واخيرا جاء سعد زغلول يقود الاماني الوطنية في الاستقلال التام في حزب الوفد . وحتى عام ١٩٢٤ كان الوفد يتحمل المسؤولية بوصفه متحدثا باسم الشعب ، وليس كحزب .. ولكن ثقة الشعب الكبيرة فيه هي التي اضطرته لان ينضم الى قائمة الاحزاب السياسية العاملة .

ولم تكن بين الاحزاب السياسية في مصر اختلافات اجتماعية

واضحة ، لانها في محتواها الفكري والتنظيمي ، كانت جميعا تمثل كل الطبقات •• واكثريتها من الملاك •• ولم يكن نشاطها السياسي والدعائي يختلف كثيرا ايضا ، الا في درجة العنف والتأثير •• ولقد استغلت كل الاحزاب السلطات العاجلة الكاملة التي اعطيت للشعب وممثليه •• ولكن الحزبيون لم يحاولوا ابدا ان ينظموا لهذه السلطات الشعبية سياسة موجهة طويلة المدى •

أما الاختلاف الاول بين حزب وآخر ، فكان يتبلور في ميول الحزب نحو بريطانيا ومداه في التأييد او المعارضة •• حتى المشاكل الداخلية في مبادىء الاحزاب كانت تمارس حتى حوالى عام ١٩٢٢ — في ضوء العلاقة بين مصر وبريطانيا — •• كما كان الاختلاف الثاني بين الاحزاب يقوم في اتجاه الحزب للدين •• حتى في الايام الاولى للحياة الحزبية ، عندما كانت فكرة تكوين جبهة اسلامية عقيدة سائدة •• ومع ان الاغلبية من الاعضاء في الاحزاب كانوا مسلمين ، وميول الجميع اسلامية •• فقد حاول الحزب الوطني لعدة سنين ، كما نجح الوفد لفترة طويلة ، في تمييع اهمية اختلاف الدين بين اعضاء الحزب وتابعيه •

ان التناسق والاتفاق في الرأي العام الجماهيري ، كان اكثر قوة كحقيقة واضحة في هذا الجيل ، كما كانت في الجيل السابق من السياسيين •• فبينما كانت كل الاحزاب تتحدث عن مقاومة التدخل الاجنبي والاحتلال البريطاني •• فان هذا الشعار كان يختلف تفسيره بين زعيم وزعيم ، او بين حزب وحزب •• اما ما كان يجب ان يكون متفقا عليه ، مثل التعليم والاقتصاد الاجتماعي ، وهي حقائق المحتوى الواسع للاماني الوطنية ، فقد كان يعيش سطحيا في مبادىء الاحزاب •• والاعضاء يقفزون من حزب الى آخر •• حيث الولاء للطبقة ، اكثر تأثيرا من الولاء للحزب •

قبل دعوة اول برلمان ، كانت الحيـاة النيابية والاحزاب مجـرد أشكال ثانوية في المجتمـع •• ومجـرد واجهـة رقيقة لتطور الحيـاة السياسية في مصر •• اما بعد عام ١٩٢٤ ، فقد تحولت الحياة البرلمانيـة والحزبية النشطة الى مرآة حقيقية للحياة السياسية في مصر •

وفي الجزء الكبير من هذه الفترة ــ فترة ما بعد عام ١٩٢٢ ــ لم تشكل الحياة السياسية اي نوع من المتاعب او الاحداث الهامة ، كتلك التي اقترنت بتاريخ مصر قبل ذلك ، وذلك لسيطرة الملك او بريطانيا على العمل السياسي والدستوري •• وحيث ظل العمل البرلمانـي والحزبي يخضع لنفوذ ثلاثة عوامل محددة ، هي الوفد والملك وانجلتـرا •• وبرغم تنظيـم الوفد الفعال ، فقـد كان يعتمـد في مد نفـوذه على الحماس الجماهيري الذي كان فعالا في حمل اعباء الثورة ، ولكن ليس في حكم البلاد •• واقتصر نفوذ الملك في اتجاهه الاستبدادي للحد من قوة الدستور لينفرد بالسلطة •• اما الانجليز فرحبوا بالصراع بـين هاتين القوتين الوحيدتين في البلاد ، وايـدوا الوفد احيانا ، والقصـر غالبا ، في العلن او في السر ، بالدسيسة او بالقوات العسكريـة •• ليحتفظ بالصراع بينهما قائما وليظل للاحتلال الغلبة وحده •

وما كان هذا الصراع الذي استعملـت فيه كل وسائـل الدس والتآمر ليغير احد الطرفين ، الملك او الوفد ••• فبينمـا كان الملك يتراجع في نظر الجماهير يوما بعد يوم •• كان الوفد يفقد اهم اعضائـه بين حين وآخر لينضموا الى الاحزاب الاخرى ، او لينشئوا احـزاب جديدة ، صغيرة •• وبطبيعة الامور ، فان تلك الاحزاب كانت تجـد نفسها بالضرورة في موقف المؤيد للحكم الفـردي الملكي عقب كـل تعطيل للبرلمان •• وهكذا لم يبق برلمان واحد في دورته لخمس سنوات المحـددة في دستور ١٩٢٣ •• كما وجدت هذه الاحـزاب الصغـيرة نفسها ــ وهذا هو الادهى ــ في خدمة الانجليز ، بشكل غير مباشر ،

من خلال الملك ، بتأييدها لمصالحه الشخصية الفردية •• خصوصاً في علاقته بالوفد ••

ولم ير الملك في السلطات التي يمنحها له الدستور ، مجرد نوازع للسيطرة الفردية فحسب •• كما حدث حين حاول ان يفرض لنفسه تعيين خمس مجلس الشيوخ •• ولكنه كان يرى فيها اهم من ذلك سلاح يقضي به على كل حكومة متطرفة •• فاصدر عدة قرارات بتعيين شخصيات معادية للحكومة ، واسند اليهم وظائف القصر بمجرد رغبته في ذلك ، وبدون الرجوع الى اصول الدستور •• ليكونوا على اهبة الاستعداد لخدمة اغراضه ، في طرد الوزراء او تعطيل او حل البرلمانات ••

واحد من هذه الشخصيات كان احمد زيور •• فلما رفض سعد زغلول المذكرة الانجليزية بعد مقتل السير لي ستاك وقدم استقالته •• تقدم احمد زيور ليؤدي مهمته المدخر لها في القصر ، فيتولى الوزارة •• ويعطل البرلمان لمدة شهر •• ثم يفضه في النهاية ليجري انتخابات جديدة •• ويستكمل كل اساليب الضغط على المرشحين ، ويزور الانتخابات بطريقة علنية شاذة تدعو فعلا لان يتوارى الملك خجلا منها •• ولكن اخلاقيات اشخاص مثل احمد زيور لا تتورع القبول بها • (٥٠٨)

لمثل هذه المهام غير الطبيعية ، كان يجب ان تقوم احزاب تتخفى وراء وجه دستوري ، ليتسنى للملك ان يحكم من ورائها •• وكان عليها ان تقدم برنامجا ومبادىء تخدع به الرأي العام والوعي السياسي ، مثلما حدث في قيام حزب الاتحاد عام ١٩٢٥ •• فقد قدم حزب الاتحاد بعض المواد الشكلية ــ والتي لم تتحقق أبدا ــ لتذيعها في الجريدة الفرنسية « الحرية » La Liberté •• ولم يكن الشيء المؤسف الوحيد هو ان هذه الجريدة كانت تؤيد الوفد ، ولكن ان

بعض اعضاء الوفد ـ الحزب المنافس الوحيد للقصر ـ انضموا للحزب الملكي الجديد •• وحقيقة ان عدد الوفديين الذين انضموا لحزب الاتحاد كان صغيرا ، وباستثناء واحد او اثنين فلم يكن للآخرين اهمية ولكن هذه التغيرات في جو العمل السياسي في مصر في ذلك الوقت ، قد فجرت النوازع الانتهازية عند بعض السياسيين الذين فضلوا الولاء للقصر على تمسكهم بالمبادىء •• وبسرعة لم تكن متوقعة •

وبالرغم من كل ذلك ، فلم تعط الانتخابات لتحالف حزبي الاتحاد والاحرار الدستوريين الا بعض المقاعد القليلة •• مما اصبح محتما بعده ان ينتخب سعد زغلول رئيسا للمجلس •• وأمام هذا التحدي الجماهيري ، رفض الملك استقالة الوزارة كما كانت تقتضي الاصول الدستورية ، وأجل البرلمان مرة ثانية ، مصرا على الا يتولى شؤون الدولة الا رجالا يخلصون له وحده •• ولو على جثة الدستور •• معرضا مكانته والوزراء للنقد العلني لاعتدائه الصارخ على الدستور •

ولم يقف الملك فؤاد عند حد في اعلان نواياه الاوتوقراطية ، فاتهم علي عبد الرازق بالتعريض بنظام الحكم ، في كتابه « الاسلام وعناصر الحكم » والذي حاول فيه ان يثبت ان الخلافة ليست عنصرا في الحكم الاسلامي ، فافسد على الملك فؤاد خطته في اعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد الغاء الخلافة في تركيا •

وتحت ضغط السخط الذي انفجر في مصر وفي بلاد اسلامية اخرى على الوزراء لموقفهم السلبي من المحاكمة وموافقتهم على تقديم علي عبد الرازق للقضاء •• انفض التآلف الوزاري ، وخرج اعضاء حزب الاحرار •• الدستوريين من الوزارة وتركوا الاتحاديين وحدهم في الحكم •

ومع كل هذه البوادر التي تدل على فشل تجربة التآمر على

الدستور .. فقد اندفع حزب الاتحاد في مغامرته ، فاصدر مرسوما ملكيا يحتم على التنظيمات السياسية (الاحزاب) ان تقدم بيانات لتنظيماتها واعضائها وفروعها وان تكون خاضعة لرقابة الحكومـة ، والا تعرضت للاغلاق والمطاردة كتنظيمات سرية ..

وفجر هذا المرسوم الغضب في الرأي العـام السياسي ، ورفض الاحزاب الثلاثة ـ الوفد والحزب الوطني والاحرار الدستوريـين ـ الخضوع لهذا القرار وعارضوا بشدة قبول مثل هذا التفويض بالاعدام. ولمواجهة التحدي الموجه للاحزاب الثلاثة ، فقد قرروا تنفيذ اقتراح امين الرافعي عضو الحزب الوطني ورئيس تحرير جريدة الاخبار، تطبيق المادة ٩٦ من الدستور المصري الذي ينص على اجتماع المجلس في يـوم السبت الثالث من كل شهر نوفمبر سواء دعي او لم يـدع ، في جلسة فـوق العـادة .

وفي يوم السبت ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ ، ذهب اغلب النواب والشيوخ محاطين بالمظاهرات الى فندق الكونتننتـال ليعقدوا اجتماعهم هناك ، بعد ان احتلت الحكومة مجلس البرلمان بقوات الجيش .. وبالاجماع وافقوا على افتتاح الدورة ومعارضة الاجـراء غير الدستوري الـذي اتخذته الحكومة . وصدقوا على عدم الثقة بها .

وروعت الحكومة للجرأة التي اتسم بها قرار الاجماع ، وتصرف الاحزاب الثلاثة .. وان كانت قد تظاهرت بغـير ذلك .. ثم لتتفادى اتساع التمرد ووصوله الى الجماهير ، فقد ارادت ان تبرر استمرارهـا في تعطيل البرلمان ، فاعلنت في نهاية ذلك العام اصدار قانـون انتخابي جديد تجري على اساسه انتخابات برلمانية اخرى .

واستجابة لبيانات الاحزاب الى الجماهير برفض التصويت في ظـل هذا القانون الجديد الذي يحدد نصابا ماليا للناخبين في الدرجة الثانية ،

رفض بعض العمد اجراء الانتخابات في بلادهم ، واصـروا على الرفض حتى بعد ان فصلوا ٠

وفي غمرة المأساة ينفجر تناقض مضحك ٠٠ اذ يطرد حسن نشأت باشا من منصبه في القصر تحت ضغط الانجليز ، وهو رئيس حـزب الاتحاد الذي يتولى الوزارة . بعد أن يرتكب كل هذه المخالفات مـن اجل الملك ٠٠ وقد كان طرد حسن نشأت باشا من القصر ، مـع التأييد الضخم الذي قدمه العمد للحق الدستوري ، من العوامل التي شجعت الاحزاب الثلاثة على عقد اجتماع اعلنوا فيه مقاطعـة الانتخابات ٠٠ ونشر القرار في الصحف ٠

وفي فبراير ١٩٢٦ عقد اجتماع شعبي موسع آخر ٠٠ حضره الى جانب نواب وشيوخ برلمانات ١٩٢٤ و ١٩٢٥ السابقة ، زعماء الاحزاب الثلاثة ٠٠ واتفق في هذا الاجتماع تاكيد مقاطعة الانتخابات تعبيرا عـن المعارضة الموحدة من الاحزاب ٠٠ واكثر من ذلك طالب الاجتماع بوقف المصروفات غير الواردة في ميزانية الدولة ، حتى يتم الموافقة على الميزانية بمجلس منتخب شعبي ٠

وتراجعت الحكومة امام القوة الشعبية التي تحملها هذه القرارات ـ ولو انها اتخذت في اجتماع يضم البرلمانيون والحزبيون وحدهم ـ ٠٠ واعلنت العودة الى قانون ١٩٢٤ في اجراء الانتخابات ٠

وأكد هذا النجاح الاولي اهميـة الوحدة بين الاحزاب ، فـازداد تماسكها ٠٠ وفي مظاهرة حقيقيـة للوحدة وضعـت الاحزاب قوائـم الانتخابات موزعة بينهم في المناطق المختلفة ، تحت عين الشك الحكومي في الائتلاف المشترك ٠

واعطت الانتخابات نصرا مؤزرا للوفد ٠٠ وبعد استقالـة وزارة زيور ، تكونت حكومة ائتلافية مـن الوفد والاحـرار الدستوريين ٠٠

ورفض الحزب الوطني ـ كعادته ـ ان يشترك في وزارة بينما الاحتلال لا يزال يحكم البلاد ، مهما كانت الاسباب والاوضاع •• وتخوفا من عداوة سعد زغلول للانجليز ، التي تهدد الوزارة الدستورية ، تقرر ان يتولى عدلي رئاسة الوزارة ، كعضو مستقل ، وقد تــرك الان رئاسة الاحرار الدستوريين •• ولم يكن في هذه الوزارة وزيرا واحدا ممــن اشتركوا في الوزارات السابقة • وقد ظل هذا المبدأ معمولا به في الوزارتين التاليتين •• وفي ابريل ١٩٢٧ : استقال عدلي ، وتولى رئاسة الوزارة وزير خارجيته ثروت باشا •

وفي نشاط كبير عمل برلمان ١٩٢٦ تحت رئاسة سعد زغلول •• وبعد ان انتهى من مراجعة جميع القوانــين التي صدرت في غيبتــه ، اتخذ خطوات عنيفة بتخفيض مصروفات الخدمات الاجنبية •• كما بذل بعض الجهود لاصلاح مركز القطن ورفــع اسعاره ، كمصدر اساسي للدخل •• وفشلت محاولة لتخفيف سيطرة انجلتــرا على الجيش ، بعد مذكرات متبادلة مثيرة تعترض على وصول ثلاث بواخر حربية الى المياه المصرية •• فقد كان الانجليز يرفضون تخفيض حملتهم العسكرية الا على ضوء نتائج الاتفاقية التي ستتم •

وكان موت سعد زغلول في ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ ، صدمة كبــيرة للسياسة المصرية •• فقد كان موت الزعيم العنيد الذي ناضل من اجل الاستقلال بعد الحرب العالمية الاولى ، خسارة حقيقية وكبيرة للقضيــة لا يختلف فيها المؤيدون والمعارضون •• وخسر البرلمان واحدا من افصح خطباؤه ، ومحاربا من اجل حقوقه •• وفقد الوفد محقــق وجوده •• بينما خسر الشعب مثلا اعلا •

لم تتقدم المباحثات بــين سير اوستن تشمبرلين وبــين ثروت باشا تقدما يذكر ، حتى بعد موت سعد زغلول •• فبالرغم من المكاسب التي

تضمنتها المباحثات لصالح مصر •• مثل وعد الانجليز باعادة النظر في امتيازات القوى الاجنبية والكبيرة في مصر •• فلم يكن ثروت واثقا من ان البرلمان سيوافق على طلبات الانجليز الاخرى ، التي تهدف الى تأكيد سيطرة الانجليز في مصر ، خصوصا في الاشراف على الجيش المصري ، وفي حماية مصر بالقوات الانجليزية ، واستمـرار المستشارون الانجليز بوزارات المالية والعدل في مناصبهم •

واستقال ثروت في مارس ١٩٢٨ ، وخلفـه نائب سعد زغلـول السابق وخليفته المنتخب مصطفى النحاس •• ولم تستمر هذه الحكومة طويلا•• فقد تبودلت مذكرات حادة بين الحكومـة الوفدية « وهوايت هول » انتهت بان امر الملك فؤاد بتعطيل البرلمان ثلاث سنوات •

وقام بتنفيذ كل هذه الاجـراءات غير الدستوريـة حكومة مـن الاحرار الدستوريين •• مما اثـار سخط الوفد والحزب الوطنـي في معسكر ممتلىء بالغضب الشعبي ، ضد الانجليـز الذين يقفون ضد الدستور •• ووجهت حملة ضارية في الصحف والاجتماعـات الحزبية والشعبية ضد العسف الانجليزي في مصر •

ولاحظ الحزبين ان وقوفهما صامتين اجراء سلبي ، قد يجرفهما الى زوايا النسيان او انفضاض الجماهير من حولهمـا •• وتقرر ان تعـاد التجربة التي نجحت منذ ثلاث سنوات ، عندما اجتمع البرلمان من نفسه •• وفي هذه المرة كانت الدعوة للمجلسين لها اساس دستوري قوي ، بناء على قرارهم بالاجتماع بعد شهر يوم تعطل المجلس •• وكان الاجتماع في احد البيوت •• وكان الطريق الى مكـان الاجتماع غاصا بالجيش والبوليس •• واعترض المجتمعـــون على قرار تعطيـل المجلس غـير القانونـي ••

ولان قرار الحل لم يكن شمل مجلس الشيوخ ، فقد اعتبر نفسه

في دورة ، وهاجم اعتداء الحكومة على الدستور ، وحذرها من ان كل ما تصدر من قوانين ، او تعقده من اتفاقيات لا تستند الى دستور او قانون •• ولم يشر الاجتماع الى حكومة محمد محمود الذي كان قـد تولى الحكم بعد انقلاب مدبر ••

واقفلت الجرائـد المعارضة ، ومنعـت حريـة الخطابة ، ومنـع الرسميون في الحكومة من كتابة موضوعـات في الجرائـد او ارسال خطابات ، وحذر الطلبة من الاضـراب •• ولتخديـر الشعب قامـت الحكومة ببعض الاصلاحات فاقامت مستشفيات ، وجففت برك ، وغيره من الموضوعات السطحيـة ••

ولكن هذه الاجراءات على كـل حال ، لم تمنع البرلمان مـن ان يجتمع مرة اخرى من نفسه في نوفمبـر ١٩٢٨ ، ويعلن عدم ثقتـه في الحكومة •• ومع ان الحكومة منعت نشر اخبار هذا الاجتماع ، الا انها انتشرت على اوسع مدى •

عندما سقطت حكومة المحافظين بـ انتخابـات ١٩٢٩ ، استدعى لورد لويد المعتمد البريطاني في القاهرة ، ليعود الى انجلترا •• واقترح ارثر هندرسون وزير الخارجية البريطاني الجديد على مصـر عقد اتفاق ينهي المشاكل المعلقة بين البلدين •• والاتفاق المقترح الجديد كان ينص على انهاء الاحتلال ، مع ابقاء قوة عسكرية في منطقة القنال •• وعلى ان تساعد الحكومة الانجليزيـة مصر في الغاء الامتيازات الاجنبيـة ، وان تنضم الى عصبة الامم •• ولانـه كان من المفهوم ان موافقة البرلمـان وحدها ، هي التي تجعل من هذا الاتفاق معاهدة قانونية ، فقد استقالت الحكومة وعقدت الانتخابات في اواخر ١٩٢٩ •

وقاطع الاحرار الدستوريون هذه الانتخابات ، ونال فيها الوفـد اغلبية ساحقة في البرلمان ، وتكونت حكومـة وفديـة خالصة برئاسة

مصطفى النحاس في بداية ١٩٣٠ . واجتمع البرلمان مرة اخرى بعد غيبة .. واهم ما اصدره هذا البرلمان هو دمغة الدفاع ، لزيادة الدخل في مصر وتشجيع الصناعة المحلية .. اما مشروع انشاء بنك التسليف الزراعي ، فقد وضع هذا البرلمان مشروع قانونه ، ولكن الحكومة استقالت قبل ان توقعه .. ونسبت استقالة الحكومة الى الخلافات بين النحاس والملك فؤاد من جهة ، ثم فشل المحادثات بين النحاس وهندرسون من ناحية اخرى .. وكانت السودان هي الحجرة العثرة في المباحثات هذه المرة .

ورأس الحكومة الجديدة اسماعيل صدقي .. واحد من رجال زيور في حكومة الانقلاب والتآمر عام ١٩٢٥ .. وكون اسماعيل حكومته من رجال حزب الاتحاد المطوي في زوايا النسيان .. وكون الائتان حزبا غريبا هو « حزب الشعب » .. وقد كون صدقي حزب الشعب الغريب هذا ليعطيه التأييد الشعبي .. ولو شكلا ..

وبدأ الصراع بين الحكومة والبرلمان ، حين اصدرت قرارا بتعطيله لمدة شهر .. وحطم النواب والشيوخ ابواب البرلمان ، وهم يطلبون سماع قرار التعطيل تحت قبة البرلمان .. ثم عقدوا اجتماعا قرروا فيه استمرار الجلسة ، ونقدوا حكومة اسماعيل صدقي بعنف ..

واجتمعت الهيئة البرلمانية الوفدية بعد ذلك مباشرة ، واصدرت بيانا طالبت فيه المصريين بحماية الدستور والامتناع عن كل انواع التعاون مع الحكومة غير الدستورية .. وبدا زعماء الوفد جولات في انحاء البلاد ، وعقدوا مؤتمرات شعبية ، كانت غالبا ما تقاطع باشتباكات دموية مع البوليس والجيش ..

حينئذ عطلت الحكومة البرلمان نهائيا برغم صرخات الاحتجاج التي ارتفعت من كل جانب .. وبعد ثلاثة اشهر ، في ٢٢ اكتوبر ١٩٣٠ فض

البرلمان بمرسوم ملكي يعلن عن دستور جديد ، وقانون انتخابي جديد ..
وكان هذا القرار في حد ذاته اعتداء صارخ على الدستور ، الذي كان يحتم اغلبية ثلثي اعضاء المجلس لتغييره .. مع ان هذه الاغلبية قد اعترضت على قرار الغاؤه وتغيير الدستور الذي وقعه الملك .

وكانت المواد الاساسية في دستور ١٩٣٠ تختلف كثيرا عن سابقه ، كما كانت حقوقه الاساسية واختصاصاته منوعة .. كان دستور ١٩٣٠ الذي لم يتغير لمدة عشر سنوات ، يقيم العقبات في التصويت على عدم الثقة بالحكومة ، ويحدد فترة انتقال طويلة بين فض الدورة البرلمانية ودعوة الاخرى ، ويعطي الهيئة التنفيذية سلطات تشريعية خلال السبعة اشهر اثناء عطلة المجلس .. ووضعت شروط معقدة لمحاولة رفض البرلمان للميزانية .. وزاد عدد الاعضاء المعينين في مجلس الشيوخ من الخمسين الى ثلاثة اخماس — واصبح اصدار القوانين المالية من حق الملك ، ولا يعتبر مشروع القانون قانونا ، الا بموافقة الملك .. ويستطيع الملك ان يجمع البرلمان كلما اراد ، (كان دستور ١٩٢٣ يجبر الملك على دعوة البرلمان اذا طلب ذلك اغلبية الثلثين من كلا المجلسين) . وتغير قانون المجلس ليعطى تابعوا الملك فرصة للنجاح .

وعندما تبين ان المعارضة السلبية للدستور وقانون الانتخاب الجديد ، لم تؤت ثمارا ، قرر الوفد والاحرار الدستوريون التحول الى المقاومة الايجابية .. وبعد ان كانوا بدأوا معارضتهم بالطريق البرلماني ، اتجهوا للجماهير في المؤتمرات والاجتماعات .. وكانت محاولاتهم لعقد الاجتماعات دموية في جميع انحاء البلاد قبل واثناء الانتخابات ..

ومع كل هذا ، اجتمع برلمان ١٩٣١ ليصدر قرارا غريبا — من بين قراراته الغريبة الكثيرة — باعطاء واحة جغبوب لايطاليا.. وتلقفت الاحزاب المعارضة الفرصة ، فانطلقت تثير الجماهير ، وامتلأت الصحف بالدعاية العنيفة .. ووجدت الحكومة في هذا المناخ المضطرب فرصة ذهبية لتزيد

من وطأةقبضتها الحديدية على البلاد•• وخصوصا على الصحافة• وتعثرت الاحوال اكثر بالمصيبة الاقتصادية التي حلت بالبلاد من جراء تدهور سوق القطن في العالم • ولم تتغير الامور بتولي عبد الفتاح يحيى باشا رئاسة الوزارة في نهاية عام ۱۹۳۳ •• ولا عندما تلاه محمـــد توفيق نسيم في عام ١٩٣٤ •

كانت هذه التغيرات والتقلبات حتميـــة لتعطيل دستور ۱۹۲۳ •• ولان الملك شعر بذلك ، فقد اصدر في ٦ نوفمبر ١٩٣٤ مرسوما ملكيـــا بالغاء دستور ۱۹۳۰ ، وتعطيل البرلمان ، وتحويل كل السلطات اليه •• وكان يبدو ان الملك يريد تغيـــير دستور ۱۹۲۳ ، ولكـــن الانجليز سرا وعلنا ضغطوا عليه لاقامة دستور جديد بمجلس منتخب •• واعلن ذلك سـكرتير الشؤون الخارجية صمويل هور في قاعة Guildhall lecture في محاضرة القاها في اوائل نوفمبر ١٩٣٥ • وانفجرت في البلاد موجـــة من الاضرابات واسعة المدى انتهت بعضها بالاصابات البدنية •• وحفزت هذه الاضرابات الشعبية زعماء الاحزاب الخمسة فارسلوا الى الملك التماسا باسم تجمعهم « كجبهـــة وطنية » •• واعيـــد دستور ۱۹۲۳ بمرسوم ملكي في ديسمبر ١٩٣٥ ، وقبل اعلان الانتخابات مات الملك فؤاد في ٢٨ ابريل ١٩٣٦ •

وتمت الانتخابات بسرعة تحت اشراف علي ماهر ، وكون النحاس الوزارة بعد نجاح الوفد في الانتخابات •• وكان اول عمل للحكومة هو توقيع اتفاقية ١٩٣٦ • وتمت المفاوضات في عهد فاروق ، وكانت قـــد بدأت ايام فؤاد • وقد وضعت الاتفاقية على قدم المساواة مع انجلترا ، بالرغم من انها اعطت انجلترا الحق في ان تحتفظ في منطقة القنال بقوة ضارية عسكرية وسلاح الطيران • على ان يزداد عدد هذه القوات في حالة الحرب وحالة الطوارىء العالمية • كما احتفظت انجلترا بحقها في السودان •

وانهت الاتفاقية بنودها بالرغبة المشتركة في التعاون المنظم دائما ..
ولقد ازدادت هذه الرغبة عند التهديد الايطالي بالاعتداء على مصر .

وبصرف النظر عن حقوق انجلترا الواسعة التي احتفظت بها في مصر فالاتفاقية كانت خطوة هامة للاستقلال المصـري او لسلطات المصريـين التي تأكدت بالغاء الامتيازات الاجنبية في مونترو عام ١٩٣٧ ، وكذلك في انضمام مصر عضوا في عصبة الامم بعد ذلك .

ومال حزب الوفد لمركزية قاهرة ظهرت مع تكوين القمصان الزرق من التنظيمات الشبابية لحماية الشباب الوفدي من الوقوع تحت تأثير الاحزاب الاخرى .. ثم تحول الى شكل سياسي يتبع الوفد وتفشت العصبيات والمحسوبيات في الحزب ، فطرد محمود فهمي النقراشي واحمد النقراشي واحمد ماهر من الحزب ليكونا الحزب السعدي مع مجموعة صغيرة من الوفديين السابقين .. وبالرغم من ان هـذا الخلاف قـام اساسا على نـوازع شخصيـة ، فان الحـزب الجديـد اعطى بعض الاهتمامـات الاقتصادية .. وعندما عطل البرلمان او عقدت انتخابات ١٩٣٨ ، لحقت بالوفد الهزيمة لتزييف الانتخابات .. ولدرجة ما بتأثير السخط عليه .. ولاول مرة منذ انتخابات ١٩٢٤ ـ باستثنـاء مقاطعة الانتخابات ـ لـم يكن للوفد اغلبية في مجلس النواب .. فلقد اصبح للوفـد معارضين لشخصه ـ بصرف النظر عن تنظيم القمصان الزرق .

واثناء الحرب العالميـة الثانيـة طلب الانجليـز اعلان الاحكـام العسكرية استنادا الى معاهدة ١٩٣٦ .... ووضعـت الرقابـة على الصحف والسينما والاذاعة والخطابات الخاصة ، ووافق عليها البرلمـان في جلسة خاصة ... ولو ان الحرب كانت دائرة الا ان نشاط البرلمـان كان محدودا في المسائل الداخلية .. وابـدت بعض الاحزاب نشاطـا بالنسبة لما قبل الحرب ، تهربا من الاحكام العسكرية ، ولتحديد الخلافات القديمة بينهم .

وهكذا •• ففي عام ١٩٤٠ ارسل الوفد مذكرة قوية الى انجلترا ، يطلب فيها جلاء القوات البريطانية ، واعادة المباحثات السودانية فور انتهاء الحرب •• وبصرف النظر عن هذه المذكرة ، فان الانجليز كانوا يعتبرون الوفد الحزب الاقوى في مصر ، والذي لا يؤيد الالمان • وقد هيأ الانجليز الفرصة ليرأس النحاس باشا وزارة وفدية يكرهها الملك بان اجبروه بمحاصرة القصر بالدبابات في ٤ فبراير ١٩٤٢ •• وقاوم الملك فاروق في اول الامر ، ثم رضخ دون ان ينسى ذلك للانجليز •

من المميزات التي لا تنسى لهذه الحكومة الوفدية حقيقة . هو انها عطت اهتماما كبيرا للتعليم ، فاصدرت قانون التعليم المجاني الاول في عام ١٩٤٢ • كذلك اهتمت بتكوين الجامعة العربية ، وتشجيع التعاون المصري • وقد رفعت هذه الاعمال من رصيد الوفد في هذه الفترة ، وكان قد هبط قليلا بخروج سكرتيره مكرم عبيد الذي انشأ حزب الكتلة الوفدية ضد الانجليز والوفد ••

وفي نهاية عام ١٩٤٤ • عندما تحركت الحرب بعيدا عن مصر ، طرد الملك فاروق النحاس باشا وعزل الوفد بعيدا عن مشاكل الشعب لعدة سنين •

كانت الحالة في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ذكرى لاشكال كثيرة من مثيلتها في عام ١٩١٩ •• فالعدو الاكبر كان هو انجلترا •• وكان الجو ناضجا كما يبدو للاضرابات عامة ، واعمال العنف مرة اخرى •• وحقيقة ان مصر في هذه المرة كان عندها ملك ، وبرلمان ، وحكومة منها مع تمثيل نيابي ، ولهذا فان الصراع كان في الحصول على امتيازات سياسية ••

وبالفعل •• فبعد قليل بدأت المظاهرات الدموية ضد الانجليز كرد فعل لمباحثات صدقي بيفن في عام ١٩٤٦ •• وقد اتفقت المباحثات على

نقاط رئيسية بدلا من معاهدة ١٩٣٦ ، بوضع معاهدة تحالف عسكرية لمدة عشرين سنة بين البلدين .. ومعاهدة مشتركة لا تفقد اثرها تحالف آخر مع اعداء احدى الدولتين ، او لتغيير الوضع في السودان . حتى يصل الطرفان الى اتفاق جديد .

واجبرت الضجة الحكومة على رفض الاتفاق المقترح والاستقالة .. ولكن السخط والشك الشعبي العام . وصل الى مداه في السنوات التالية بارتكاب الجرائم واعمال العنف .. وزاد التوتر بالفشل في حرب فلسطين ... حتى مشاهدة الجيوش كعملية مظهرية ، لم تخفف من سخط الاهالي تحت وطأة ارتفاع الاسعار الذي جعل الفقراء اكثر فقرا .

واستغل الوفد هذا السخط في انتخابات يناير ١٩٥٠ ، ونال اغلبية في البرلمان .. وارتفعت المناظرات حول جلاء القوات البريطانية والوحدة مع السودان ، لان الشعب كان يتوقع ان يفي الحزب بوعوده . ولان حكومة الوفد لم تكن تستطيع شيئا في بدء عملها الجديد فقد بدأت بالطرق الدبلوماسية بينما فتح الباب للعنف .. وفي يناير ١٩٥٢ اعلن النحاس الغاء معاهدة ١٩٣٦ من جانب واحد على حين انطلق الفدائيون من الطلبة ورجال البوليس يهاجمون القوات البريطانية في قاعدة السويس ..

واحترقت القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. وعاد فاروق يطرد النحاس ويعلن الاحكام العرفية .. ويتوالى رجال الاحزاب الصغيرة على رئاسة الوزارة .. ولكن دون ان تجرؤ هذه الاحزاب على حل البرلمان هذه المرة .. وربما لان الوفد نفسه وهو صاحب الاغلبية لم يكن في خطته ازعاج هذه الوزارات الصغيرة لغرض في نفسه ..

ولكن هذا الغرض لم يتحقق .. لان الثورة قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

حواشي

١ ـ عبد الرحمن الرافعي . تاريخ الثورة القومية . الجزء الثالث

٢ ـ

Deny «Sommaire des archives turque du Caire» pp. 33-43. Contrast Elgood «The transit of Egypt» p. 138.

٣ ـ

Cf. F.O. 78/628 Barnetts No. 18, to Aberdeen, dated Alex May 8, 1845.

٤ ـ

Quoted by Douin «Histoire de rigne du Kedive Ismail» Vol 1, p. 294

٥ ـ

Galad «Enstehung und Entwicklung der Togespresse in Agypten» p. 53.

٦ ـ

Douin op. cit., Vol. 1, p. 296; Mc Coan «Egypt under Ismail» pp. 42-43.

٧ ـ الرافعي « عصر اسماعيل » . جزء ٢ ص ٩٢ ـ ٩٥ . محمد صبري « اتراك مصر » ص ١٤٩ ـ ١٥٠

Zananire «Le Khedive Ismail» p. 65.

٨ ـ النص الكامل لقانون « حدود مصر وانظمة مجلس شورى النواب المصري » نص اللائحة لمحمود حسن .

op. cit., pp. 121-125.

٩ ـ للنص الكامل انظر الرافعي « عصر اسماعيل » الجزء الثاني ص ١٠٠ ـ الهلال الجزء ١٠١ نوفمبر ١٩١٣ ص ٨٨

١٠ ـ نفس المصدر الجزء الثاني ص ١٠٠ ـ ١٠١

١١ ـ تاريخ السلطات النيابية . الهلال . الجزء ١٠١٨ يناير ١٩١٠ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ . نفس المصدر عدد نوفمبر ١٩١٣ ص ٨٧ ـ ٨٨ . عصر اسماعيل جزء ٢ للرافعي ص ٤٠٤

Douin, op. cit., Vol. 1, pp. 304, 312, 313.

١٢ ـ « عصر اسماعيل للرافعي » جزء ٢ ص ١٠٤ ـ ١١٣
Sammarco, op. cit., pp. 140-141.

١٣ ـ

Cromer «Modern Egypt» Vol. 1, p. 68. Mc Coan, op. cit., pp. 42-49, bioves, « Français et Anglais en Egypte » 1881-1882», p. 7. S. Chonsky «Croquis Egyptiens», p. 87. Stephan, «Amin Osman». Le mouvement constitutional en Egypte, p. 47 Hervi, «L'Egypte». p. 185.

١٤ ـ رفاعة رافع « مناهج الادب » ص ٢١٥ . فقرته المنشورة في الهلال ١ يوليو ١٩٣٦ ص ٩٨٩ ـ ٩٩٠

١٥ ـ الرافعي . « عصر اسماعيل » . الجزء الثاني

١٦ ـ نفس المصدر

١٧ ـ

See Mc Coan «Egypt as it is» pp. 124-135

١٨ ـ

F.O. 78/2042 Reades' Despatch No. 17, to Stanly, dated Cairo, June 17, 1868 and Enc.

١٩ ـ الرافعي . نفس المصدر جزء ٢ ص ١١٦ ـ ١٢٢.
Sammarco op. cit. Vol. 2, pp. 128-138

٢٠ ـ

Cf. Douin, ibid. Vol. II, p. 136. See also Luttke's sarcasm at this speach in his op. cit. Vol. II, pp. 94-95.

٢١ ـ عصر اسماعيل للرافعي جزء ٢ ص ١٢٧ ـ ١٢٩

٢٢ ـ

F.O. 78/2186, the beginning of Moore's No, 3,6 Granville dated Alex, June 20, 1871.

٢٣ ـ

F.O. 78/2139, Santon's No. 19, to Clarandon, dated Cairo, Feb. 4, 1870.

٢٤ ـ

Ibid. Luttke, op. cit. Vol. 11, pp. 52-53. Brehier «L'Egypte de 1798 a 1900».

٢٥ ـ الرافعي . عصر اسماعيل . جزء ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤٥

٢٦ ـ

On this form taxation, See Mc Coan «Egypt as it is», pp. 125, 55

٢٧ ـ الرافعي نفس المصدر

Itani, «Les déclarations des droits de l'homme dans les constitutions récente de l'orient moyen», pp. 107-108.

٢٨ ــ الرافعي . نفس المصدر . معارض ص ١٧٩ ــ ١٨٠

٢٩ ــ
Mc Coan, Ibid, pp. 121, 141. Cromer, op. cit., Vol. 1, pp. 13-14.

٣٠ ــ
F.O. 78/2632, Passim, esp. Enc. in Vivian's Pol. No. 115, to Derby, Cairo, May 4, 1877. Mc Coan «Egypt as it is» pp. 117-118.

٣١ ــ الرافعي . نفس المصدر . ص ١٩٢ ــ ١٩٥

٣٢ ــ
Vivians to Salisbury

٣٣ ــ الرافعي نفس المصدر ص ١٩٠ ــ ١٩١

٣٤ ــ
Saby, «Episode de la question d'Afrique» p. 341. Awad «La souveraineté Egyptienne»

٣٥ ــ الرافعي . نفس المصدر ص ١٩٢ ــ ١٩٥

٣٦ ــ الرافعي . نفس المصدر ص ١٨٥ ــ ١٩٨

٣٧ ــ نفس المصدر ٢٠٣ ــ ٢١٤
Saleh, «Les pouvoirs du roi» pp. 99-102

٣٨ ــ الرافعي . نفس المصدر . محمد حسنين هيكل « تراجم مصرية وغربية » ص ٧٥ ــ ٧٦

٣٩ ــ النص في اهرام ١٢ يونيو ١٨٩٧

٤٠
Vivian's to Salesbury, Cairo, Jan, 11, 1973. F.O.

٤١ ــ الرافعي . الثورة العرابية ص ١٧١ ــ ١٧٢ . والهلال عدد يناير ١٩١٠ ص ٢٠٦

٤٢ ــ
Shamay «An Egyptian Openion», p. 10.

٤٣ ــ تاريخ السلطة التشريعية . هلال نوفمبر ١٩١٠ ص ٨٨ ــ ٨٩

٤٤ ــ نفس المصدر

٤٥ ــ « تراجم » جورجي زيدان جزء ١ ص ٢٧٠ ــ ٢٧٤
Rothstin, «Egypt's ruin», pp. 142-143.

٤٦ ــ « كشف الستار عن تاريخ عرابي » جزء ١ ص ٢٧٥
Sadek, «La constitution de l'Egypte», pp. 53.

٤٧ ــ
1. Adam, «L'Angleterre en Egypte», p. 53. Jerrald, «The Belgium of the East» pp. 114-143.
Scotidis, «L'Egypte contemporaine et Anabi Poch» p. 39.

٤٨ ـ
Jerrald, op. cit., pp. 142-143. Diccy, op. cit. Nin. Gem. Vol. XII, 1882, p. 168.

٤٩ ـ الرافعي . الثورة العرابية . هلال . احمد عرابي والثورة العرابية . اكتوبر ١٩١١ ص ٣٥

٥٠ ـ الفريق جزء ١ ص ٩٦ ـ ٩٧ .
Affaires étrangères. Documents diplomatiques. Affaires d'Egypte 1881-1882.
جورجي زيدان . تاريخ مصر الحديث . جزء ٢ ص ٢٤٧

٥١ ـ الوقائع المصرية ٢٧ ديسمبر ١٨٨١ . الرافعي «الثورة العرابية»

٥٢ ـ الرافعي . نفس المصدر

٥٣ ـ الوقائع المصرية ٣١ ديسمبر ١٨٨١ .
Cromer, op. cit., Vol. 1, p. 224

٥٤ ـ المقتطف . ابريل ١٩٠٨ ص ٢٧٧ بعنوان الثورات الثلاث
Ninet, «Arabi Pasha»

٥٥ ـ الرافعي . الثورة العرابية ص ١٧٨ ـ ١٧٩
Boives, op. cit., p. 45

٥٦ ـ الوقائع المصرية ١٢ ديسمبر ١٨٨١ حتى فبراير ١٨٨٢
Blunt, «Secret history» Vol. 1, pp. 192, 55

٥٧ ـ نفس المصدر

٥٨ ـ خطاب البارودي في الوقائع المصرية ١٢ فبراير ١٨٨٢

٥٩ ـ الوقائع المصرية من ٢ فبراير الى مارس ١٨٨٢

٦٠ ـ
Malits to Granville, Cairo, Dec. 26, 1881. Biove's, op. cit. p. 45

٦١ ـ الوقائع المصرية ٢٢ فبراير الى ٢٠ ابريل ١٨٨٢ . زيدان ، تاريخ مصر الحديث جزء ٢ ص ٢٤٥ ـ ٢٥٢

٦٢ ـ
Adam, op. cit., p. 53; Brechier, op. cit., p. 206. Van Bemmlen, «L'Egypte et Europe» Vol. 2. p. 285

٦٣ ـ
Le Monetier Egyptien, Mars 26-27, 1882

٦٤ ـ نفس المصدر

٦٥ ـ
Cf. Anon, «L'Egypte nouvelle, le contrôle europien et le régime parlementaire», p. 51

٦٦ –
An English resident in Egypt, «Egypt and constitutional rule» Con. Rev, Vol. XLI, 1882, p. 542

٦٧ –
Colvin, «Memorandum on Egyptian Chamber», dated Cairo, Oct, 29, 1882

٦٨ ـ الياس زاخورا « كتاب مرآة العصر » ص ١٢٥ وما بعدها
Ninet, op. cit, pp. 26. 27. 1.

٦٩ ـ الوقائع المصرية ٤ يناير ١٨٨٢

٧٠ ـ الرافعي « الثورة العرابية » ص ١٨٨ ـ ١٩٠

٧١ –
Van Bemmelen, op. cit., Vol. 11, pp. 263-264

٧٢ –
Rothstein, op. cit., pp. 144-145

٧٣ ـ الرافعي . الثورة العرابية ص ١٨٧ ـ ١٨٨

٧٤ ـ الوقائع المصرية . ٩ فبراير ١٨٨٢

٧٥ –
Jerrald, op. cit., 147-149, B. Cunt, «Secret history«, Vol. 1, App. VI, pp. 561-570

٧٦ –
Van Bemmelen, op. cit., Vol. II, p. 285.

٧٧ ـ لاسماء الاعضاء كاملة في خلال اعوام ١٨٦٦ ـ ١٨٧٩ انظر الرافعي « عصر اسماعيل » الجزء ٢ الفصل ١٣ . ولاسماء اعضاء ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ انظر « الثورة العرابية » ص ١٧٥ ـ ١٧٨

٧٨ ـ النص الكامل في « مصر والسودان » لعبد الرحمن الرافعي ص ٢١٧ ـ ٢٣٨ . والفريق جزء ٣ ص ١٥٠ ـ ١٨٢

٧٩ –
Hartslet, «British and foreign state papers, 1882-3. On Lord Dufferin's project see colvin
«The makiny modern Egypt» pp. 38.55. Anos, «The new Egyptien constitution», Con. Rev., Vol. XLIII, June 1883, p. 920, pp. 909-922

٨٠ ـ السيد صبري
«La pouvoir Cegislatife»

٨١ –
Cromer, «The situation in Egypt», pp. 22,55. Colvin, «The making of modern Egypt», pp. 44-45.

Milner, «England in Egypt» pp. 308,55. Symous, «The ridder of Egypt», pp. 85-86.

٨٢ —

Cromer, «The situation in Egypt», pp. 22,55. Alexander, «The truth about Egypt», pp. 88-90.

٨٣ —

On the above provincial counsilo see W.H. Mc Lean, «Local government and town development in Egypt», repr. from the Town Planning Review, Apr. 1917.

٨٤ — « اسئلة واجوبة حول الجمعية العمومية » هلال يوليو ١٩٠٧ ص ٥٦٧ — ٥٦٨

٨٥ — للحصول على الاسماء الكاملة انظر « رؤساء مجلس شورى القوانين » هلال اكتوبر ١٩١٣ ص ٨٠ . « وتاريخ السلطة التشريعية » هلال نوفمبر ١٩١٣

٨٦ — «Moniteur Egyptian» السنة العاشرة ٢٤ اكتوبر ١٨٨٣ . العدد ١٩٧ و ٤ سبتمبر ١٨٨٣

٨٧ — «Moniteur Egyptian» ٢٤ نوفمبر ١٨٨٣ . ولاسماء اول مجلس انظر الرافعي « مصر والسودان » ص ٥١ — ٥٢ . ولاسماء الذين عادوا في عام ١٨٨٩ . انظر نفس المصدر ص ٥٥

٨٨ — الرافعي « مصطفى كامل » ص ٣٤٧

٨٩ — الجريدة الرسمية ٥ يناير ١٨٨٩

٩٠ — الجريدة الرسمية ١٦ يناير ١٨٨٩

٩١ — الجريدة الرسمية ١٨ فبراير ١٨٩١

٩٢ — الجريدة الرسمية ٢ يناير ١٨٩٣

٩٣ — المقتطف عدد يناير ١٨٩٥ ص ٧٨

٩٤ — الجريدة الرسمية ٣١ ديسمبر ١٨٩٤

٩٥ — الرافعي « مصطفى كامل » ص ٣٤٧ — ٣٥١

٩٦ — الرافعي . نفس المصدر ص ٣٤٩ — ٣٥٠

٩٧ — المقتطف عدد ديسمبر ١٩٠٥ ص ٩٨٥ — ٩٨٧ « الشيخ محمد عبده » بقلم حسن عبد الرازق

٩٨ — « الشيخ محمد عبده » لعثمان امين مقتطف ديسمبر ١٩٠٥

٩٩ — نفس المصدر

١٠٠ — الجريدة الرسمية عدد ١٢ يناير ١٨٩٩

١٠١ — الرافعي . « مصطفى كامل » ص ٣٥٢

١٠٢ ــ طبع في استنبول كتيب باللغات التركية والعربية والحبشية والاردية (٦ صفحات و ٦ صور) ووزع في مصــر بعنــوان « خلاصــة واقعة دنشواى » . « الدهر دنشواى » لمحمد طاهر خاكي ١٩٠٧ . ونشر في عدد مايو ١٩٠٨ من الهلال انه قد صدر كتاب بعنوان « حادثة دنشواى » (١٦٠ صفحة مصورة) .

١٠٣

Alexander, op., cit., p. 91.

١٠٤

Cromer, «The situation in Egypt», 25, Saleh, op. cit., pp. 179-180. Fyfe «The new Spirit in Egypt», p. 130.

١٠٥ ــ

Alexander, op. cit., pp. 252-256.

١٠٦ ــ عن حياة بطرس غالي انظر « بطرس غالي » الهلال عــدد مارس ١٩١٠ ص ٣٦٩ ــ ٣٧٧ . وعن المحاكمة انظر « المقتطف من تاريخ مصر » لانور احمد بالمصور عدد ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ ص ٣٠ ــ ٣١ ــ ٣٤ .

١٠٧ ــ «الســلطة النيابية في الحكومة المصرية ومسألة قناة السويس» الهلال عدد مايو ١٩١٠ . و « حوليات مصر السياسية » لاحمد شفيــق جزء ١ ص ٣٥

Amos, «England and Egypt»

١٠٨ ــ «News from Egypt» نشرة بقلم بلنت الجزء ١ ، ٣١ مايو ١٩١١ ص ٢١

١٠٩ ــ النص الكامل في « هلال » ابريل ١٩١٢ ص ٤٣٤ ــ ٤٣٦

١١٠ ــ «News from Egypt» جزء ٢ ابريل ١٩١٢

١١١ ــ «News from Egypt» جزء ٤ مارس ١٩١٣

١١٢ ــ Elgood, «The transit of Egypt», p. 193

١١٣ Elgood, «The transit of Egypt», p. 206

١١٤

Lloyed, «Egypt since Cromer», Vol. 1, pp. 139-142. Newman, Great Britain in Egypt», pp. 174-175. Worsfold, «The future of Egypt» pp. 128-140.

عباس العقاد . سعد زغلول . ص ١٥١ وما بعدها .

١١٥ ــ

Moselay, «With Kitchener in Cairo», p. 68

١١٦ ــ

Worsfold, op. cit., p. 199

١١٧ –
Lloyd, op. cit., Vol. 1, p. 142.
١١٨ –
Moseley, op., cit., p. 92
١١٩ – « الجمعية التشريعيــة » في مقتطـف فبرايــر ١٩١٤ ص ١٧٣ – ١٧٥
١٢٠ – « التمثيل العربي » لابراهيم رمزي ، هلال ابريــل ١٩١٤ « وكلمات مختارة لسعد زغلول باشا » ، هلال مايو ١٩٢١
١٢١ – نفس المصدر
١٢٢ – « سعد زغلول » لعباس محمود العقاد . ص ٩٤ وما بعدها
١٢٣ –
Worsfold, op. cit., p. 92-93
١٢٤ – الهلال . نوفمبر ١٩١٤ ص ١٦٦
١٢٥ – الهلال عدد مايو ١٩١٥ ص ٦٩٨
١٢٦ – « ثورة سنة ١٩١٩ » لعبد الرحمن الرافعي جزء ١ ص ٢٧
١٢٧ – « تصريح ٢٨ فبراير » بقلم كريم ثابت . هلال فبراير ص ٥٠٤ – ٥٠٧
٢٨ –
Newman, op. cit., App. 1, p. 292
١٢٩ – المقتطف عدد مايو ١٩٢٨ ص ٤٩٧ – ٥٠٣
١٣٠ – للحصول على اسماء اعضاء اللجنة انظر « تطورات الحكـم النيابي في مصر » في هلال اغسطس ١٩٢٨ ص ١٢٤٣ – ١٢٤٤
١٣١ – « أدب وتاريخ » لمحمد صبري في اهرام ١٨ أكتوبر ١٩٢٢ « وحوليات » احمد شفيق .
١٣٢ – حوليات احمد شفيق
١٣٣ – حوليات احمد شفيق جزء ٣ – تمهيد
١٣٤ – نفس المصدر
١٣٥ – « دستور المملكة المصرية » هلال مايو ١٩٢٣ ص ٤٨٩
١٣٦ – « السياسة المصرية والانقلاب الدستوري » لمحمد حسنين هيكل ومحمد عبد القادر المازني ومحمد عبدالله عنان
١٣٧ – نفس المصدر
١٣٨ – الرافعي « في اعقاب الثورة » جزء ١ ص ٣١٠ – ٣٢٧
١٣٩ – نص دستور ١٩٢٣ في مقتطف مايو ١٩٢٣ ص ٤٩٦ – ٥١٧

١٤٠ ـ عثمان امين . المصدر السابق

١٤١

Dutcher, «The political awaking of the east»

١٤١

Dutcher, op. cit., pp. 44-45

١٤٢ ـ زكي فهمي . « صفوة العصر في تاريـخ ورسوم مشاهـير رجال مصـر »

١٤٣ ـ السيد صبري . المصدر السابق

١٤٤ ـ

Alexander, op. cit., pp. 149-151

١٤٥ ـ

Tweedy, O., «Saad Pasha Zaghloul» 1927

١٤٦ ـ

Tweedy, op. cit., pp. 101-105.

١٤٧ ـ محمد عبده . هلال اغسطس ١٩٠٥

١٤٨ ـ نفس المصدر

١٤٩ ـ احمد شفيق « الحوليات الاولى » جزء ١ ص ٣ وما بعدها

١٥٠ ـ احمد شفيق « الحوليات الاولى » جزء ١ ص ٥ وما بعدها

١٥١ ـ عباس العقاد « سعد زغلول » .

١٥٣ ـ مقتطف مارس ١٩٢٤ « وزارة الامن ورئيسها » .

١٥٤ ـ « افتتاحية العهـد الدستوري » هـلال مارس ١٩٢٤ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٦ »

١٥٥ ـ نفس المصدر

١٥٦ ـ شفيق ومقتطف وهلال ابريـل ١٩٢٤ . نص الخطـاب . والياس كوستاكي « تاريخ تكوين الصحف المصرية » ص ١٨٧

١٥٧

Cf. Kohn, «Nationalism and imperialism», p. 86.

١٥٨ ـ شفيق . الحوليات الاولى جزء ١ ص ١٥٢ ـ ١٣١

١٥٩ ـ

Kohn, op. cit., p. 75.

١٦٠ ـ

Newman, op. cit., App. 1, p. 124.

١٦١ ـ شفيق . المصدر السابق

١٦٢ ـ

Lloyed, op. cit., Vol. 11, pp. 94-101.

١٦٣ ـ للاجتماع السري . انظر العقاد المصدر السابق . وشفيق في الحوليات الاولى

١٦٤ ـ السيد صبري . المصدر السابق وشفيق في الحوليات . و « الوضع في مصر » لايجود Elgood

١٦٥ ـ
Kohn, «Nationalism and imperialism»

١٦٦ ـ بسيم يوسف « مصر المستقلة » .

١٦٧ ـ
Abbas Hilmi 11, «A few words on the Anglo-Egyptian settlment», p. 87.

١٦٨ ـ
Mc Callum, «The Near East», p. 7.

١٦٩ ـ
Tweedy, «Saad Zaghloul»

١٧٠ ـ ابراهيم مدكور ومريت غالي « نظام جديد وحياة جديدة »

١٧١ ـ
Alexander, «The truth about Egypt», p. 2.

١٧٢ ـ نفس المصدر

١٧٣ ـ نفس المصدر

١٧٤ ـ نفس المصدر

١٧٥ ـ جورجي زيدان « تراجم » الجزء ١ ص ٢٣٢

١٧٦ ـ « سؤال وجواب عن الجمعيات في الاسلام » هلال ابريل ١٩١٨ ص ٦٠٥

١٧٧ ـ نفس المصدر

١٧٨ ـ نفس المصدر

١٧٩ ـ وعاش نينت في مصر منذ ١٨٥٦ .
Ninet, «The origin of the national party in Egypt», Vol. XIII, 1883, p. 126

١٨٠ ـ نفس المصدر

١٨١ ـ « احمد عرابي والثورة العرابية » هلال اكتوبر ١٩١١ ص ٢٨

١٨٢ ـ نفس المصدر

١٨٣ ـ « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر ١٨٩٦ ص ٤٥ ـ ٤٦ . والياس زاخورا المصدر السابق . نجيب مخلوف « نوبار وما تم على يديه » ص ١٤٠ ـ ١٤١ .
Newman, «Great Britain in Egypt», pp. 38, 39.

١٨٤ ـ « كشف الستار » من مذكرات عرابـي . جورجي زيـدان « تراجم » . محمد فهمي المهندس « ابو الصغـير » . المصدر السابـق لمحمود صبري « محمود سامي البـارودي » لمحمود صبـري في « أدب وتاريخ » .

١٨٥ ـ جورجي زيدان « تراجم » جزء ١ ص ٢٤١

١٨٦ ـ بدأ حليم تعليمه في فرنسا حوالي ١٨٤٥

١٨٧ ـ عن الخلافـات الاولى بـين حليم واسماعيل ، اقرأ دويـن المصدر السابق جزء ١ الفصل ٧

١٨٨ ـ نفس المصدر السابق

١٨٩ ـ المصدر السابق

١٩٠ ـ المصدر السابق

١٩١ ـ جورجي زيدان « تاريخ مصر الحديث » جزء ٢ ص ٢٤٦

١٩٢ ـ البرنس حليم باشا . هلال يونيو ١٨٩٤

١٩٣ ـ

Jerrald, «Egypt under Ismail Pasha».

١٩٤ ـ نفس المصادر السابقة

١٩٥ ـ نفس المصدر

١٩٦ ـ نفس المصدر

١٩٧ ـ نفس المصدر

١٩٨ ـ نفس المصدر

١٩٩ ـ جورجي زيدان « تاريخ الماسونية العـام » . ص ٢٠٢ ـ ٢١٣ ـ ٢١٧

Gould, «The history of free masoney»

٢٠٠ ـ « السيد جمال الدين الافغانـي » هـلال مارس وابريـل ١٨٩٧ . و « الافغاني » مجلة الشبان المسلمين فبراير ١٩٣٠ لعبد الرشيد ابراهيم . « وجمال الديـن الافغاني » مجلة الكتاب عدد مـارس ١٩٤٦ . والامة الاسلامية لمحمد عبده .

٢٠١ ـ الرافعي . عصر اسماعيل جزء ٢ . زيدان « تراجم » جزء ٢

٢٠٢ نفس المصدر

٢٠٣ ـ لاثر الافغاني على اديب اسحاق . انظر « تراجم » لزيدان . « اديب بك اسحاق » هـلال أغسطس ١٨٩٦ . محمد صبري « تاريـخ مصر الحديث » . محمد عبدالله عنان « الصحافة في عصر اسماعيل » . اديب اسحاق مجلة الكتاب فبراير ١٩٤٨ .

٢٠٤ ـ الرافعي « عصر اسماعيل » جزء ٢ ص ١٦٢
٢٠٥ ـ نفس المصدر
٢٠٦ ـ نفس المصدر
٢٠٧ ـ نفس المصدر
٢٠٨ ـ « محمد عبده » لامين عثمان ص ٣٤ ـ ٣٥
٢٠٩ ـ امين عثمان ، نفس المصدر
٢١٠ ـ نفس المصدر
٢١١ ـ سالم الانهورى في كتاب الرافعي « عصر اسماعيل » جزء ٢
٢١٢ ـ احداث محمد عبده وعرابي في كتاب بلنت « التاريخ السري » جـزء ١
٢١٣ ـ نفس المصدر
٢١٤ ـ نفس المصدر
٢١٥ ـ سؤال وجواب « عن الماسونية ومبرراتها » مقتطف يونيو ١٩٠٠ . « مصطفى كامل » هلال مارس ١٩٠٨ . « الجرائد والمجلات في القطر المصري » نفس المصدر . « الماسونية في البلاد العثمانية » مقتطف فبراير ١٩١٠ .
٢١٦ ـ بلنت « التاريخ السري » جزء ١
٢١٧ ـ نفس المصدر
٢١٨ ـ نفس المصدر
٢١٩ ـ محمد حسنين هيكل « تراجم » . فليني فهمي « مذكرات »
٢٢٠ ـ
Diccy, «The story of Khedivate»
٢٢١ ـ السيد عبدالله النديم هلال فبراير ١٨٩٧ . زيدان « تراجم » . ولنشاط الجمعية المختلفة من الثمانيات في القرن التاسع عشر وما بعدها ، انظر هلال يناير ونوفمبر ١٨٩٣ ، وفبراير وديسمبر ١٨٩٥ ، وديسمبر ١٨٩٧ ، وكان محمد عبده رئيسها من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٥ . عثمان امين المصدر السابق . ولنشاط الجمعية في السنوات الاولى من القرن العشرين ، انظر سلامه موسى القاهرة فيما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ في الكاتب المصري عدد يوليو ١٩٤٦ .
٢٢٠ ـ نفس المصادر
٢٢٣ ـ
«The Arabic press of Egypt», Hartman
٢٢٤ ـ نفس المصدر

٢٢٥ – Ninet, «Arabi Pasha»
٢٢٦ ـ نفس المصدر
٢٢٧ ـ نفس المصدر
٢٢٨ ـ لا يجب الخلط بين هذا الحزب ، والحزب الـذي انشيء بنفس الاسم في بداية القرن العشرين .
٢٢٩ ـ « التجاره » عدد ابريل ١٨٧٩ في كتاب الرافعـي « عصر اسماعيل » الجزء الثاني
٢٣٠ ـ الرافعي « عصر اسماعيل » و « الثورة العرابية »
Ninet, «Arabi Pasha»
٢٣١ ـ الرافعي « عصر اسماعيل » جزء ٢ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١
٢٣٢ –
C. Rivers Wilson, «Chapters from my official life»
٢٣٣ ـ الرافعي « عصر اسماعيل » . .
٢٣٤ ـ الرافعي . نفس المصدر
٢٣٥ ـ نفس المصدر
٢٣٦ –
Ninet, «The origin of national Party in Egypt»
٢٣٧ ـ الرافعي « الثورة العرابية »
٢٣٨ ـ الرافعي . المصدر السابق . بلنت « التاريخ السري »
٢٣٩ ـ بلنت « التاريخ السري »
٢٤٠ ـ نفس المصدر
٢٤١ ـ نفس المصدر
٢٤٢ ـ نفس المصدر
٢٤٣ ـ نفس المصدر
٢٤٤ ـ نفس المصدر
٢٤٥ ـ نفس المصدر
٢٤٦ ـ نفس المصدر
٢٤٧ ـ نفس المصدر
٢٤٨ ـ نشرت بعض اجزاء ثمينة من كتاب « العروه الوثقى للامامين الحكيمين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده » .
٢٤٩ ـ زيدان « تراجم » وعثمان امين « محمد عبده » .
٢٥٠ ـ جريدة الانباء ٩ اغسطس ١٨٨٣
٢٥١ ـ نفس المصدر

٢٥٢ ـ ذكر نينت في كتابه عرابي باشا اسماء اخرى مثل احمد الشايب ، والشيخ محمد عبده

٢٥٣ ـ الرافعي « الثورة العرابية » . « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر ١٨٩٦ . خطاب عرابي لجورج زيدان

٢٥٤ ـ بلنت « التاريخ السري »

٢٥٥ ـ نفس المصدر

٢٥٦ ـ « السيد عبدالله النديم » هلال فبراير ١٨٩٧ . زيدان تاريخ مصر الحديث ، « تراجم » . ابراهيم عبده « تطور »

٢٥٧ ـ محمد رشيد رضا « تاريخ الاستاذ الامام » . سؤال وجواب « لماذا نفي الشيخ محمد عبده » هلال اغسطس ١٩٠٥ . « محمد عبده وشهادته العالمية » لعبد المنعم حموده « محمد عبده » لعثمان امين

٢٥٨ ـ نفس المصادر

٢٥٩ ـ مذكرة « بيمان » « Beaman » حول الخطابات والاعداد الاخرى التي وجدت في بيت عرابي بعد اعتقاله ، انظر بلنت « التاريخ السري »

٢٦٠ ـ نفس المصدر

٢٦١ ـ Cromer, «Modern Egypt», Vol. 1.

٢٦٢ ـ نفس المصدر

٢٦٣ ـ زيدان « تراجم » . « عبدالله النديم » هلال فبراير ١٨٩٧

٢٦٤ ـ نفس المصدر

٢٦٥ ـ محمد رشيد رضا . المصدر السابق جزء ١ . ابراهيم عبده « تطور » ص ١٠٧

٢٦٦ ـ « Beaman » Jerrold, «The Belgium of the east», p. 116.
مصر تحت الاحتلال الانجليزي «Planchut»

٢٦٧ ـ لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الامير توفيق الاول

٢٦٨ ـ نفس المصدر

٢٦٩ ـ نفس المصدر

٢٧٠ ـ نفس المصدر

٢٧١ ـ نفس المصدر

٢٧٢ ـ نفس المصدر

٢٧٣ ـ تاريخ الاحزاب والسياسة هلال ديسمبر ١٩٠٧

٢٧٤ ـ نفس المصدر

٢٧٥ ـ Steevens, «Egypt in 1898»

٢٧٦ ـ نفس المصدر

٢٧٧ ـ نفس المصدر

٢٧٨ ـ « مصطفى كامل والنهضة السياسية » هلال مارس ١٩٠٨ . « مصطفى كامل » للرافعي

٢٧٩ ـ قول هيكل في كتابه « تراجم » ان مصطفى كامل ارسل الى فرنسا بمنحة من الخديوي عباس الثاني لم يتم تأكيده بعد

٢٨٠ ـ نقله الرافعي في كتابه مصطفى كامل عن « المؤيد »

٢٨١ ـ هيكل « تراجم » . خطابات مصرية فرنسية ، بسيم

٢٨٢ ـ نفس المصدر

٢٨٣ ـ من موضوع لسلامه موسى في الكاتب المصري بتاريخ يوليو ١٩٤٦

٢٨٤ « الجرائد في القصر المصري » مجلة الضياء عدد ١ ١٨٩٨

٢٨٥ ـ نفس المصدر

٢٨٦ ـ نفس المصدر

٢٨٧ ـ نفس المصدر

٢٨٨ ـ نفس المصدر

٢٨٩ ـ لا يمكن للانسان ان يتجاهل ـ بالرغم من الافتقار الى الدليل ـ ان مصطفى كامل كان على صلة ببقية الزعماء من جمعية الضباط الذين بقوا في القاهرة . وجمع الضباط في السودان على اختلاف رتبهم ، خصوصا وان فرعا تكون في ام درمان ، كان على اتصال دائم برئاسة الجمعية في القاهرة كما يقول تقرير للكولونيل جاكسون محول من كرومر الى وزارة الخارجية البريطانية . « المؤلف » .

٢٩٠ ـ المصدر السابق

٢٩١ ـ المصدر السابق

٢٩٢ ـ « تاريخ النهضة الصحفية في اللغة العربية » هلال مايو ١٩١٠

٢٩٣ ـ نفس المصدر

٢٩٤ ـ نفس المصدر

٢٩٥ ـ نفس المصدر

٢٩٦ ـ « مصطفى كامل في سنة ١٩٤٨ » لفكري اباظه هلال مايو ١٩١٠

٢٩٧ ــ نفس المصدر
٢٩٨ ــ نفس المصدر
٢٩٩ ــ نفس المصدر
٣٠٠ ــ « الشمس المشرقة » الجزء الاول . مطبعة اللواء
٣٠١ ــ نفس المصدر
٣٠٢ ــ نفس المصدر
٣٠٣ ــ نفس المصدر
٣٠٤ ــ نفس المصدر
٣٠٥ ــ في هذه الواقعة انظر :

Graves, «Britain and Turk», ch. 17.

٣٠٦ ــ نفس المصدر
٣٠٧ ــ نفس المصدر
٣٠٨ ــ محمد وسمير رضا . الجزء ٣
٣٠٩ ــ نفس المصدر . جزء ٢ ص ٨٢ ــ ٨٤
٣١٠ ــ نفس المصدر
٣١١ ــ ذكر التاريخ الحقيقي ٢٧ اكتوبر ١٩٠٧ في بعض خطابات مصطفى كامل ومصادر عربية اخرى . ومن المصادر الاجنبية بروكلمان وآدم
٣١٢ ــ « مصر والسودان اوائل عهد الاحتلال » ، للرافعي . جزء ٢ ص ٩٢ ــ ٩٦
٣١٣ ــ نفس المصدر
٣١٤ ــ نفس المصدر ص ١١٩ ــ ١٢١
٣١٥ ــ نفس المصدر
٣١٦ ــ « تراجم » . محمد حسنين هيكل
٣١٧ ــ نفس المصدر
٣١٨ ــ نفس المصدر
٣١٩ ــ « الوطنية المصرية الجديدة » بلنت
٣٢٠ ــ نفس المصدر
٣٢١ ــ نفس المصدر
٣٢٢ ــ

Adam, «L'Angleterre en Egypt»

٣٢٣ ــ

Ibidi, op. cit., pp. 131-135

٣٢٤ –
op. cit., p. 140
٣٢٥ – موضوع عن « اللواء » في هلال ١٩٠٠
٣٢٦ –
O'Leary, «Islam at the cross roads»
٣٢٧ – القانون الدستوري المصري . للفريق ص ٨٢ وما بعدها
٣٢٨ – نفس المصدر السابق ص ١٠٣ وما بعدها
٣٢٩ – نفس المصدر
٣٣٠ – نفس المصدر
٣٣١ – نفس المصدر
٣٣٢ – لاتجاهات مصطفى كامل نحو فرنسا . انظر ابراهيم عبده « تطور »
٣٣٣ –
Van Bemmlen, «L'Egypte et Europe»
٣٣٤ –
Ibid. op. cit., pp. 84-88.
٣٣٥ – « الشمس المشرقة » طبع دار اللواء
٣٣٦ – نفس المصدر ص ٩٢ – ١٠١
٣٣٧ – نفس المصدر
٣٣٨ – نفس المصدر
٣٣٩ – نفس المصدر
٣٤٠ – « الحركة السياسية في مصر » هلال مايو ١٩١١
٣٤١ – نفس المصدر ص ١٠٤ – ١٠٦
٣٤٢ – نفس المصدر
٣٤٣ – نفس المصدر
٣٤٤ – نفس المصدر
٣٤٥ –
Sadek «La constitution de l'Egypt»
٣٤٦ –
Ibid., op. cit., pp. 102-104
٣٤٧ – اهرام ، نوفمبر ١٩٢٠
٣٤٨ – نفس المصدر
٣٤٩ – نفس المصدر
٣٥٠ – جورجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث ص ٩٢ – ١٠٣

٣٥١ ـ نفس المصدر
٣٥٢ ـ نفس المصدر ص ١٤٤ ـ ١٤٦
٣٥٣ ـ
Awad «La souveraineté Egyptienne»
٣٥٤ ـ
Ibid, op. cit., pp. 91-103
٣٥٥ ـ « تاريخ السلطات النيابية » هلال جزء ١٨ . اول يناير ١٩١٠ ص ٨٢
٣٥٦ ـ نفس المصدر
٣٥٧ ـ نفس المصدر ص ١٥٢ ـ ١٥٣
٣٥٨ ـ نفس المصدر
٣٥٩ ـ شفيق تمهيد
٣٦٠ ـ نفس المصدر
٣٦١ ـ نفس المصدر
٣٦٢ ـ تاريخ القومية المصرية . للرافعي . جزء ٢
٣٦٣ ـ « لواء الاسلام » سبتمبر ١٩٢١ . « المسألة المصرية » لعلي فهمي
٣٦٤ ـ شفيق « الحوليات » تمهيد
٣٦٥ ـ نفس المصدر
٣٦٦ ـ نفس المصدر
٣٦٧ ـ نفس المصدر
٣٦٨ ـ يجب تذكر ان تعيين فؤاد الذي كان في ظل الاحكام العسكرية كان ايضا بناء على المادة السادسة
٣٦٩ ـ
Sammarco, op. cit., pp. 111-115.
٣٧٠ ـ
Ibid, op. cit., pp. 114-120
٣٧١ ـ الاهرام ١٠ مايو ١٩٢٣
٣٧٢ ـ نفس المصدر
٣٧٣ ـ نفس المصدر
٣٧٤ ـ نفس المصدر
٣٧٥ ـ مقتطف بتاريخ نوفمبر ١٩٢٣ تحت عنوان « حياتنا النيابية »
٣٧٦ ـ نفس المصدر

٣٧٧ ــ نفس المصدر
٣٧٨ ــ نفس المصدر
٣٧٩ ــ
Cooper, «The man of Egypt». Blunt, «The new situation in Egypt»

٣٨٠ ــ ترك كرومر مصر في مايو ١٩٠٧ ، ولكن كان قيام هذا الحزب نتيجة لجهوده .

٣٨١ ــ « الوطنية الجديدة » بلنت
٣٨٢ ــ نفس المصدر جزء ٢ ص ٨٢ ــ ٨٥
٣٨٣ ــ نفس المصدر
٣٨٤ ــ نفس المصدر
٣٨٥ ــ نفس المصدر
٣٨٦ ــ نفس المصدر

٣٨٧ ــ نشرت بعض هذه المواد في الجرائد من عام ١٩١٢ الى ١٩١٤ ثم جمعت في كتاب بقلم احمد لطفي السيد بعنوان « تأملات في الفلسفة والادب والسياسة والاجتماع » . في ذلك الوقت كانت هناك دراسة ممتعة عن « سلطة الامة » و « من اجل ذلك نطلب الدستور »

٣٨٨ ــ « صوت من بعيد » جزء ٢ « هل هناك حزب وطني وهل له زعيم » مجلة « الجمعة » اكتوبر ١٩٠٦

٣٩٢ ــ جريدة المؤيد . الياس زاخورا . والعقاد في الفصول
٣٩٣ ــ نفس المصدر
٣٩٤ ــ نفس المصدر
٣٩٥ ــ العقاد « سعد زغلول » . الجزء الاول
٣٩٦ ــ نفس المصدر
٣٩٧ ــ نفس المصدر
٣٩٨ ــ نفس المصدر
٣٩٩ ــ
Saby, «Episode de la question d'Afrique»

٤٠٠ ــ
Ibid., op., cit., p. 125.

٤٠١ ــ الثورة العرابية . للرافعي . المصدر السابق
٤٠٢ ــ نفس المصدر
٤٠٣ ــ نفس المصدر

٤٠٤ ـ نفس المصدر
٤٠٥ ـ « الدكتور اخنوخ فانوس » مقتطف يناير ١٩١٩
٤٠٦ ـ نفس المصدر
٤٠٧ ـ نفس المصدر
٤٠٨ ـ نفس المصدر
٤٠٩ ـ نفس المصدر
٤١٠ ـ « الثورة العرابية » لورد كرومر
٤١١ ـ نفس المصدر
٤١٢ ـ نفس المصدر
٤١٣ ـ نفس المصدر
٤١٣ ـ نفس المصدر
٤١٤ ـ نفس المصدر
٤١٥ ـ اهرام ١٢ ابريل ١٩٢٠ موضوع بعنوان ثلاث وسائل لتحليل العلاقات المصرية الانجليزية
٤١٦ ـ نفس المصدر
٤١٧ ـ نفس المصدر
٤١٨ ـ « العناصر الثلاث للقومية المصرية » رياض شمس
٤١٩ ـ نفس المصدر
٤٢٠ ـ نفس المصدر
٤٢١ ـ نفس المصدر
٤٢٢ ـ مجلة التجارة بتاريخ اول فبراير ١٩١٤
٤٢٣ ـ نفس المصدر
٣٢٤ ـ نفس المصدر
٤٢٥ ـ
Ransom «The history of the Egyptian crisis»
٤٢٦ ـ
Ibid., op. cit., p. 115.
٤٢٧ ـ جريدة الاخبار القاهرية . بتاريخ ١٢ يناير ١٩١٥
٤٢٨ ـ شفيق . تمهيد
٤٢٩ ـ نفس المصدر
٤٣٠ ـ نفس المصدر
٤٣١ ـ
Newman, «Great Britain in Egypt»

٤٣٢ ــ المصدر السابق
٤٣٣ ــ شفيق تمهيد
٤٣٤ ــ
Milner, «England in Egypt»
٤٣٥ ــ المصدر السابق
٤٣٦ ــ المصدر السابق
٤٣٧ ــ المصدر السابق
٤٣٨ ــ الاخبار ٦ يونيو ١٩٢١
٤٣٩ ــ نفس المصدر
٤٤٠ ــ هلال يونيو ١٩٢١
٤٤١ ــ نفس المصدر
٤٤٢ ــ نفس المصدر
٤٤٣ ــ الاخبار ٢ مارس ١٩٢٣
٤٤٤ ــ نفس المصدر
٤٤٥ ــ نفس المصدر
٤٤٦ ــ نفس المصدر
٤٤٧ ــ نفس المصدر
٤٤٨ ــ نفس المصدر
٤٤٩ ــ نفس المصدر
٤٥٠ ــ نفس المصدر
٤٥١ ــ هلال اغسطس ١٩٢٢
٤٥٢ ــ نفس المصدر
٤٥٣ ــ نفس المصدر
٤٥٤ ــ نفس المصدر
٤٥٥ ــ نفس المصدر
٤٥٦ ــ نفس المصدر
٤٥٧ ــ نفس المصدر
٤٥٨ ــ نفس المصدر
٤٥٩ ــ نفس المصدر
٤٦٠ ــ نفس المصدر
٤٦١ ــ « القضية المصرية من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٣ » .
« المسألة المصرية » محمود ابو الفتح .

٤٦٢ ـ نفس المصدر
٤٦٣ ـ « ثورة سنة ١٩١٩ » الرافعي
٤٦٤ ـ نفس المصدر
٤٦٥ ـ « سعد زغلول » العقاد
٤٦٦ ـ نفس المصدر
٤٦٧ ـ نفس المصدر
٤٦٨ ـ نفس المصدر
٤٦٩ ـ نفس المصدر
٤٧٠ ـ نفس المصدر
٤٧١ ـ الاخبار بتاريخ ١ فبراير ١٩٢٤
٤٧٢ ـ نفس المصدر
٤٧٣ ـ نفس المصدر
٤٧٤ ـ نفس المصدر
٤٧٥ ـ نفس المصدر
٤٧٦ ـ نفس المصدر
٤٧٧ ـ نفس المصدر
٤٧٨ ـ نجح الوفد في اقناع **V. Marguirite** في ان يكتب كتيبا عن القضية المصرية « واضاف اليه اناتول فرانس بعض الكلمات . « سعد زغلول » للعقاد
٤٧٩ ـ الحوليات لاحمد شفيق جزء ٢
٤٨٠ ـ نفس المصدر
٤٨١ ـ نفس المصدر
٤٨٢ ـ نفس المصدر
٤٨٣ ـ كانوا من الطلبة الذين يتعلمون في اوربا وقد نظموا بعض الاضرابات في برلين واماكن اخرى في اوربا
٤٨٤ ـ تاريخ الثورة القومية المصرية . للرافعي
٤٨٥ ـ شفيق . تمهيد
٤٨٦ ـ لاتجاه الوفد نحو فرنسا اقرأ « الاتجاهات الدستورية في البلاد الشرقية » لولسن
٤٨٧ ـ جريدة السياسة ١٩٢٥
٤٨٨ ـ نفس المصدر
٤٨٩ ـ نفس المصدر

٤٩٠ ـ نفس المصدر
٤٩١ ـ نفس المصدر
٤٩٢ ـ نفس المصدر
٤٩٣ ـ نفس المصدر
٤٩٤ ـ نفس المصدر
٤٩٥ ـ هلال ١٩٢٦ موضوع « عن الاحزاب السياسية والائتلاف »
٤٩٦ ـ نفس المصدر
٤٩٧ ـ نفس المصدر
٤٩٨ ـ جريدة السياسة
٤٩٩ ـ اثنان من هؤلاء حسن عبد الرازق واسماعيل زهدي قد اغتيلا في مدخل نادي الحزب
٥٠٠ ـ المقتطف بالعدد ٣١٢٢ بتاريخ ١٩٢٦
٥٠١ ـ « بورص اجبسيان » عدد ٢٩ اكتوبر ١٩٢٤
٥٠٢ ـ نفس المصدر
٥٠٣ ـ نفس المصدر
٥٠٤ ـ نفس المصدر
٥٠٥ ـ نفس المصدر
٥٠٦ ـ توينبي . نفس المصدر
٥٠٧ ـ نفس المصدر
٥٠٨ ـ نفس المصدر



مراجع عربية

١ ــ « سعد زغلول ، سيرة وتاريخ » . عباس محمود العقاد ١٩٣٦
٢ ــ « عصر اسماعيل » ، جزآن . عبد الرحمن الرافعي ١٩٣٢
٣ ــ « في اعقاب الثورة » ، ٣ اجزاء ، للرافعي ١٩٤٧ ــ ١٩٥١
٤ ــ « مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال ، تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ » للرافعي في عام ١٩٤٢
٥ ــ « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية » ، للرافعي ١٩٣٩
٦ ــ « تاريخ الحركة الوطنية وتطورات نظام الحكم في مصر » ، ٣ اجزاء ، ١٩٣٠.
٧ ــ « الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي من سلسلة تاريخ الحركة القومية » ١٩٣٧
٨ ــ « ثورة سنة ١٩١٩ تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١١ الى ١٩٤١ ، جزئين ، ١٩٤٦
٩ ــ « تأملات في الفلسفة والسياسة والاجتماع » احمد لطفي السيد ١٩٤٦
١٠ ــ « حوليات مصر السياسية » ٤ اجزاء. و « تمهيد » ٣ اجزاء . احمد شفيق ١٩٢٦
١١ ــ « احمد الشايب والشيخ محمد عبده » مطبعة اسكندرية ١٩٢٩
١٢ ــ « احمد عرابي باشا سيرة حياته واسباب الثورة مكتوبة بقلمه » الهلال اكتوبر ١٩٠١
١٣ ــ « كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية » احمد عرابي الحسيني المصري
١٤ ــ « احمد عرابي المصري » هلال سبتمبر واكتوبر ١٨٩٦ ويونيو ١٩٠١
١٥ ــ « احمد عرابي والحوادث العرابية » هلال اكتوبر ١٩١١
١٦ ــ « الدساتير الحديثة والدستور المصري القديم » هلال نوفمبر ١٩٢٠.

١٧ ـ « الشيخ محمد عبده ، اشتغاله في مجلس الشورى » حسن عبد الرازق . مقتطف ديسمبر ١٩٠٥

١٨ ـ « حدود وانظمة مجلس شورى القوانين المصري » بولاق ١٨٦٦

١٩ ـ « تطـــور الصحافة المصريـــة واثرهـــا في النهضة الفكريـــة والاجتماعية » ابراهيم عبده ١٩٤٥

٢٠ ـ « نظام جديد وحياة جديدة ، الاداة الحكومية » جـزآن ، ابراهيم مذكور ومريت غالي ١٩٤٣ ـ ٤٥

٢١ ـ « كتاب مرآة العصر في تاريخ ورسوم اكابر الرجال في مصر » الياس زاخورا ١٨٩٧

٢٢ ـ « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » جورجـي زيدان . جزآن ١٩١٠ ـ ١٩١١

٢٣ ـ « تاريخ الماسونية الام منذ نشأتها الى الان » جورجي زيدان ١٨٩٩

٢٤ ـ « تاريخ مصر الحديث » جزآن . جورجي زيدان ١٨٨٩ ـ ١٩١١

٢٥ ـ لائحة اصلاح مرفوعة الى جلالة الامير توفيق الاول خديوي مصر خدمة من جمعية اتحاد مصر الفتاة » ١٨٧٩

٢٦ ـ « المسألة المصرية والوفد » محمود ابو الفتح

٢٧ ـ « محمود سامي البارودي » هلال فبراير ١٩٠٥

٢٨ ـ « القانون الدستوري المصري وتطورات نظام الدولة المصريـــة ابتداء من الفتح العثماني (١٥١٧) الى الوقت الحاضر » محمـــود حسن الفريق ١٩٢٤

٢٩ ـ « اديب اسحاق » مارون عبود الكتاب فبراير ١٩٤٨

٣٠ ـ « الصحافة في عصر اسماعيل » محمد عبدالله عنان . الكاتب المصري مارس ١٩٤٧

٣١ ـ « محمد عبده » هلال اغسطس ١٩٠٥

٣٢ ـ « كتاب مفتوح الى المستر اسكويز رئيس وزراء انجلتـرا » محمود فهمي . جنيف ١٩١٥

٣٣ ـ « تراجم مصرية وغربية » محمد حسنين هيكل

٣٤ ـ « السياسة المصرية والانقلاب الدستوري » محمـد حسنين هيكل ، ابراهيم عبد القادر المازني ، محمد عبدالله عنان ١٩٣١ .

٣٥ ـ « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » ٣ اجزاء . محمد رشيد رضا ١٩٠٧
٣٦ ـ « ادب وتاريخ » محمد صبري جزآن ١٩٢٧
٣٧ ـ « تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم » محمد صبري ١٩٢٦
٣٨ ـ مصطفى كامل باشا في ٢٤ ربيعا ١٩٠٨
٣٩ ـ « القضية المصرية من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٣ » مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤
٤٠ ـ « نوبار باشا وما تم على يديه » نجيب مخلوف
٤١ ـ « تاريخ تكوين الصحف المصرية » الياس قطوره كوستاكي ١٩٢٨
٤٢ ـ رؤساء مجلس شورى القوانين » هلال اكتوبر ١٩١٣
٤٣ ـ « السلطة النيابية في الحكومة المصرية ومسألة قناة السويس » هلال مايو ١٩١٠
٤٤ ـ « السيد عبدالله نديم » هلال فبراير ١٨٩٧
٤٥ « تاريخ الاحزاب السياسية » هلال ديسمبر ١٩٠٧
٤٦ ـ « جمال الدين الافغاني » عثمان امين ١٩٤٦
٤٧ « محمد عبده » عثمان امين ١٩٤٤
٤٨ ـ « صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير » زكي فهمي ١٩٢٦
٤٩ ـ « الثورة العرابية » لورد كرومر



مراجع اجنبية

1 — Islam and modernism in Egypt; a study of the modern reform inaugurated by Mohammed Abduh, 1933.
2 — Alexander, J., «The truth about Egypt», 1911.
3 — Amas, Shaldon, «The new Egyptian constitution», 1883.
4 — Blesh, E.C., «British and foreign state papers», 1913.
5 — Blant, W.C., «The Egyptian revolution, a personal narative», 1882.
6 — Blant, W.C., «Secret history of the English occupation of Egypt being a personal narrative of events», 1907.
7 — Broodly, A.M., «How we defend Arabi and his friends», 1884.
8 — Chirol, V., «The Egyptian problem» 1920.
9 — Colvin, A., «The making of modern Egypt», 1906.
10 — Crabits, P., «Ismail the maligned Kedive», 1933.
11 — Cromer, «Modern Egypt» 1908 and «The situation in Egypt».
12 — Grunnigham, A., «To day in Egypt», 1908.
13 — Daves, H.M., «Constitutions, electoral laws, treaties of states in the Near and Middle East», 1947.
14 — Dicey, E., «England intervention in Egypt», 1882.
15 — Fyfe, H.H., «The new spirit in Egypt», 1911.
16 — Ghosh, Ramsk, Chandra, «Constitutional development in the Islamic world», 1942.
17 — Gibb, H.A.R., «Modern trends in Islam», 1947.
18 — Hartman, M., «The Arabic press of Egypt», 1889.
19 — Jerrold, B., «The Belgium of the east», 1882.
20 — Leon, Edwinde, «Egypt under its Khedives», 1878.
21 — Low, Sidney, «Egypt in transition», 1914.
22 — Malet, E., «Egypt 1879-1883», 1909.
23 — Marshal, I.E., «The Egyptian enigma 1890-1923», 1928.
24 — Mc Loan, «Egypt as it is», 1877.
25 — Milner, «England in Egypt», 1892.
26 — Newman, «Great Britain in Egypt», 1928.

27 — Ninet, «Arabi Pasha», 1884.
28 — Symons, M.T., «Britain and Egypt», «The rise of Egyptian nationalism», 1925.
29 — Toynbee, A.J., «The islamic world since the peace settlement», 1927.
30 — Tweedy, O., «Saad Pasha Zaghloul», 1927.
31 — Wallas, D.M., «Egypt and the Egyptian question», 1883.
32 — Wood, H.F., «Egypt under the British», 1890.

فهـــرس

صفحة

صفحة

احزاب ثانوية بعد سنوات الحرب

